

دار جاد

في فن العرو

ابحاث

- | | |
|--------------------|---------------------------------|
| نازك الملائكة | القومية العربية والحياة |
| الدكتور سهيل ادري | سعيد نقي الدين والقصة القصيرة |
| محيي الدين محمد | تحرير جيل من الوهم |
| غالي شكري | نكرا سوف فيلسوف الازمة الفرنسية |
| ابو القاسم سعدالله | محمد عبد كبر شعراء الجزائر |
| علي بدور | نحو ادب قومي جديد |
| محمد خير الحلواني | احمد شوقي والشعب |
| عبد الحسين طه بدر | نقد ابحاث العدد الماضي |
| فاروق شوشه | نقد قصائد العدد الماضي |
| غالب غلسا | نقد قصص العدد الماضي |

قصائد

- | | |
|------------------------|---------------------------|
| خليل حاوي | السندباد في رحلته الثامنة |
| شفيق الكمالي | بغداد والرعب |
| محمد سعيد بابصيل | لك النصر يا بغداد |
| مجاهد عبد التميم مجاهد | يا حزن رحمة بشا |
| موسي مرداوي | الصمت والشاعر |
| الدكتور احمد هيكل | من الشعر الاسباني |

قصص

- | | |
|------------------|------------------|
| فريد حبيب | نهاية الزقاق |
| جان الكسان | فرزة وخيط معاوية |
| عبد الرحمن السيك | ميزانية اخلاق |

دار الآداب نقديم

التربية القومية

بحث في مبادئ القومية العربية ووسائل التربية عليها

بقلم الدكتور عبدالله عبد الدائم

صدر حديثا

عيناك ومهرجان ..

ديوان جديد لشاعر « عبقر » :

شفيق المعلوف

صدر حديثا

قالتر لي السمر

لنزار قباني

طبعة جديدة

بسعر مخفض - ٣ ليرات لبنانية

صدر حديثا

العدد الخامس

يسمان (ابريل)

السنة الثامنة

No. 5 Mai 1960

نوار (مايو)



مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE

BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123

Tél. 32832

رئيس التحرير

والمدبر المسؤول

الدكتور سحر ادريس

Rédacteur en chef et

directeur

SOUHEIL IDRIS

القومية العربية والحياة

بقلم نازك الملائكة

او نحاول تعريفها . وكان ذلك هو اساس حكمتنا الشرقية . لا ، لم نحاول ان نعرف اشياء مثل « الله » و « العروبة » و « الجمال » و « الروح » و « الغيب » و « العاطفة » لم نحاول ذلك حتى جاءنا هذا العصر الحديث الذي اسلم قياد اذهاننا الى اوربا المتشككة . لقد افتقرت روحيتنا الى درجة اننا اصبحنا لانستطيع ان نستمتع بدفع الشمس قبل ان نجد تعريفا لهذه الحرارة السحرية التي تفرق كيانا كله وتملأنا بالنشوة والخدر اللذيذ . ولم يعد في امكاننا ان نشعر بعذوبة قوميتنا العربية الا اذا حصلنا اولا على تعريف شامل شاف لها . ونحن في ذلك اشبه بانسان يمتص قصب السكر ويرفض ان يجد له لذة الا اذا لجأ الى مختبر وحلل السكر الى جزيئاته اولا .

وهكذا بتنا نسمع السؤال يضج ويصرخ ويدوي : ما هذه القومية العربية ؟ وما تعريفها ؟ ولاح السؤال للمستعجلين والبسطاء - ذكيا ومفحما . ووقفوا عنده حائرين ، كما يقف انسان نفاجه بالسؤال : « ما الجمال ؟ ما تعريفه ؟ » فالحق انه سؤال عريض . واذا نحن عجزنا عن اعطاء تعريف فالمشكل خطير . ذلك ان عصرنا المريض بحب التعريفات على استعداد لان يعتقد بان مالا يعرف لا وجود له . ونتيجة اخفاقنا في صياغة تعريف للقومية العربية سنقضي عليها في نظر بعض الناس بان تختفي وتلاشي وتصبح كلمة فارغة لاكيان لها .

في الشارع ، امام منزلنا ، اذكر انني رايت ذات مسرة طفلا صغيرا . اسود الشعر والعينين . بتطلع الى الشمس في غيظ وحتق . وهو يلهث تعباً . لقد كان طيلة دقائق

لعل الصفة الكبرى لذهنية الانسان المعاصر هي الرغبة الجامحة في الحصول على تعريفات شاملة واضحة للاشياء كلها . فلقد تساقطت هالات القداسة عن الاشياء وبتنا مغمرين بالوضوح والاختناك الكامل ، وبالغنا في ذلك فعدينا نطلب تعريفات حتى لما يكبر عن التعريف . ولعلنا ننسى ان التعريف ، في حقيقته ، حصر وتضييق وتقليل من قيمة الاشياء ، بينما تأبى الحياة وتعالى كلياتها عن ان يضيق عليها . ومن ثم فاننا حين نمضي في بحثنا الاهوج عن التعريفات تكون النتائج ، وبالا علينا ، لان ما لا يعرف يبقى بعيدا راسخا مغلفا بالضباب لا يرقى اليه شيء من الفاظنا ، بينما نتيه نحن ونغرق في تيه الكلمات والعبارات . وخلال ذلك يبقى قانون الاشياء التي فشلنا في تعريفها نافذا فينا . يعمل في حياتنا ويسيرها ، تماما كما تسير الشمس حياة انسان ينكر وجودها بتعريف مغالط .

ولا ريب في ان البحث عن التعريفات قد جاءنا من الغرب ، من اوربا التي يتصف الفكر فيها بانه متشكك قاصر عن ان يتحسس البصيرة المضيئة التي ركبتهما الطبيعة في الانسان . واما نحن في هذا الشرق العربي فاننا نملك من روحانية الطبع وغازة العاطفة وتقادة الايمان ما يجعلنا نقف خاشعين مبهورين امام الغيب والمجهول ، سواء كان ذلك في اعماق كيانا الانساني المبهم . ام في الكون الكبير كله . ولقد حاول الغرب ان يشككنا في قيمة هذه الصفة فينا كل التشكيك ، غير انها بقيت

مع ذلك مزية فينا لانها لا تصدر الا عن اتصالنا بالاعماق الفطرية للانسان . لقد وقفنا دائما خاشعين امام الطبيعة وامام الانسان فتقبلنا الحقائق الكبرى تقبل تسليم دون ان نناقشها

« ان جوع العروبة في نفوسنا لهو الذ انواع الجوع واحبها لانه الجوع الاسمي الذي يرتكز الى عطش الاكتمال وحرقة الحياة نفسها ، فلا سعادة لنا من دونه ولا غد ولا انسانية »

الطفولة ، ونحن عرب ونحن قوميون لمجرد اننا عشنا حياة طبيعية ونمونا مع الضوء والنسيم الحر والخضرة . والحق اننا اذا رضىنا ان نضيق القومية العربية الى درجة ان نحصرها فلن نتردد في ان نعرفها بانها الحياة نفسها ، الحياة الانسانية كما تتجلى في هذه البقعة الخصبة الموهوبة من العالم .

ان هذا التعريف بان القومية هي الحياة ، ينطوي ، على صفره ، على مضمونين نحب ان نقف عندهما :

المضمون الاول ان القومية العربية اراث في كياننا لامهرب لنا من ان نحمله ونخضع له ونتطبع به . انها كائنة وواقعة، ونحن في داخل حدودها ، وهي تحيط بنا وتتضمننا وتشتمل علينا . فايما اتجهنا ومهما اعتنقنا من الافكار فنحن قوميون عرب ، شئنا ام ابينا ، تلك هي صفتنا الحقبة التي يتحكم قانونها فينا . ان الطفل العربي يصبح قوميا بمجرد ان يولد ، والانسانية عموما تكتسب صفة القومية بمجرد ان تكون صفة تتحرك وتتغذى وتبدع . وما يكاد المرء يصفى الى متطلبات الحياة والفطرة في نفسه حتى يصبح قوميا . وانه لاكيد اننا لو نجحنا في تجريد اي عربي من قيوده وتصنعاته والتواءات تربيته ، لوجد نفسه عربيا قومي الاتجاه .

اني احتفظ في ذاكرتي بحكاية قراتها مرة عن الاسكندر الكبير الذي غزا الشرق العربي قبل الميلاد واوغل فيه . يقال انه اخضع البلاد كلها غير العراق الذي بقي ثائرا مشاكسا وابى ان يستكين فكان يقلق راحة هذا الفاتح بلا انقطاع . وعندما تعب الاسكندر استدعى حكيما وشاوره قائلا : « لقد يئست من اخضاع اهل العراق وانا افكر في ابادتهم اباداة تامة بالقتل ليتاح لي ان انتهي منهم دفعة واحدة . فماذا ترى ؟ » وقد فكر الحكيم قليلا ثم رد عليه « لاتفعل . فلا فائدة لك في ابادتهم . ذلك ان الجو العراقي والتربة العراقية سرعان ما سيخلقان قوما عراقيين على غرار الذين قتلتهم تماما . » ان هذه الحكاية تشخص فكرتنا خير تشخيص ، فالجو العربي - فسي العراق وغير العراق من اقطار الوطن - لا يملك الا ان يخلق عربا ، وهذه القومية هي محصول عاطفي وذهني تنبتة تربتنا وسهولنا وانهارنا . فلو قتلونا كلنا ، لنشأ بعدنا عرب مثلنا وارتفعت اغنية العروبة لتملا الفضاء كما كانت دائما .

ان القومية العربية هي ، في الواقع ، مجموع ما فينا من خصائص وراثية وبئية ، والخاصة الحقبة لبناننا العاطفي وتكويننا النفسي والعقلي والجسمي . انها تلازمنا كما تلازمنا سمرة وجوهنا وسواد عيوننا وعاطفيتنا . فالسمرة والعاطفية والعروبة نفسها ، خصائص عفوية فينا ، ليس لنا يد في تكوينها ولا سيطرة لنا عليها ، الا بمقدار ما تستطيع شجرة التوت ان تسيطر على خصائصها . ولعلنا نحمل عربوتنا كما تحمل شجرة التوت اثمارها التي تنضج بالسكر والعصير وهي لا تدري لماذا تنبت وكيف .

كثيرة يبذل مجهودا شجاعا في سبيل ان يسبق ظله الذي يمتد امامه في الشارع . كان يظن انه اذا ركض فجاه فسوف يأخذ ظله على غفلة ويسبقه . وكان يقف متربصا لحظات ، ثم يثب في فقرة سريعة واحدة ، ويحسب يقينا ان الظل لن يسبقه على غفلة ويسبقه . وكان يقف متربصا الظل امامه مهما فجاه ومهما احتال عليه . واخيرا رآيته يستسلم وينصرف مفتاظا عن هذه اللعبة . واني لاتذكر هذا الطفل الساذج كلما رايت محاولات المفتاظين في حربهم لعروبة الامة العربية . ذلك انهم ، حين يحاولون ان يفصلوا بين سكان هذه البقعة وقوميتهم العربية ، ليسوا باقل سداجة من الطفل الذي يحسب ان من الممكن ان يفصل جسمه عن ظله بحركة مفاجئة . ان هذا الجسم سوف يلغى هذا الظل مهما غير الطفل حركته ومهما اسرع فيها . وكذلك سوف يكتسب سكان هذه المنطقة صفة العروبة مهما فعل المفتاظون ومهما حاولوا تغيير الاسماء التي يطلقونها عليهم . ان العروبة هي الصفة التي تمنحها هذه البقعة لابنائها كما ان هذا الظل ، هو الظل الذي ينقيه ذلك الجسم على الارض . ولن تتغير هذه الحقيقة مهما صنعنا لها من تعريفات .

ومع ذلك ، فما زال المطلوب منا ان نجد تعريفا للقومية العربية ، تماما كما ينبغي لنا ان نعرف الجمال والحياة والدفء وضوء القمر وطعم السكر . وحين نقف بازاء هذه المبهمة الجميلة لنعرفها سنلاحظ انها كبيرة بحيث تصغر امامها كل لغة ، وان محاولة التعريف تنطوي ، في ذاتها ، على فرض سابق باننا منفصلون عن هذه الاشياء واننا اعلى منها . وذلك موقف ساذج ينبغي الا تقع فيه ذلك ان هذه الاشياء ترتبط بحواسنا وكياننا بحيث لا يعود من الممكن ان نفصل عنها لنحكم عليها من الخارج . ان القومية العربية وضوء القمر وطعم السكر كلها اشياء تكبر عن التعريف لانها قوام حياتنا . واي تعريف يحد من لانهايتها ، لاييء اليها وانما يسيء اليها نحن . وذلك لان قانونها نافذ فينا سواء اعترفنا به ام لم نعترف وسواء اوجدنا له تعريفا ام لم نجد . فاذا انشغلنا عن ذلك القانون بالتعريفات ، او وضعنا تعريفا يقلل من قيمتها فلن يتلقى النتائج المريعة المضرة سوانا .

وهكذا ننتهي الى القول بان القومية العربية - مهما كان تعريفها - تنمو في قابونا ، بمعزل عن وعينا ، وتختلط بكل قطرة من دماننا ، وترسب في عظامنا وتتصلب معها . وسواء سمعنا بها ، واهتدينا الى اسمها ، ام بقينا على جهل تام بها ، فنحن نحويها في اعماق كياننا . وما ذلك الا لانها محصلة الاندفاع العفوي للحياة نفسها ، فهي كالزهرة تنبت على الشجرة لمجرد ان هناك تربة وغذاء وماء ، لمجرد ان هناك حياة . فما تكاد الانسانية توجد حتى تبدأ القومية . وكما ان الحياة تنمو بالشمس والغذاء والهواء ، فكذلك ينمو الشعور القومي في دماء الانسانية الحية . ان شمسنا العربية تسكب دفتها القومي في دماننا منذ

وليست العروبة باقل سكرًا او عبيرا من ثمرات التوت لو نحن تذوقناها بشفاه الروح . ذلك ان التوت هو فضيلة الشجرة التي تنبت ، واما العروبة فهي فضيلتنا نحن ، بنفس الاسلوب . وانه لحزن الا نستطيع ادراك هذا ، فيفوت علينا بذلك ان نستفيد من المزية الرائعة التي تمنحنا اياها هذه الفضيلة ، قوميتنا .

اما المضمون الثاني لتعريفنا بان القومية هي الحياة ، فهو اننا بهذا التعريف نسبغ على القومية ما للحياة من ضرورة، فهي مطلوبة لاننا لا نستطيع ان نعيش من دونها ولان المجتمعات لا تقوم على شيء غيرها . يطلب الانسان الماء والغذاء بفطرته لانهما يغذيان جسمه ، وهو يبحث عن الشمس ويحكمها في حياته لان وجوده يرتكز اليها . وكذلك نبحت عن قوميتنا ونلتصق بها لانها تغذينا وتحميننا وتفسر لنا وجودنا ، ومن دونها تستحيل الحياة . ونحن في ذلك شبيهون بالاشجار التي تبحث عن مصلحتها فتأخذ من الدفء والضوء والالوان ما يعينها على النمو والحياة ، وكذلك تبحث الانسانية فينا عن مصلحتها وضمان سعادتها فتجدها في الشعور القومي .

ولعل اكبر الادلة على ضرورة الاحساس القومي هو ابطؤها على الاطلاق . ذلك شأن الحياة ، يكمن اعماق ما فيها من عمق ، في ايسر ما فيها من بساطة . وقد الف الانسان ان يعقد الامور فيبحث دائما في ما هو بعيد ، بدلا من ان يلقي نظرة حوله . احيانا نبحت ساعات عن شيء اضعنائه في الوقت الذي يكون فيه في احد جيوبنا . وهكذا رحنا نبحت عن مبررات الاحساس القومي بعيدا عن ذواتنا مع انها تكمن فينا نحن ، قبل اي موضع اخر . ذلك ان مجرد وجود احساس ما ، يدل حتما على انه ضروري، لا يمكن الاستغناء عنه . والواقع ان الوجود والضرورة هما شيء واحد لا يمكن تقسيمه الى اثنين . ان ما هو موجود انما كان موجودا ، لمجرد انه ضروري ، ذلك هو القانون . وما دامت القومية العربية شيئا واقعا محتوما على كل انسان ولد في هذه المنطقة وعاش فيها ، فنحن لانحتاج الى ان ندعم ضرورتها باي دليل غير وجودها نفسه .

في العلوم الطبيعية نقرا ان الحاجة هي التي تخلق العضو وليس العكس ، او ان الاعضاء انما نشأت في الاصل لانه قد كانت هناك حاجة اليها تحتم وجودها . وهذا صحيح في الميدان العاطفي والاجتماعي ، صحته في المجال العضوي . وهو التبرير الاكبر لوجود الشعور القومي في نفوسنا . فانما نحن عرب قوميون لاننا كنا دائما وسوف نبقي محتاجين الى ذلك . وعلى اساس عروبتنا هذه قامت مظاهر حياتنا كلها ونما تفكيرنا ونشأت حضارتنا . فلو طلب الينا الان ان ننزع قوميتنا ونستبدلها بشيء اخر - مهما كان - لكان ذلك اشبه بان يطلب الينا ان نقطع رؤوسنا أو نتخلص من قلوبنا ونستبدلها باعضاء اخرى .

ان القومية العربية قد كانت نتيجة اجتماعية محتومة تطلبها ظروف هذه المنطقة عبر قرون التاريخ البطيئة . او لنقل انها تشبه ان تكون مجموعة اعضاء اجتماعية خطيرة تقابل الاعضاء الفزيولوجية ، وقد باتت لهذه الاعضاء وظائف حية ، فمن المستحيل ان ننزعها دون ان نموت . لقد اصبحت هذه القومية حاجة طبيعية «بايولوجية» ينبغي ان تتحقق لكي يستطيع الانسان العربي ان يكون سعيدا ويعطي الحياة اوسع عطاء متاح له . وسوف نستعرض فيما يلي بعض وجوه هذه الحاجة .

أ - الحاجة الانسانية الى المشاركة

يستند الشعور القومي ، في جوهره ، الى الانسجام الطبيعي القائم بين الناس الذين يعيشون في بيئة واحدة ويتحدرون من ظروف تاريخية واحدة . وهذا الانسجام ضرورة من ضرورات الحياة ، يدوي الانسان من دونه ويموت . انه قانون نافذ فينا سواء ادركناه ام لا . فنحن في حياتنا القومية نحتاج الى ان نجسد اناسا يفهموننا ويشاركوننا عقائدنا وحماساتنا واراينا . ونحن نبحت عن هؤلاء الناس بحثا دائما ، فيا نكاد نجد من يشبهنا حتى نندفع نحوه بغريزة خفية محتومة . وقد الف الانسان ان يفتاظ ويتألم اذا احس انه في وسط يخالفه نزعاته ورغباته العميقة الكبرى . وقد ترحل الاسر من الاحياء التي ترى نفسها فيها غريبة ، مفضلة احياء اخرى تلقى فيها من

شعر

من منشورات دار الاداب

الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
قصائد عربية	سليمان العيسى
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي
عائدون	يوسف الخطيب

دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٢

يفهمها ويتذوق ما تتذوق . وقد تترك مجتمعات كاملة وسطها وترحل الى اوساط اخرى تجد فيها المشاركة والفهم . وهذه الرغبة الاجتماعية تنبع من صميم متطلبات الحياة الفطرية وغرائزها . ان الطبيعيين يخبروننا بسان المخلوقات الحية - مهما صغرت - تبحث عن الوسط الذي يضع في طريق نموها اقل مفدر من المقاومة . واذا اشتدت المقاومة ولم يستطع الكائن الحي - لسبب ما - ان يغير وسطه ، اضمحل وربما افترض نوعه كله على مر السنين . وذلك ينطبق حرفيا على الانسان الذي يتطلب فوق الانسجام الطبيعي الذي يتطلبه كيانه العضوي ، انسجاما عاطفيا وتجاوبا فكريا . ولن يتاح لهذا الانسان ان يستفيد من موارده العقلية والروحية وينتج الانتاج الحق الذي خلق له الا اذا تيسر له الوسط الملائم الذي يضمن له الحد الأدنى من الطمأنينة والرضى والسعادة . وذلك ينطبق على الافراد كما ينطبق على المجتمعات ، وهو الاساس في حاجة المجتمعات الى ان تقوم على دعائم من قوميتها . والقانون هو انه كلما كانت العناصر المشتركة بين الاقوام اكثر واعمق جذورا كانت القومية التي يكونونها ارسخ واصلب عودا واقدر على المقاومة . والقومية العربية محظوظة بكثرة هذه العناصر فان سكان المنطقة الممتدة من المحيط الاطلسي الى المحيط الهندي يرتبطون بعدد عجيب من الروابط كاللغة والتاريخ والثقافة والحضارة والتقاليد والارث الخلقي والاحوال الاجتماعية والظروف السياسية وغير ذلك . وهذه الروابط هي ، ولا ريب ، مصدر سرور كبير لكل فرد عربي بما تمنح الانسان من فرح الاحساس بالمشاركة وطمأنينة الارتباط بالملايين اعمق ارتباط . واي شعور من الغبطة يعترينا حين نسافر متوغلين في بوادي جزيرتنا العربية فنسمع حيث سرنا قلوبا تخفق معنا وتحدث بلغتنا وتتلو قصائدنا وتردد اغانيها ؟ ان التاريخ الذي اظلنا قد اظل معنا الجزيرة السمراء وشمال افريقيا ، وكل ما نملكه من كنوز فكرية وجمالية هو ايضا ملك لهم ، من معلقة امرئ القيس الجميلة ، الى اقاصيص شهرزاد وعنترة وقد تحددت من ليلة الى ليلة عبر قرون التاريخ العربي في كل مدينة عربية . هذه هي المشاركة الثمينة التي تعطينا اياها عروبتنا التي تتحرق في دماننا ممدودة الذراعين نحو تسعين مليوناً من العرب يتوزعون على مساحة شاسعة من الارض العربية .

ان هذه المشاركة هي التي تعطي للقومية العربية واقعيتها وجذورها المتمكنة ، ومن دونها تبقى الحماسة نظرية فلا تسندها الحياة . كلما كان الانسجام اكبر واوسع مدى كانت الرابطة اوثق واغوى وكان ثباتها في وجه اعدائها ايسر . ان المشاركة حيث وجدت تستتبع حماسات وحبا وصداقات . ومن ثم فان اغنية عربية واحدة تنبعث في جمع مختلط من ابناء العرب كفيلة بان تلهب مشاعرهم في لحظة ، وتشدهم بالف رابطة مرهفة فيندفع الواحد منهم نحو الآخر يتسم ويصافح ويتحدث . ذلك ان

الاغنية جزء من تراث الامة النفسي . ان لكل فرد معها تاريخا شخصيا . قد ترتبط الاغنية بلحظة من لحظات الطفولة لدى احدا ، بيوم غائم معين لدى الاخر ، بقطعة حلوى شعبية لدى ثالث ، بفترة المموج لا تنسى لدى رابع . لقد سمعنا هذه الاغنية ذات صباح ، في فترة معينة من عمرنا تركت فيها نكهتها ولونها . ومنذ ذلك اصبحت جزءا من تاريخنا الداخلي . ولكنها ايضا ، جزء من تاريخ فتاة جزائرية تعيش بعيدا عنا وراء المسافات ، وهي ايضا اغنية صياد سمك يافع على البحر الاحمر تبوح سمره وجهه بانه يتحدر من تاريخنا العربي نفسه . وما تكاد هذه الاغنية تنبعث حتى تشحن فينا تلك العواطف الدفينة والذكريات الحية وترفعنا الى مستوى واحد من الانفعال .

كل هذه الروابط ، كل اغنية عربية ، كل بيت شعر قديم ، كل حكمة وكل مثل ، كل تحية وكل لفظة في اللغة ، كل ذلك يشكل النسخ القومي الذي يجري في كيان العروبة الموهوب . وهذه الكنوز من الاغاني والقصص والالفاظ والاجواء والعواطف تربطنا ربطا محكما وتحفظ لنا في اعماقها رصيذا جاهزا من الانفعال يستطيع ان يشحن وينبعث في اية لحظة ويجعل ايدينا تماسك وتخلق مناصفا لا ترعزعه قوة في الوجود .

ب - الحاجة الى البذل العاطفي

يبدو احد وجوه حاجتنا الى القومية في حقيقة انسانية بسيطة هي ان الانسان مخلوق ذو عواطف ، وانه مجهز بقدرة عظيمة على الانفعال في مختلف الاتجاهات . وذلك انها طبيعة راسخة في الفرد البشري انه يحتاج الى ان ينفق طاقته الانفعالية ويتخلص منها والا اصبحت عبئا عصبيا ثقيلا يبهظ كيانه ويصيب توازنه النفسي بالاختلال . والمحبة ، بمختلف وجوها ومراتبها ، هي السبيل الاعظم لانفاق هذه الطاقة المشحونة من الاحاسيس فالانسان مخلوق محب ، وهو لا يقوى على الحياة مالم يحب كثيرا من الناس وكثيرا من الاشياء مختلف انواع الحب . ان لدينا طاقة من الحماسة والمودة تبحث ابدا عن مصب فتجد متنفسها في اصناف الصداقات والعلاقات الفردية التي يدور كل فرد في فلكها ، وتتسع حتى تتخطى الحدود الفرعية فتتجه الى الدوائر الاكبر ، حين تلتقي بالشعور القومي . ان العواطف الفردية الصغيرة التي يحسها انسان نحو جاره لا تلبث ان تكبر حتى تتحول الى العاطفة القومية . وكما ان الفرد لا يقوى على الحياة من دون اهل واصدقاء ومعارف يبادلونه مختلف درجات الشعور ، فكذلك يحتاج ايضا الى ان يحب مجموعا كبيرا بالغ الكبر ويمد اليه ذراعيه متعاطفا معه كل التعاطف . وانها لمزية خاصة بالانسان انه يملك ، في اعماق نفسه ،

القومية العربية والحياة

— تنمة المنشور على الصفحة ٤ —

يرضي نفسه كلها وانما كان نزوة مثالية انساق فيها مع نظرية محضة . وانما المحك هو القلب الذي يحكم بامرہ ولا يخضع الا لقانونه . وهذا القلب يفص بالدموع حين يتذكر النخلة الهزيلة التي كانت تقوم امام منزله في الوطن البعيد ، ويتأثر حتى لذكرى اولئك القرويين العرب الحفاة بشتائمهم وجهلهم وامراضهم . ولسوف يحس هذا الانسان كما احست صديقة لي غادرت مدينتها بعد ان اغرق دجلة الحي الشاسع الذي كانت تسكنه اسرتها سنة ١٩٢٥ ، فما زالت هذه الصديقة تحن اشد الحنين الى رائحة الماء الاسن والبقي الفطيع الذي عشت في المنطقة المغرقة بماء النهر .

ج - الحاجة الى الارتكاز والانساع

احد وجوه حاجة المجتمعات الى الاحاسيس القومية ان القومية تمد انسانية الفرد وتوسعها في مختلف الاتجاهات . . ذلك ان الانسان ، حين يشعر بانه فرد في جماعة كبيرة مقتدرة عديدة الملايين ، يكتسب احساسا بقوة روحية هائلة وباتساع وامتداد باذنين ليس لهما حدود . وما من شيء يلهب ملكات النفس مثل هذا الاحساس بالقوة والثقة والامتداد . ان الروابط الوثيقة المرفهة التي تشد عشرات الملايين من العرب ، تخلق منهم جماعة بكل ما في هذه الكلمة من مدلولات اجتماعية . وكل جماعة قوية خاصة اذا كانت جماعة متجانسة دما وتاريخا ولفة وتقاليد .

ان تلك اللحظة التي ينبثق فيها الاحساس القومي في اعماق الفرد العربي هي لحظة انبعاث تشد فيه طاقات جديدة هائلة لا يحدها شيء .

انها لحظة ميلاد وحياة وتفجر مواهب وتعطش للعمل والانتاج بكل ما في قدرة الانسانية من حماسة وحرارة . فما يكاد اصبع القومية يلمس ضمير الفرد العربي حتى يتسع في الزمان والمكان معا ويلاحظ فجأة ان له ملايين من الاخوة والاحباء في بقعة شاسعة من الدنيا . انه يخرج من ضيق بغداد او القاهرة او بيروت الى فضاء رحب ممتد ، اوسع مما تصله الاحلام . ان له ، لهذا الفرد العربي الذي تختلج روحه بنبعته القومية ، موانئ بيضاء مسترخية على البحر الاحمر والمحيط الاطلسي ، له مدن خضراء في شمالي افريقيا وجنوبي الجزيرة ، له مناجم وآبار نفط في بقاع قاصية ، له قتال السويس وشط العرب ومغارة قادشيا ، وهو يجد نفسه يتسع ويتسع حتى يسمع نفسه يتكلم باللغة عينها في الاردن ، ويضحك لنكتة عربية في ليبيا ويشارك باغنية شعبية ساذجة في صعيد مصر . حيثما اتجه هذا العربي فسيجا . اناسا يتحدثون بلسانه ويتسمون لنكته ويرددون اغانيه

من بذور الخير والمودة اكثر مما يحتاج اليه في دائرة علاقاته الشخصية الضيقة ، فلا بد له ان يمنح من حبه وحنانه الى الملايين . ان الفرد منا يحس باندفاعات جياشة نحو الآخرين ، نحو المجموع الاكبر ، تدفعه اليهم عواطف اخاذة وحنان مبهم لا تفسير له يصدر عن طبيعته العميقة الملزمة . وهذا الاحساس هو جوهر الشعور القومي ، نعطيهِ الى الحياة لانه يخلصنا من كثافة المشاعر الودية التي تغمر كياننا ولا بد ان ننفضها ، وفق قانون طبيعتنا . اذا كانت صداقاتنا الفردية تمنحنا تحقيقا لذواتنا المتعطشة الى الاخذ والعطاء ، فان صلاتنا الشعورية بالملايين توسع دائرة انسانيتنا وتخرجنا من الخاص الى العام ، وتضاعف مواهبنا وملكاتنا وقوة الخير في انفسنا . ومن هنا كانت القومية انماء لانسانية الفرد وشحذا لدوافع الخير والروحية في كيانه .

وقد يعترض معترض بان في امكان المرء ان ينشئ صلات الحب هذه مع ابناء القوميات الاخرى ، ومن ثم فان هذه الطاقة العاطفية الفطرية في الانسان ، لن تستوجب قيام المجتمعات القومية . والجواب على هذا الاعتراض ما سبق ان اشرنا اليه من ضرورة قيام عنصر المشاركة لكي يكتمل للانسان استقراره الروحي الحق وسعادته . اجل ، ان في امكان المرء ان يحب افراد القوميات الاخرى ، خارج منطقته ، كل الحب ، ولكن ذلك لن يملأ نفسه حق الملء ، وسوف يبقى في روحه فراغ دائم اشبه بالمرض ، ينادي بطلب علاقات قومية . وذلك هو سبب مانرى من تكتل الجاليات الاجنبية في البلاد ، فانهم يجدون سعادة في تقاربهم حتى لو كانوا في اوطانهم اعداء لا يمكن التاليف بين قلوبهم .

ولعله من سوء حظ دعاة العالمية ، ان الانسان ليس مخلوقا نظريا يخضع للعمليات الحسابية : وانما هو دائما ابن بيئته يستمد انسانيته وتكوينه المعنوي والمادي منها . وانما تكون سعادته ويكون نجاحه بمقدار ما يحقق لنفسه من انسجام في مختلف الدوائر التي يعيش فيها . فقد يؤمن فرد عربي احر ايمان واخلصه بانه ليس من فرق بين الشعوب ، ثم يذهب - على اساس ايمانه ذاك - ليعيش في استراليا مثلا ، ظانا انه بذلك قد حقق لنفسه السعادة المطلقة . غير انه سرعان ما يصطدم بانه غير منسجم ، وان المشاركة بينه وبين المحيط الجديد من الضالة بحيث يشعر بانه تائه مضيق عطشان ، دون ان يفهم لماذا . ولسوف يدرك هذا الانسان بسرعة ، ان ذلك الحب الذي ظن انه يكنه للناس والاشياء في البلد الجديد لم يكن حبا كاملا

ويحفظون تاريخه ويتحمسون لكل مايتحمس له ، وفوق كل شيء ، سيجد اناسا يحبونه وتخفق قلوبهم في الترحيب به ويفتحون له اذرعهم المثلفة .

وهكذا تمنحنا عروبتنا احساسا بقوة لامثيل لها . ان هذه الملايين من الوجوه العربية المشربة بحرقة الشمس تعطي الفرد الواحد منا سنداً عظيماً ونصراً وثقة ، وتشعره بأنه لا يقف وحيداً وانما ينتظره عبر المسافات اخوة مشاركون لا تشعب ، وودتهم ولا تنطفئ ولا تحول . وما يلبث الفرد حتى يملك فيضا من الثقة بالنفس والقدرة على الكفاح والحياة .

ان ترديد تسعين مليون انسان للاغنية التي اغنيها يخلق في نفسي ولا ريب قدرة سحرية على الاندفاع حتى استطيع ان ادحر الحواجز كلها ، وهذه اروع هدية تمنحنا اياها العروبة .

في الواقع ان هذه القوة الغالبة التي تكسبنا اياها احساساتنا القومية هي التي تجعل الاستعمار يحارب الدعوة القومية ويحاول خنقها بكل وسيلة تتاح له . يحاول الاستعمار ان يمنعنا من ان نكون قوميين كما يمنعنا من الاستفادة من الغلال والكروم الطيبة التي تمنحنا اياها اراضيها الخيرة المعطاء . يود هذا الاستعمار لو حمل انهارنا ومضى بها ، لو عرى جبالنا وودياننا من التوت

والجوز والزيتون ، يود لو جف النسيم فلم يعد يحمل الرطوبة والحنان الى شفاة السنايل المتحرقة في سهولنا العربية الخضر . ولكن القومية العربية هي ائمن مايريد الاستعمار ان يسلبنا اياه . فلو كانت هذه القومية مادة تلمس وتحمل لمضى بها ديفول وايزنهاور ومكميلان كما يمشون بالنفط والذهب والقطن والتمور . ولكن قوميتنا والحمد لله ، لا تسرق . ان العروبة هي كنزنا واعز ممتلكاتنا . ونحن نملكها كما نملك النور والهواء والقمر والعبير ، فهل في وسع جيوش الاستعمار ان تسلبنا هذا ؟ اننا نقبض في ايدينا على القوة القاهرة التي تؤرقهم وتخيب كل مطامعهم . ففي ايدينا المتشابكة حرارة العروبة وحماسة القومية فلن يفرقنا بعد ذلك اي شيء .

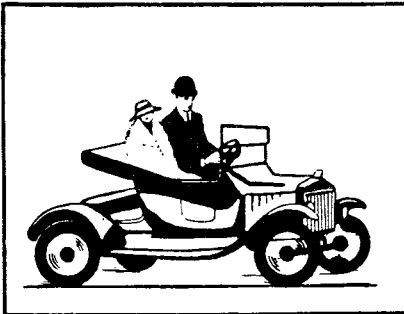
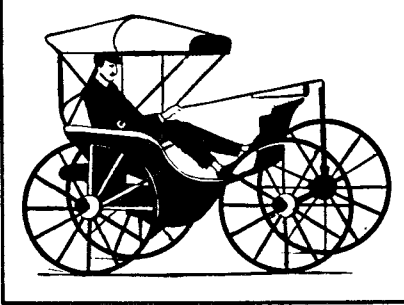
ان ضمان المجتمع القومي لهذه الحاجات الطبيعية الثلاث في حياة الفرد يجعل القومية العربية سبيل حياة للفرد وللجماعة معا فنحن نحس الحاجة اليها كما نحس الجوع والعطش والحنين . وان جوع العروبة في نفوسنا لهو اشد انواع الجوع واحبها لانه الجوع الاسمي الذي يرتكز الى عطش الاكمال وحرقة الحياة نفسها ، فلا سعادة لنا من دونه ولا غد ولا انسانية .

نازك الملائكة

بيروت

تطوّر وسائل النقل

من السيّارات الشبّيهة بعربات الخيول
والسيارة البدائية إلى السيارات الحديثة والشاحنات الضخمة



النفط
يساهم في التقدم

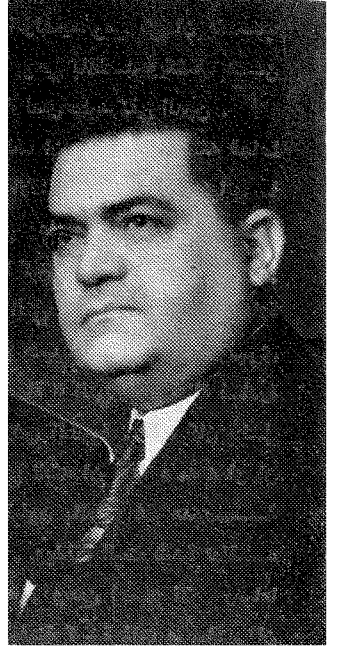


شركة نفط الكويت المحدودة



سعيد تقي الدين والقصة القصيرة

بقلم الدكتور هديل دريس



ظل سعيد تقي الدين طوال ثلاثين عاما في مهجره يغني العودة الى الوطن ، ويحمل كل مايكتبه هذا الحنين العميق ، عبر مسرحيات وأقاصيص يمثل الدور الاول فيها « المغترب » ويدور موضوعها الرئيسي حول « الارض » .

ولكن سعيد تقي الدين عاد الى لبنان ليعيش فيه قلقا سياسيا عنيفا ضيع فيه نفسه وقدره ، وانتمى الى حركة القوميين الاجتماعيين التي نكرها نحن القوميين العرب ، ثم اضطر الى مغادرة وطنه في اعقاب الثورة اللبنانية ، وعاد الى المهجر ليموت في اعنف اغتراب روحي عرفه اديب في هذا العصر .

ولكن الغريب في امر هذا القصاص ، انه انتهى اديبا حين بدأ سياسيا ، فلم يكتب قلمه اثرا فنيا واحدا بعد انخرطه السياسي . وحين ندرس قصته ، ونقف على ماتحملة من قيمة في تاريخ قصتنا الحديثة ، ندرك الخسارة التي نزلت بفن القصة القصيرة في لبنان بعد موت سعيد تقي الدين ، لامنذ شهرين ، بل منذ عشر سنوات على الأقل .

الناطقة ، وعمق الشعور المعاش ، كل ذلك يظهر شخصية المؤلف منخرطة في العمل الفني . والعق ان تميز ذلك « الصوت » وخصوصيته هما اللذان يجعلانه مثقلا بقيمة بشرية قلما نلمس شبيها لها في قصصنا الحديث ، وهو يثبت لنا ان بإمكان صاحب الموهبة ان يبلغ ماهو بشري عام ، عبر ما هو فردي خاص .

ويستمد سعيد تقي الدين موضوعاته من منبعين : الهجرة والارض . فاذا عرفنا ان هذين الموضوعين مرتبطان بوضع المؤلف الذي هاجر الى الفلبين وتاجر واغتنى ، فيما ظل يحن ابدا للعودة الى ارضه ، ادركنا السبب العميق في حفول اقاصيصه بالنبضة الحية التي تقنع القارئ بالواقعية او باحتمال الوقوع .

ومعظم اقاصيص المجموعات الثلاث الاولى تجري حوادثها في ميدان التجارة ، او تتناول موضوعا يلعب فيه المال الدور الاول ، ولكن تظل في ضمائر الابطال الذين يصيرون الفنى خيبة او حسرة او تمزق او ندم ، فكانهم اغتنوا على غير استحقاق ، او اغتنوا بافقار اخرين ، او اغتنوا بالخداع والمكر والخيانة .

ف « موجة نار » هي مثلا قصة رجل كان يعيش في الفلبين عيشة عوز وفقر ، ولكنها مع ذلك عيشة سعادة ورضى ، اذ كان يرى الحياة كلها مرحا وطمانينة وأمنا . حتى اذا وانه الحظ فاصبح غنيا ، نفس حياته كلها همّ جميع المال وصرفه وحرصه عليه ، وحسب يوما انه سيسترجع سعادته اذا هو انفق كل ماله في عمل خيري ، وان الدنيا كلها ستصنق له . وحين وضع « التشاك » بصرف هذا المال امام عينيه ، تقلعت اصابعه ، واصاب الشلل يده ، جينا عن توقيع التشاك ، ولم ينفع بعد ذلك دواء ولا طبيب في معالجته .

وتحتوي هذه القصة التي تبين تأثير الحدث النفسي على الفيزيائي تحليلا دقيقا وغنيا للنفس الانسانية المشدودة الى المادة ، بواسطة الحركات لا التصوير النفسي . واجمل مقاطعها تلك التي يقارن فيها المؤلف بين حياة جميل السفيني فقيرا وحياته غنيا ، فهي انموذج رفيع لتصوير الهواجس التي تراود الانسان حين يغني فيبخل . اقرا مثلا هذه

ولسنا نقصد بذلك ان نحرم على الاديب ان يشارك في الحياة السياسية لوطنه وقومه ، فالاديب الحق لا يستطيع الا ان يشارك ، ولكننا نطلب ان يحول دون ان تقتل هذه المشاركة الفنان فيه .

والواقع ان سعيد تقي الدين قد انتهى اديبا حين اصبح داعية ، وغدت كتاباته بوقا للتسييح بمبادئه . وكما كنا نود لو انه ضمن معتقداته رواية او مسرحية ، او حتى قصة قصيرة ، تكون قبل كل شيء رواية او مسرحية او قصة . لو فعل ذلك ، لتضاعف كسب الادب منه ، ولما خسرنا فيه وجها من المع قصاصينا المعاصرين .

✱

صدر لسعيد تقي الدين عشرة كتب منها اربع مسرحيات تتضمن اثنان منها مجموعتين من القصص ، ومجموعتان اخريان ، واربع مجموعات من المقالات اكثرها سياسي . وبينا هنا ان ندرس قصته القصيرة في مجموعاته الاربع : « الشك الاسود » (١٩٤٦) و « موجة نثار » (١٩٤٨) و « غابة الكافور » (١٩٥١) و « ربيع الخريف » (١٩٥٤) .

وليست اقاصيص هذه المجموعات مجرد سرد حادث او عرض صراع او تصوير شخصية ، وانما يكمن خلفها كلها اثر من « صوت خاص » يربط بين الانتاج وبين مؤلفه اوثق ربط . ان حياة المؤلف ، بتعبير اخر ، تنبض وراء هذه القصص وتمنحها ضمانتها وصدقها ، بحيث لا يبدو كاتبها حرا في ان يخلق ما يروق له خلقه ، فيتعرض بذلك لسهولة التخييل والاعتباط ، وانما يروي قصصا « حقيقية » تفترض تجربة واقعية ليس من الضروري ان تؤلف الحدث كله ، وانما يكفي ان تكون نقطة انطلاق له ، او نقطة نهاية . ومن اليسر على قارئ هذه الاقاصيص ان يشعر بان مؤلفها لا يخلق شخصياته خلقا ، انما يستل من نفسه ، من حالاته النفسية التي تتعشا تجربته او رؤاه ، ابطالا يعكسون مظاهر خفية من شخصيته الخاصة . وان حيوية التعبير المتوتر وحرارة اللهجة

العبارة الراعشة بحرارتها :

« أتذكر يا بحار يوم جأته من لبنان علبة الزيتون ؟ وجئت أنت ونسيب ويوسف وسليم معي الى البيت ؟ وفي طريقنا اشترينا بستين سنتيما خبزاً واربعين سنتيما خياراً . وأكلنا وأكلنا وأكلنا . وضحكنا وضحكنا . اما اليوم ، فان وجوه المدينة يأتون الى العشاء في بيتي ، فلا نتبادل الا المداخلة ، واني اعد عليهم حبوب العنب اذ يأكلون - كيلو العنب ثمنه ثلاثة دولارات يا بحار .. »

وانظر قوة التصوير في قوله وهو يتحدث عن جبن جميل حين دفع اليه التشاك ليوقعه : « ان نفسي جفت وتصلبت ، وانطوت على نفسها مثل هذه الاصابع الميتة »

ويمثل هذا النفس كتب المؤلف « لعنة كتاب » و « الطابة الخضراء » و « غابة الكافور » وكلها تتناول موضوعاً مشابهاً : رجل يقتني بعد فقر فيقع بسبب وضعه الجديد في موقف حرج ، ولكنه يتعلّق دائماً بالمادة ويضحى من اجلها بكل شيء . العقاب العادل ما يلبث ان ينزل به : ان بطل القصة الاولى يذهب ضحية مضارباته فيموت برذا في دير حرمة هو نفسه من وسائل التدفئة . واذا كان بطل القصة الثانية قد سقط تحت وطأة السل لان ثريا امتنع عن اعطائه الستربتومايسين الذي كان يحتكره وحده ، فانه لاموت الا بعد ان يعدي بمرضه ابن الثري ، ذلك الابن الذي كان الوالد يجمع من اجله المال ويستغل الفقراء . واما بطل القصة الثالثة ، فهو صحفي يخشاه الناس لصراحته في مقالاته ، ولكنه يبيع نفسه بثمن غابة من الكافور ، فيشعراخر الامر بانه محكوم عليه بان يعيش وحيداً في قصره المترف ، لان اثار الغابة نفسها كانت مطبوعة على وجهه ، وكان واقفاً من ان جميع الناس يرونها ، هذه الغابة المجرمة ! ولعل قصة « القدم الناطقة » تعتبر ابلغ تعبير عن فن سعيد تقسي الدين في معالجة موضوع الغنى الذي يصيبه صاحبه بلا ضمير . فان حركة بسيطة تكشف النقاب في هذه القصة عن حقيقة كان صاحبها شديد الحرص على اخفائها . انها قصة خادم كان يطمع بثروة سيده ، فقتله وسلبه ولاذ بالفرار ، ولكنه كان قد اعد امر سفره الى امريكا ، وترك زوجة سيده وابنه لتضاريف القدر . وبعد عشرين سنة اشتغل في اثائها وثمر الثروة المسروقة ، فكر بالعودة الى مسقط رأسه ، فغير اسمه واجرى عملية في وجهه بدلت ملامحه تبديلاً كبيراً حتى انه لم يبق يعرف نفسه . بل هو قد اجري عملية في حنجرته تغير معها صوته . وحين عاد الى لبنان اشاع حوله شائعات ثروته الضخمة ، واشترى قصراً في قرينته القديمة ، وراح يستقبل سكانها ببذخ كبير . وكان بين الزائرين ابن سيده القليل ، وكان قد اصبح استاذاً للمعلم النفس في احدى جامعات بيروت . فعين سمع المهاجر الثري يعبر عن رغبته بان يرد له الزيارة ، سارع الى اظهار سروره العظيم بهذا الشرف ، ورجا الثري بان يمهل بعض الوقت ليتمكن من ادخال بعض الاصلاحات في بيته ، ثم عين له يوماً دعاه فيه الى تناول العشاء عنده . وقام استاذ علم النفس بالاصلاحات اللازمة ، وكان منها ازالة عتبة عالية كانت قائمة على مدخل غرفة الطعام . وتمت الزيارة ، ودعي الثري الكبير الى دخول غرفة الطعام لتناول العشاء . ورفع الضيف قدمه ليرقى العتبة ، العتبة التي كانت قائمة فازيلت ... واذا ذلك فقط اطلق عليه الابن المتنبه رصاص بندقيته فارداه . وهكذا نطق قدم الضيف وخانتته .

وليس من العسير على القارئ ان يلمس النزعة الاخلاقية لدى

مؤلف هذه القصص . ان كل عمل يحمل في ثناياه ثوابه او عقابه . ولكن ذلك ينبثق عفواً من القصة ، لان المؤلف يحترس من ان ينصب نفسه واعظاً . ان تطور الاحداث هو الذي يوحى بالقصد ويكشف عن الغاية . وهذا عنصر هام من عناصر الفنية لدى سعيد تقى الدين .

اما موضوع الارض فهو الذي يتيح للمؤلف ان يكشف عن نفسه قصاصاً من ابرع قصاصي اللون المحلي والتصوير الاقليمي . فالقرية بحياتها المنطوية واخلقها وعواطفها التي تختمر في وعاء مقلق هي عجيبة خصبة استمد منها صاحب « نخب العدو » عدداً كبيراً من اقصيصه . وهو يهتم اهتماماً بيناً باستغلال تلك العواطف التي تغلي وتغور وتكون مادة جديرة بان تعجن ويغاد منها ، فمنها ينتج حب عظيم للارض كما نرى في قصة « حمود » وخصوصاً قصة « المرساة » التي تصور حالة نادرة من احوال الحب الابوي ممتزجا بحب الارض الخيرة . فقد كان بطل هذه القصة مخيراً بين ان يبيع ارضه ليتيح لابنه ان يبدأ علمه ، او ان يخفي ليعتبر ابنه يتيماً « لان الايتام يقبلون بالجان في مدرسة القرية » . ولكنه يختار حلاً ثالثاً فينتحر . وبذلك أثبت شدة تعلقه بأرض الاجداد التي سيحفظها الابن لنفسه . وحين اصبح الابن رساماً كبيراً ، خلد ذكرى والده في لوحة تمثل سفينة كبيرة ذات مرساة . ان تلك المرساة ليست الا والده الذي اغرق نفسه من اجله ، اي ليعوم هو .. وقريب من هذا موضوع قصة « المرحوم » الذي يعالج فكرة افتداء الابناء .

وفي « صورة ام فريد » حب رؤوم لا يقل انسانية عن حب القصة السابقة . و « شيخ القافلة » و « ظل الصوت » و « ضيعة الكلاب » تقدم لنا لوحات هامة عن التقاليد والعادات القروية في لبنان . وجميع ابطال هذه القصص مدموغون بالاخلاص والصدق والبساطة والنبل وحس الكرامة ، وهم يوحون الحب ويجنبون الى قراهم ود المدنيين واحترامهم . وقد يكون « الحقد » هو اكبر موضوع عالجته المؤلف حين صور حياة القرية . والحق ان هذه العاطفة الكاسحة تتأكل نفوس كثير من القرويين الذين يتميزون في الوقت نفسه بالسماحة والنجدة والغيرة . ولعل قلوب اهل القرية في لبنان هي اوسع القلوب البشرية في احتواء المتناقضات من الاحاسيس . انهم متطرفون غاية التطرف ، يحبون اعنف الحب ، ويبغضون اعنف البغض ، ويحقدون اعنف الحقد . حتى بين الاخوة ، تبلغ الضغينة ذروتها . و « قفزة النهر » تحلل مثل هذا اللون العجيب من الوان الضغينة يكنها اخ لآخيه التوأم ، وكان امله دائماً ان يتمكن يوماً من قتله لسبب ما . وقد قفز يوماً الى النهر الذي كان اخوه يصطاد على حافته ، واوشك ان يخنقه بيديه لو لم يتدخل بعض القرويين ، وتم العزم يومذاك على ان يعيش الاخوان منفصلين ، ويسكن كل منهما بلداً . ومر على ذلك اربعون سنة اصيب في اثنائها الاخ الحقد بأمراض خطيرة عجب الاطباء انه استطاع ان يقاومها ويعصى الموت ، وهو لم يمت بالفعل الا يوم عرف في رسالة ان اخاه البعيد قد مات . وقد شرح احد الاطباء هذا الحادث بان الحقد الذي يمكن ان يبلغ لدى القرويين درجة غير معقولة هو الذي كان يمسك عناصر الحياة عند البطل ويكهربها . فقد كان أشق شيء عليه ان يموت قبل اخيه . فلما اخذ الموت عدوه ، تلاشت القوة الخفية التي كانت تمسكه ، وحدثت انهيار الحياة في جسمه . اما المؤلف فيشرح الامر على نحو آخر : حين تلقى البطل نبأ موت اخيه ، ألم يره الناس يشد على اسنانه وتتقلص اصابعه ؟ لقد عرف ان اخاه انتقل الى الضفة الاخرى

من الوجود ، فقفز النهر كالمرّة السابقة ليخفق اخاه وعدوه !

هذه القصة التي تصور بمق قوة الابعاء ، تبرز في الوقت نفسه اهمية الفيزيائي وارتباطه بالنفسي . والحق ان معظم اقصيص هذه المجموعات تنم عن ان المظهر الفيزيائي لا يمكن ان يكون في نظر المؤلف : « أجوف » فارغاً ، وانما هوداً ماذو معنى . فوجه ما ، ووضع ما ، وحركة ما ، هي دائماً محملة بطاقة نفسية معينة وبقوة دراماتيكية . وهو ان صور شخصاً من الخارج ، فانه يصوره من الداخل في الوقت نفسه ، لان تعبيراً بسيطاً من تعبيرات الجسم ، كحركة او مشية خاصة ، يوحي برد فعل معنوي ، وبموقف نفسي لا حاجة الى توضيحه او التعليق عليه .

✱

لسنا نبالغ اذا ذهبنا الى ان سعيد تقي الدين هو بين كتاب القصة اللبنانية اكبر قصاصي « الهجرة والاعتراب » ، وهو بالتالي خير من يمثل « النكهة » الخاصة التي تختص بها القصة العربية في لبنان ، واللون المحلي الذي يميز انتاج بلد ما عن بلد آخر . واقاصيص صاحب « الثلج الاسود » ترمز الى عواقب الهجرة من الناجيتين النفسية والاجتماعية . فمعظم ابطاله مهاجرون اصابوا غنى بعد فقر ، فقام في نفوسهم الصراع بين الواقع والمثال ، بين الشهوة والطهر ، بين الطمع والزهّد ، بين الانانية والتضحية . وقد كان الامر ينتهي بهم ابداً الى تغليب الواقع على المثال ، وفي هذا تصوير حقيقي لوضع المهاجرين الذين يعيشون في اوساط الالية والمادية ، فيصبح معظمهم آليين ماديين . على انهم لا يتمتعون بلذائذ طمعهم وشهوتهم وانانيتهم ، بل هم يصيبون جزاء عادلاً هو في الحق تكفير عن اطماعهم ، واستغفار عن ترميغ مثالياتهم بالطين والوحل . ولا شك ان في ذلك رمزا لتمجيد الارض الخيرة ، القنوعة المقتنة ، المحبة الحبيبة .

واذا كان الحاح المؤلف على هذا الموضوع يمنحه العمق ، فانه يسيء في الوقت نفسه الى تنوع الافاق . وهذا ما يؤخذ على سعيد تقي الدين . ان قصصه لا تكاد تخرج عن موضوع اكتساب المال في المهجر وما يجره ذلك من احداث وصراعات . وقد ذكرنا ان هذا الموضوع مستمد من حياة المؤلف نفسه ، ومزية ان يكون فن الكاتب صادراً من اعماق وجوده ، منتزعا من ثنانيا الشعور ومن طوايا التبرم ، وان يكون كل شيء معاشاً ان لم يكن دائماً بالفعل فبالشعور والتأثر . ففي ذلك تجربة داخلية ومعرفة حقيقية للنفس . ولكن التجربة الشخصية لا تكفي لاستكمال ابعاد عالم بيسكولوجي قائم بذاته ، لانها تفتقد التنوع ، فتعطي صورة ناقصة عن الحياة .

والواقع ان القارئ يبحث في اقصيص سعيد تقي الدين عن آفاق اخرى تختلف عن افق الهجرة والسعي وراء المال والفنى ومشكلاته ، فيكاد يعجزه ذلك . وقد يستبشر خيراً حين يبدأ قراءة اقصوصة « ربيع الخريف » لانها تصور جوا عاطفياً غرامياً لا يجده في الاقصيص الاخرى ، لكنه ما يلبث ان يجد هذا الجو قد ارتبط سريعاً بجو العمل والتجارة !

وقد يكون مرتبطاً بهذا المآخذ اننا نفتقد في اقصيص سعيد تقي الدين تعبيراً عن قضايا العصر الكبرى التي عاشها هو او التي عاشها جيله ، ككاثرة فلسطين ومأساة التمزق التي خلفتها في ضمير كل عربي ، وقلق الاجيال الجديدة على مستقبلها ومصيرها ، ونشدها ملاذ تفذي فيه املاها باسترداد ما فقدته من شعور العزة والكرامة ، ومشكلة المرأة في الحياة العربية الجديدة ، وما الى ذلك من القضايا التي لا بد للاديب ان

يعيشها اذا كان حقاً شاهد عصره ، وكان من المشاركين في تقديم هذه الشهادة للتاريخ الادبي .

اما كفتان تكتيكي ، فنعتقد ان المؤلف لا يتوزع البراعة والصناعة . ذلك ان فنه يخلق قبل كل شيء جوا يقيم فيه جسم الحكمة على قواعد ثابتة . والذي يبتعث هذا الجو مجموعة من التفاصيل تؤلف تأليفاً بديعاً بناء القصة ، وتبرز المشهد الرئيسي فيها بواسطة انارة حكيمة ، بحيث ان كل شيء يسهم اول الامر باعداد ثم باظهاره بصورة نافذة . ويعتقد المؤلف نفسه ان احد العناصر الرئيسية التي ينبغي ان تشكل تكتيكاً كاملاً في التأليف القصصي « ان تدس الحادثة التي تريد ان تستغلها بين كثير من الحوادث بحيث ترسخ في عقل القارئ الباطن ، من غير ان ينتبه اليها . ولكنك حين ترجع الى استثمار تلك الحادثة او الصورة او العبارة ، تقفز تلك الصورة او الحادثة او العبارة من العقل الباطني وتنسجم بما تريد ان تستغله . » (١) وهو يرى ان من عناصر الصنعة التنبه الى التفاصيل وخلق جو حقيقي في القصة ووضع تصميم هنيئسي لها .

غير ان براعة المؤلف في ربط الاحداث وسلسلتها وجعلها منطقية في التدرج وتقليص مدتها الزمنية بالايجاز والتلميح والابعاء ، كل ذلك يخفي مأخذاً اخر نقع عليه اذا استعرضنا اقصيصه . ونقصه به توسيع رقعة الحدث القصصي بحيث يصبح حدثاً روائياً او احداثاً روائية كاملة . فمعظم هذه الاقصيص تروي حياة بطل برمتها ، وهي تنتهي بموت البطل او سقوطه في مرض خطير او قتله او انتحاره ... ولا تكاد

(١) « حفنة ربح » قسم مراسلات بين المؤلف وسهيل ادريس .

دار مكتبة الحياة في بيروت

صدرت عنها الكتب الجديدة التالية

الجزيرة والاسلام	(تأليف دانيال دنيت)
عبقريّة الفاطميين	(تأليف محمد حسن الاعظمي)
ثورة العراق	(تأليف كار اکتاکوس)
الملوك الهاشميون	(جيمس موريس)
اندولف تشرشل يناقش ايدن (راندولف تشرشل)	
مذكرات ايدن	
كانت لنا ايام	(حسين السيد)
عذارى الهياكل	(جوزيف حرب)
غابة الابنوس	(صلاح احمد ابراهيم)

دار مكتبة الحياة - بيروت - ص ١٣٩٠

نجد اقصوصة واحدة تقوم على تصوير لحظة نفسية قصيرة ، وتتغادى الضخم من الاحداث ..

★

لاشك في ان سعيد تقي الدين متأثر بالقصة الاميركية موضوعا واسلوبا . وتأثره بالموضوع معزو الى انه شارك الاميركيين حياتهم فترة طويلة من حياته . وهو متأثر بأسلوبهم في معالجة القصة ، من حيث ان تكنيكه جاف واضح وعنيف . فليس هناك تصوير للعواطف ولا للمناظر ، وانما هو يعبر عما يريد به بواسطة الحركات والاحداث ، وتأثر القارئ يولد من اكتشافه لما يريد المؤلف ان يعبر عنه بحاسته التراجيدية والفنية . وبالرغم من ان الكاتب يحرص على تفادي التعليقات ، ولا سيما الخلقية منها ، فانه لا ينجو دائما من ايراد عبارات تقريرية تقطع السياق السردى وتبرز تدخل المؤلف بطريقة مزعجة . فقد جاء في قصته « المرحوم » مثلا : « وكان من الطبيعي ان يفكر الناس - والناس فسي القرى يقررون امور جيرانهم - ببيع الكرم .. » وعند احد المقاطع ، توقف المؤلف عن السرد ليقول : « بعض المصائب يؤجل يومها ولكن وقوعها محتتم ، فانهى الامر بدفع الدية » ويقول في مكان اخر : « يد الخراب تبطش حين تغيب يد العناية » الخ ...

ويملك الكاتب بعد هذا لغة شاعرية نابضة تحفل بالاستعارات والصور والتوتر ، وتخلق لدى القارئ فضولا متنبها للاستمتاع بالمعاني الجديدة والاكتشافات التعبيرية المبتكرة . ولا نحسب ان اسلوبا من الاساليب العربية الجديدة ينم على صاحبه كما ينم هذا الاسلوب . وروح الفكاهة عنده نادرة في ادبنا الحديث ، وهو لاشك متأثر في ذلك بالكاتب

نسوان من لبنان

للاستاذ اسكندر رياشي

ليال حمراء في قصور العظماء ، فضائح

غراميات ، مغامرات ، تقرأها كلها في

كتاب « نسوان من لبنان »

٤٠٠ صفحة طباعة أنيقة رسوم بريش اشهر

الفنانين

الثلث ٥ ليرات

يطلب من الناشر دار الثقافة - ص.ب ٥٤٣

بيروت

الاميركي « او. هنري » ، كما انه يذكرنا في ايثاره الحس على التحليل باقاصيص « شرود اندرسون » . ولعل نصف الوعي الذي استغله في « القدم الناطقة » و « لعنة كتاب » و « ظل الصوت » هو صدى لنزعة اندرسون نفسه . ثم انه يستدعي الى ذهننا احيانا طريقة وليم فولكنر ، من حيث انه كثيرا ما يبدأ قصته من نهايتها ، فيضعنا تجاه عناصر متفرقة لقضية ما نتوصل نحن الى بنائها وحلها بعد سلسلة من الاوصاف والمونولوجات الداخلية (المرساة مثلا) .

★

من القصص التي لازالت منطبعة في ذهني ونفسي قصة « الصورتان » التي قرأتها منذ اكثر من عشر سنوات منشورة في احدى صحف بيروت . وقد ظهرت في مجموعة « غابة الكافور » بعد ذلك . وهي تروي قصة محام لبناني توجه الى سوريا ليدافع عن قضية احد القتلة ، على يقينه من ان القاتل كان مجرما وكان ينبغي ان يحكم عليه بما يستحق . ولكنه لم يكن اقل تيقنا من انه سيتمكن من تبرئته بما اوتي من براعة . وفي يوم الدعوى توجه المحامي الى دمشق ، فمر في طريقه بقرية لبنانية التقى فيها بفلان يشير له ان يقف سيارته ويحمله معه الى منزله في القرية المجاورة . واتفق المحامي مع الصبي في اثناء الطريق على ان يجلب له من دمشق اذ يعود في المساء زوجا من الاحذية مقابل ارنب بري يقدمه له الصبي مما يكون قد اصطاده في ذلك اليوم ، لاسيما وان تراكم الثلج كان يعد بسهولة صيد الارانب . ولكن المحامي لم يعد الى بيروت الا في اليوم التالي ، بسبب ان ذوي موكله الذي اعلنت براءته في ذلك اليوم قد استبقوه لديهم ضعيفا . وقد شرب كثيرا في ذلك المساء .. وفي اليوم الثالث ظهرت في احدى الصحف صورتان : اولهما صورة القاتل الذي برىء ، والثانية صورة « صبي وجد ميتا تحت الثلج وبيده ارنب » ... وتنتهي القصة بمشهد المحامي وهو يشرب الويسكي ليتعزى من جريمته ..

ان حس الفجعة الذي يبرز من هذه القصة ينم عن ادراك عميق للحياة . والندم الذي يشعر به المحامي لانه دافع عن قضية ظالمة وسبب موت صبي بريء ندم لا يمكن التعبير عنه . ولكن فن المؤلف تطلب على هذه الصعوبة اذ جمع الشخصيات والقصة والدى والحقيقة نفسها في توازن حكيم وتاليف رائع كانا وجدهما جديرين بالتعبير عن اعماق ذلك الندم .

وميزة سعيد تقي الدين الاولى انه يسعى اذ يقدم لك احدى قصصه ان يعري لك العاطفة البشرية فيبث في نفسك هزة انسانية هي اقصى ما يطمح اليه الفنان . الا نقرأ له عبارة تلخص بطريقة لا واعية كل تجربته الانسانية والفنية حين يقول في معرض حديثه عن ذكريات حياته (١) .

« اسائل نفسي ما هم الناس بحكاية رجل افتقر ثم لم يعد فقيرا ، وفتى اقدم على الانتحار ثم لم ينتحر ، واخر حلم ببنائة فنالها ابنه ؟ كل هذه امور توافه . ومن التوافه ايضا اختراع التلفون ، واحتلال برلين ، واكتشاف البنسلين . الامر المهم هو النفس الانسانية واختلاجاتها . ولقد نقلت لك نبا رعشة روحية » .

هذه الرعشة الروحية هي التي تهزك حين تنتهي من قراءة احدى اقاصيص سعيد تقي الدين ، وهي التي هزتني حتى الاعماق حين قرأت نبا نعيه في آلم اغتراب روحي عرفه اديب في هذا العصر ..

سهيل ادريس

(١) انظر « دروب موحشة » في مجموعة « ربيع الخريف » .

الأبحاث

بقلم عبد المحسن طه بدر

★

يشعر القارئ وهو يطالع أعداد مجلة الآداب بأنها مرآة صادقة تعكس الواجهة الفكرية والإدبية لمجتمعنا العربي الحديث بكل ما فيها من قوة وضعف . والسمة الواضحة لمجتمعنا العربي الحديث هو أنه قد انتهى من عفويته وضياعه بين تيارات دخيلة تمزقه وتمزق المثقفين فيه كما أنه يتجاوز المرحلة الخطابية التي يقتصر فيها على ترديد الشعارات إلى مرحلة العمل الجاد لكي تصبح هذه الشعارات حقائق واقعة ملموسة . وقد سار مجتمعنا خطوات واسعة في هذا السبيل لتتحول الشعارات التي ينادي بها إلى واقع ملموس .

والمجتمع العربي لذلك يحاول الكشف عن كل قواه الكامنة وإزاحة العوقات من طريقها لكي يستطيع استقلال قدراته من ناحية وتوجيهها الوجهة الصحيحة من ناحية أخرى . وهذا يفرض على المثقفين جميعاً أن يتجاوزوا العفوية في كتاباتهم وأن لا يقتصر دورهم على ترديد هذه الشعارات وإنما عليهم دراسة هذا الواقع دراسة موضوعية تهدف إلى تقديم مخطط واضح لامكانياتنا في مختلف المجالات والقوى التي تحاول إعاقة هذه الإمكانيات والوقوف في سبيلها .

ولست اتجنى على الحقيقة إذا قلت أن مجتمعنا العربي ما زال يفتقر إلى الدراسات الجادة الموضوعية فيما يتصل بالكثير من مجالات حياته الاقتصادية والاجتماعية وحتى في المجال الأدبي . فإرغم وفرة إنتاجنا في مجال القصة تندر الدراسات الموضوعية في ميدانها نادرة عجيبة ، بل أن قضية الشعر الحديث رغم أنها فرضت وجودها على واقعنا الأدبي منذ أمد طويل ما زالت حتى الآن تفتقر إلى دراسة موضوعية أصيلة تجيب على سؤال بسيط وهو هل هذا الشعر ضرورة تحتمها ظروفنا الاجتماعية والإدبية أم أنه نزعة عارضة يمكن تجاهلها والاستغناء عنها ؟

والتأمل في واقعنا الأدبي والفكري يدرك تماماً أن الكثيرين من أدباء هذا الجيل وخاصة من الشباب لا ينقصهم الإخلاص ، وتظهر بعض الدراسات الجادة الموضوعية التي تدفع إلى التفاؤل بالإضافة إلى ما تنبض به من إخلاص ، ولكن هناك الكثير من الدراسات التي يغلب عليها الحماس أحياناً فيفقدونها الكثير من قيمتها كما أن بعضها الآخر لا يتعمق المشكة كثيراً فتبدو الدراسة وعليها طابع من السطحية .

والأبحاث التي نشرت في العدد الماضي من الآداب لا ينقصها الإخلاص ، وبعضها وعلى الأخص بحث الدكتور عزة النص يتحقق له الكثير من الموضوعية أيضاً . وموضوع البحث على محورين رئيسيين : المحور

الأول يحاول فيه المؤلف تحديد العلاقة بين مجتمعنا العربي وبين تراثه القديم ، والمحور الثاني يدور على فرض نظري يحكم فيه المؤلف على مصر الإنسانية في مستقبلها . والواقع أن الدكتور عزة قد حدد لنا بدقة الجزء الأول من بحثه النظرة الصحيحة التي ينبغي أن ننظر بها إلى تاريخنا القديم حتى يصبح دافعا إلى التطور لأمعوقا له . فهو أولا يريدنا أن نتخلص في نظرنا للتاريخ من عقد النقص التي تجعلنا ننظر إلى ماضينا وحاضرنا بعين مغلقة فلا نستفيد من دروس التاريخ لنا ونكتفي بأن ننظر إلى الصفات المشرقة من هذا التاريخ فنحدث عنه في الصورة التي وصف بها أحد شعرائنا النيل فقال :

أرضه لم تعرف القيد ولا خففت إلا لباريها الجبين
والاستفادة من دروس التاريخ تحتم على الإنسان أن يرى عوامل الضعف وعوامل القوة وأن يستفيد من النصر كما يستفيد من الهزيمة ، وربما كان درس الهزيمة أبلغ من دروس النصر . وهذه النظرة المزدوجة إلى التاريخ تفيدنا أيضا في النظرة إلى الواقع فهي تقف سدا بيننا وبين النظرات التي تعتمد في تصويرها للواقع العربي إلى الحديث عن مظاهر القوة وحدها دون أن تحاول الكشف عن جوانب الضعف ، وتحاول تصوير الإنسان العربي على أنه كتلة من الفضائل كما تحاول تصوير تاريخنا على أنه سلسلة متصلة الحلقات من البطولة .

كما أن الباحث يحذرنا من تقديس تاريخنا حتى لا تدفعنا هذه النظرة إلى أن ننظر إلى الحياة نظرة متحجرة تغفل تماما أن الحياة حركة دائبة وتجدد مستمر وأن الحياة في تجدها تنظر دائما إلى القديم فتطرح من القيم البالية المستهلكة لتحل محلها قيما جديدة . أما المجتمع الذي يقتصر على القديم وحده ويعيش على تقديسه فإنه مجتمع جامد مقضى عليه بالموت .

والواقع أننا مدينون للدكتور بهذه الملاحظات القيمة والتحديد الدقيق لنظراتنا إلى التاريخ ، وذلك فيما يتصل بالمحور الأول الذي يدور عليه البحث .

أما المحور الثاني وهو يقوم على فرض نظري يتصل بالمصير الإنساني بصورة عامة ويذهب فيه الباحث إلى أن القوميات مصيرها البقاء دائما في مواجهة أي دعوة للوحدة الإنسانية ، ففرض يحتاج إلى المناقشة . ونحن لا نعني بقولنا أن البحث يحتاج إلى مناقشة أننا نخالف المؤلف فيما يذهب إليه أو تؤيده في ذلك ، ولكننا نرى أن أي فرض من الفروض يكتسب قيمته الحقيقية من الأدلة التي يقدمها الباحث لكي يبرهن عليه ومدى نجاح هذه الأدلة في إقناعنا بما يذهب إليه . ولقد أحسست بأن الأدلة التي قدمها الباحث كي يبرهن على فرضه ليست كافية من ناحية أخرى فإن هذه الأدلة التي قدمها قد تكون دليلا على عكس قضيته ! ونستطيع أن نتجاوز عن بعض الحدود السطحية التي

بقلم فاروق شوشه

سبع قصائد في العدد الماضي من «الاداب» - كلها من الشعر الحر - تثير من جديد قضية هذا الشعر على مستوى اكثر الحاحا ، واعمق دلالة . ذلك انها جميعا - وبنسب متفاوتة - تعطي المتأمل فرصة ارحب للتعرف على الطور الاخير من حصاد هذه الحركة الشعرية الجديدة ، في ملامحه وسماته ، وايضا في كل ما يوجه اليه الان من مآخذ .

لم تعد قضية هذا الشعران نعترف به او لا نعترف ، بعد ان اخذ منك وجوده بالفعل ، وانداحت موجاته الاولى مسفرة عن ارض غنية صلبة ، فيها - ما في القاع دائما - من اصداغ ولاليء ومعار ، ووجد هذا الشعر مصطلحه في عديد من قصائد السياب ونازك ونزار وعبد الصبور ، هذا المصطلح الذي اصبح يفرض مستوى من الابداع يجب ان يرتفع اليه ممثلو هذه الحركة الشعرية ، بل انه يقدم نماذج من التعبير الشعري تكشف عن اصالته وغناه ورحابته لعدد من الوجوه - التي تفترق في سماتها الخاصة . ولكنها تلتقي على هذا المستوى العام . وان اعظم انتصار حققه هذا المصطلح هو انه يعلن في وضوح وبساطة ان شاعرنا الجديد لم يعد يفضل الطريق الى تحقيق ذاته في شعره .. ان يقول كلمته هو .. ان يعلن عن وجهه الحقيقي دونما طلاء او زيف ..

وباختصار : ان يكون معاصرا ..

ان قدرة هذا الشعر على الالام بالتفاصيل التي لا يتسع لها قالب الشعر التقليدي - ان لم تسخف به ، وقدرته على اسباغ الشعرية على نثر الحياة ، وجرأته في الخروج عن متوارث الشعر العربي في الاداء وطرق التصور ، واتساعه لصور وضروب جديدة من الرمز والابحار ، واحتفاءه بالهمس وبعده عن الخطابية ، وسعة حيلته في خلق عناصر عديدة للقاء بين الشاعر والمتلقي ، وانسيابيته الصياغية التي تحيل العمل الشعري الى كائن متفتح ينمو ويتسع ويأخذ ابعاده بدلا من ان يضيق ويختنق ..

كل هذه العناصر هي التي اعطت شاعرنا الجديد صك ميلاده اولا وصك معاصره ثانيا ..

على ضوء هذا المصطلح .. الى اي حد يمكن ان تكون في هذه القصائد السبع اضافة جديدة له - وهو الذي يعني ويعمق يوما بعد يوم - او لنكن اكثر تواضعا واقل اسرافا : الى اي حد يمكن ان تتسع هذه القصائد لماعدنائه من الوان وسمات ؟

واسارع فاقرر منذ البداية ان فرحتنا بميلاد نماذج جديدة من هذا الشكل الجديد لم تعد من الخطر بحيث تعمينا عن النظرة المتأنية في قيمة هذا النتاج . بل ان مسؤولية الشاعر والناقد والقارئ معا مسؤولية مثقلة بالجهد .. جهد ان تبين اللاليء من الاصداغ .

ثمة اشياء - بوسع كثيرين ممن يمارسون تجربة الشعر الجديد ان ينفضوها عنهم بوعيهم وحريرتهم ، ليأخذ انتاجهم حظا اوفر من الاصاله والصدق والمرونة ... وقد تمثلت هذه الاشياء - على مستويات مختلفة في شعر العدد الماضي من «الاداب» .

اصبحت حكاية «الصديقة» بمسمياتها العديدة - في عدد وافر

من قصائد الشعر الحديث - ظاهرة تستحق التسجيل كما تثير التساؤل . فمعظم هذا النتاج قد اصبح يتحدث بلغة الخطاب الى «الصديقة» في شتى نعوتها فهو طورا «صديقة» وانا «عزيزة» ونارة «حبيبة» وقد تكون «اختا» .. واصبح الشاعر الجديد بحكم العادة والمألوف لا يأمن طريق التعبير الا اذا توجه بالخطاب الى صديقه هذه ، نافضا بين يديها كل همومه ، ومعاركه ، وانتصاراته ويأسه وافراطه ، فانصا من هذا الصوت الاخر الذي يقضي اليه باعتراقاته بالصمت ، ومن نفسه بنشوة التطهر .

ويكفي ان تكون اربع من قصائد العدد الماضي تدور على هذا المحور في مجالاته المختلفة ..

الشاعر ناجي علوش أثر ان يخاطب هذا «الاخر» بكلمة «عزيزتي» في قصيدته «هدية صغيرة» :

«عزيزتي - ماذا اقول يا عزيزتي - هنية الصديقة المعطاء ما تزال - قصائد الرجل والفراق والاماء - والنضال ... الخ

اما الشاعر احمد محمد صديق في قصيدته «مدينة تأكل الجياع» فيخاطبه باسم «اختاه» :

«اختاه» هل رأيت ما جمعت في يدي - من ثورة المدينة العمياء - رجعت يا «اختاه» فارغ الجيوب .. الخ

وفي قصيدة «الحب والمطر» للشاعر عدنان كيلاني نفوز بتسمية وان زورقي حائرة اضلاعه - كمقلتيك يا «رفيقتي» - تعلم

باللال - على شواطئ عميقة عميقة - طعامها المحال ..

اما التسمية الرابعة فنجدها في قصيدة «حوار» لعبد العزيز عبد الفتاح محمود :

ومن قال ان غدي تائه واني ساهجر احلامنا دعي غدنا يا «حبيبة» قلبي دعيه فلسنا غدا وحدنا

هذه الظاهرة المتفشية ليست بالشيء الشكلي ، فالشاعر الجديد يخوض بالفعل تجربة مثيرة رائعة ، قوامها البحث عن نموذج جديد للثقافة

والحب والصداقة والامومة .. نموذج يملا صحارى تصوراته ، ويفرره بالطمأنينة في ارض التجربة . ومعركة الشاعر الجديد بينه وبين نفسه ، بينه وبين قيمته ، لا تقل ضراوة عن معركته مع الظروف الخارجية ..

ومن هنا كانت اهمية النضال من اجل «مفهوم» جديد للعلاقة .. واكتشاف «مصطلح» جديد للحب ، تمثلا فيما يعنيه الشاعر الان بلفظة «الصداقة» .

فمستوى الوعي الذي يتسلح به شاعر اليوم ونوعيته ، واختلاف معركته بكل ظروفها عن معركة الشاعر العربي القديم ، والتزام الشاعر بموقف ذي شقين : مع نفسه ومع مجتمعه ، كل هذا اعطى الشاعر

احساسا اكثر انسانية واجابية فكان استقراره على هذا المصطلح الجديد : الصداقة .

الى هنا ، والمسألة لاخطر فيها ولا زيف ، ولكن ان تصبح هذه الصديقة - بغض النظر عن وجودها الفعلي او انعدامه - معبرا مطروقا

يلج منه الشاعر ، ولونا من الدندنة التي يصطنعها قبل ان يبدأ لحنه الاساسي ، فهذا ما يوقع هذه النماذج من الشعر الجديد في لون من

الرتابة ، لا تبعد كثيرا عن تلك الرقابة والتقليدية التي صاحبت الشاعر القديم يوم كانت «الاطلال» و «ام اوفى» و «الخليلان» بمثابة

الدندنة المسنمة التي يلتزمها شاعر اليوم .

- التتمة على الصفحة ٥ -

القصة

بقلم غالب هلسا

ان هذه القصص تطرح بعض المسائل الهامة ، اولها ، وهي ما تثيره قصة الاستاذ احمد سويد : هل الفن مجرد تبرير لاحكام سابقة صدرت على العالم ؟ وهل معنى هذا ان يستنفذ فنانون ما بمجرد وضعه ضمن اطار فلسفي معين ، او ضمن قضية معينة ؟

هذا ما يراه كثيرون ، فيما يبدو ، اذ يعتقدون ان واجبه هو مجرد اعطاء امثلة توضح او تؤكد رأيا ما . وهذا ما يجعلهم يلجأون الى استبدال الانسان الحي المليء بالتناقض والاحساس والحركة الى مجرد تعميمات وتلخيصه بمع او ضد فكرة معينة . ان الاعتذار عن الفن بحجة خدمته والاخلاص لبعض القضايا الوطنية هو اساءة لهذه القضايا الوطنية بالذات .

المسألة الثانية : هي قضية الاطار الذي تعرض من خلاله احداث القصة ، فكل قصة من هذه القصص الثلاث تعاني نواقص تكنيكية هامة . ربما كان ذلك يعود لعدم وجود نماذج قصصية جيدة في الادب العربي ، مما جعل اية محاولة فنية هي مجرد مفاخرة في المجهول غير مأمونة العواقب .

المسألة الثالثة : هي الحوار . ففي القصة الاولى كان الحوار يدور بلغة عربية فصحي لان القصة تدور حول متشرد عميق الثقافة ، شديد الاحساس بمسؤوليته عن موقف فرنسا تجاه قضية الجزائر . اما القصتان الاخريان فان الحوار فيهما ينتقل من الفصحي الى العامية دون مبرر . وسبب ذلك ، فيما اظن ، هو ان هذه المسألة التكنيكية الهامة لم تطرح بشكل متزن في النقد الحديث عندنا ، اذ هي دوما مرتبطة بقضايا سياسية معينة ، وكانت دوما تقدم على هذا الاساس . فما زلت اذكر انه في مؤتمر الادباء العرب الذي عقد في القاهرة منذ زمن وقفت احدى الادبيات تطالب بسن قانون ينص على اعدام كل شخص يكتب حوارا باللهجة العامية .



قصة الاستاذ احمد سويد « الجوع والضمير والليل » تدور حول متشرد فرنسي يجلس في احدى حانات باريس ليلتقط الثمالات التي يتركها السكارى لانه لا يملك شيئا يقتات به . وفي الحانات يقع على سر يخلصه من حياة التشرد والبؤس ؟ اذ يكتشف ان ثلاثة من الشبان الجزائريين قد اجتمعوا في الحانة وراحوا يدبرون القيام بعمليات اغتيال في داخل فرنسا ، ما عليه ، اذ ، الا ان يتحول الى مخبر ، وعندها يعود لعشيقاته ولبناتها بباريس . ولكنه لا يفعل ذلك بسبب « ان قومي يفرقونها - اي الجزائر - بالدم والليل والمأساة ... ومن الذي اعطى فرنسا حق الولاية على الشعوب ؟ امن تعاليم المدنية الفرنسية احراق الزرع وقتل الاطفال والشيوخ وتدمير القرى ؟ وما غاية هذه الحرب في عصر يسفه منطق الغزو ويثور على شرائع المهمية ؟ » بالطبع لا يمتاز صديقنا التشرد بكل هذه الثقافة السياسية الممتازة ، ولكنه لا يقل عن ذلك احساسا بمسؤولية فرنسا نحو الجزائر « كل واحد منا مسؤول عن هذا السلوك ، - اي سلوك فرنسا - ثم ها انت اذ في الطريق الى البؤرة اللينة ، الى الحما الذي تفرق فيه . » وهكذا يعود الى حياة

التشرد والحرمان لان ذلك « اخف وطأة على الضمير من ان تظعن في الظاهر انسانا ينشد الحرية » ... ثم يتمنى النجاح للشبان الجزائريين الثلاثة في مهمتهم .

وانني لاسألك اذا كان بإمكان انسان متشرد يلتقط ثملات الخمر في الحانات الرخيصة ويعاني ظروفًا معيشية طاحنة ان يمتنع عن سلوك سبيل ميسور للعيش ولهذه الاسباب بالذات . وهل معنى هذا ان سياسة التفريق بين الناس على اساس اللون والجنس وحرمانهم من فرص العيش الشريف هي امر في صالحهم وان ذلك لن يحولهم الى قتلة ولصوص ومجرمين ؟

وهناك مسألة اخرى ، فما الذي يجعل مثل هذا التشرد يشعشع بالانتماء الى فرنسا ، ناهيك بالاحساس بالمسؤولية عن سياستها نحو الجزائر ؟ فليس هنالك في ظرف حياته التي قدمها الكاتب ما ينبىء او يبرر هذا القدر الكبير من الوعي . وهو من اب جزائري ، طرد من الجيش الفرنسي المحارب في الجزائر لاتهامه بانه يتعاون سرا مع الوطنيين هناك . وهو كان يعامل على اساس انه جزائري منذ ان كان طفلا ، وها هو في فرنسا يجد نتيجة ذلك كله .

ان مثل هذه الظروف ربما دفعت الى العطف على الجزائريين ، والى الاحساس بالفرح لانهم ينتقمون له من هذا البلد الذي جعل حياته جحима لا يطاق . لكن سويد يتجاهل هذا كله ويجعل سبب هذا الموقف البطولي النادر عملية منطقية لاعلاقة لها بظروفه وبازمته .

والقصة تستعمل المونولوج الداخلي ، بالرغم من الاحداث الخارجية التي قسرت ضمن هذا الاطار والتي لا يمكن الا ان تكون نتيجة للملاحظة انسان اخر يرصدنا . كما انها خالية من اسط خصائص التداخي والتلقائية ، ولهذا لا نستطيع اعتبارها سوى هندسة بدائية لمقال سياسي غير ناضج .

القصة الثانية : هي قصة « الحصرم » للاستاذ خالد الشريقي ، حول فتاة مراهقة تجلس في الباص فتحس ان هنالك من يعيث بشعرها فتشعر بالحرج والارتباك لان اي تصرف منها سيجعلها هدفا لاعتين الآخرين . وتصبح الفتاة مسرحا لصراع بين المثل الاجتماعية التي اكتسبتها من البيت ومن خلال صلتها برفيقاتها في الدراسة وبين رغبتها في ان تجد شابا يحبها .

وتكتشف في النهاية انها كانت مجرد يد طفل تعبت بشعرها . وعندما تروي الحكاية لزميلاتها فهي تفعل ذلك من خلال مثلها الاجتماعية . وهناك بعض المآخذ على القصة ، فالفتاة كانت منغمرة بحلم يقظة وحلول طفليه للموقف ، فمن غير المعقول ان يتأتى لها الادراك العميق لحقيقة مشاعرها فتتذكر حكاية الثعلب والحصرم ان ذلك لا يتفق مع مستوى الفتاة التي لا يمكن ان تبلغ بها الحيادية الى درجة وعيها انها تعاني عقدة الحصرم المعروفة في علم النفس ، كما انها غير مبررة على اطلاق بلحظة السرحان واحلام اليقظة التي كانت مستغرقة فيها .

وثانيها الاصرار على تحويل القصة الى نكتة طويلة ، فعلى الرغم من جدية وصف انفعالات الفتاة ، الا ان تشبيه يد الطفل بالاختبوط ، وجعله الدافع الى كل هذه المشاعر والانفعالات امر غير معقول .

كما انني لا اعتقد ان الباصات في الاقليم الشمالي تبرر اعتقاد فتاة بان شابا يمكن ان يمد يده ويظل يعيث بشعرها طيلة هذه المدة وامام الركاب ، ثم ملاحظته اياها حتى بعد ان انتقلت الى مكان مجاور .

— التتمة على الصفحة ٤٨ —

نقد الأبحاث

- تنمة المنشور على الصفحة ١٠ -

قدمها الكاتب لكي يفرق بها بين القومية والانسانية من مثل قوله بان القومية محبة والانسانية صداقة ، فمثل هذا التحديد لا دلالة له ويحتاج اولا الى مناقشة الحب والصداقة ومدى الشبه بينهما وبين القومية والانسانية . لننزع امثال هذا الفرق الساذج وننتقل الى لب القضية . ان الباحث يعترف بان النزوع الى العالية سواء كان ذلك في المجال الحضاري والديني ام في الميدان السياسي قد ظهر عند الانسان منذ القديم . ونزعة الانسان الى الوحدة هي التي جعلته يعيش منذ فجر التاريخ ضمن نطاق الاسرة ، ولست احسب ان معيشة الانسان في حدود الاسرة قد قصت على كل الفروق بين افراد الاسرة الواحدة ، لاشك ان افراد الاسرة الواحدة يشتركون في قدر كبير من السمات العامة ولكن كل فرد يبقى له على الرغم من ذلك الفروق التي تميزه عن غيره من افراد أسرته ، وتجمعت الاسر لتعيش في نطاق القبيلة او القرية واصبح لكل قرية سمات عامة تميزها وخصائص مشتركة لسكانها ومع ذلك فان هذا التجمع لم يقض على السمات الجزئية التي تميز كل اسرة او كل فرد من افراد هذه الاسرة وتحولت القرى الى مقاطعات ، والمقاطعات الى اقاليم والاقاليم الى القوميات ، والانسان يلحق في هذه السلسلة المتصلة الحلقات نزعة مستمرة الى التوحيد تهدف الى توسيع دائرة الخصائص المشتركة بين افراد الجنس البشري وان كانت هذه النزعة الى التوحيد لا تقضي بالضرورة على الخصائص الجزئية التي تميز كل جزئية من هذه الجزئيات عن غيرها اي ان النزعة الى التشابه تعيش في صلح ووافق مع الاختلافات الجزئية التي قد تكون بين الفرد ومجتمعه وبين القرية ومقاطعتها وبين الاقليم في امته ، وهكذا واذا تمسكنا مع المنطق السابق فان الباب يظل مفتوحا للقوميات لكي تحتفظ بسماتها المميزة في ظل عالم انساني موحد .

ولكن الدكتور عزة ينفي تحقق هذا الفرض . فما هي الادلة التي يستند اليها لنفي تحققه ؟ اننا نعترف بان هذا الفرض بعيد التحقيق ولكنه مع ذلك يظل احتمالا موجودا الا اذا ثبت بالدليل القاطع استحالة تحققه .

ان الادلة التي يقدمها الباحث لاثبات نظريته تقوم على استقراءه لمصر الدعوات الى الوحدة الانسانية على مدار التاريخ ، سواء اكانت هذه الدعوات قد اصطبغت بالصبغة السياسية او بالصبغة الدينية ، ويقرر بحق ان الغلبة كانت للقومية لا للعالية فيقول « زالت من الوجود امبراطوريات الحث والفراعنة والفرس والمكدونيين والرومان والبيزنطيين والترك . ودالت امبراطوريات شارلمان وشارلكان ونابليون وموسوليني وستنقرض امبراطوريات مكملان ودغول دون ظل من الشك »

وهذا الاستقراء صحيح ودقيق ولكننا نتساءل بنمط الباحث نفسه الذي نبهنا في اول مقالته الى اهمية الاستفادة من اغلاط الماضي . ما الذي سبب فشل هذه الامبراطوريات في تحقيق الوحدة ؟ اليس ذلك لانها قامت على العدوان من ناحية واستغلال مقدرات الامم المغلوبة من ناحية اخرى ؟ ان هذه الامبراطوريات لم تكن في حقيقتها دعوة لتحقيق الوحدة العالية وانما كانت استغلالا لهذه الدعوة في تحقيق مكاسب

اقتصادية على حساب الامم المغلوبة .

ان الاستاذ الباحث يتنبه لهذه الحقيقة فيرى ان الاسكندر قد استغل دعوة ارسطو الانسانية واتخذها ذريعة لارضاء حاجات التوسع عند الاغريق المحصورين في رقعة جبلية ضيقة ، والحثيون في هضابهم القاحلة كانوا ينظرون الى الغلات الزراعية الوفيرة عندما عزموا على الهبوط نحو بلاد الهلال الخصيب ، والفراعنة لم يكن الهدف من بعوتهم العسكرية الى الشام غير الخشب والماعز والغنم ودنان الزيت والخمر والفضة والحديد والجلود وما شابه ذلك . . ، والرومان جعلوا اشعارهم في الفتح او التوسع ، السلم العالي بقيادتهم ولنفعتهم وحدهم . .

والظاهرة الواضحة في كل هذه الامبراطوريات هي انها لم تكن في جوهرها دعوة الى الوحدة الانسانية بقدر ما كانت استغلالا لهذه الدعوة في سبيل استغلال الشعوب الاخرى واذلالها ومن الطبيعي لذلك ان تقاومها الامم المغلوبة وان تخرج من معركتها معها ظافرة .

وكل الدعوات سواء اكانت قومية ام انسانية تتعرض للاستغلال من الانتهازيين والطامعين وآمال العرب في الوحدة قد استغلت لتحقيق اطماع الاسرة الهاشمية وما تزال حتى الان ، ولذلك كان مصيرها الفشل لانها دعوات تقوم على تحقيق الاطماع التوسعية ، ثم نجحت الوحدة بين الاقليم الشمالي والجنوبي عندما اصبحت خالصة من الاطماع والنزعات العدوانية . فاذا امكن ان تقوم الدعوة الى الوحدة الانسانية دون ان تستغل لتحقيق اطماع توسعية ونزعات عدوانية واستغلت الانسانية من اخطاء الماضي وتجاربها فما الذي يجعل تحققها مستحيلا ؟

وما يقال عن فشل الانظمة السياسية في تحقيق الوحدة يقال ايضا عن فشل الدعوات الدينية لانها استغلت ايضا في سبيل تحقيق اغراض توسعية وعدوانية واتخذت الدين وسيلة لتفله هذه الاطماع وقد نجحت الدعوات الدينية حين كانت خالصة للانسانية والدين فلما اتخذت وسيلة لتحقيق الاغراض العدوانية فقدت طابعها الاصيل وجوهرها .

وهكذا يثبت الاستقراء التاريخي ان الدعوات الانسانية نجحت عندما كانت خالصة ونقية فلما اتخذت وسيلة لتحقيق اغراض توسعية وعدوانية ولغلبة شعب من الشعوب واذلاله للشعوب الاخرى اصابها الفشل . وبمنهج الباحث نفسه في النظرة الى التاريخ والاستفادة من اخطائه يظل احتمال تحقق الوحدة الانسانية محتملا .

ان من حق الباحث ان يفترض ان نجاح هذه الدعوة الانسانية بعيد التحقق وان تخلص هذه الدعوة من احتمالات استغلالها للسيطرة والتوسع والاستغلال الاقتصادي ما زال غير ممكن الوقوع ولكن فرض استحالة نجاحها غير مقنع ايضا من خلال الادلة التي يقدمها الباحث . واذا كانت الادلة الرئيسية غير مقنعة تماما فان الادلة الجزئية تشاركها في نفس الصفة .

الباحث يؤكد وجود قومية متميزة لكل طائفة من جماعة الحيوان والنبات ويؤكد ايضا وجود قومية متميزة لكل جماعة من الجماعات البشرية في حين ان المنطق كان ينبغي ان يقود المؤلف الى ان الجنس البشري كله له وحدة انسانية كما لغيره من الكائنات . ويقول ان من تعاريف القومية المشاركة في الخلق والابداع للنهوض بمستوى العيش وهذا التعريف كما ينطبق على القومية فانه ينطبق ايضا على الانسانية وخاصة في عصرنا الحديث الذي الفيت فيه المسافات واشتهر فيه الاتصال بين الشعوب حتى اصبح الانسان في اي بقعة من بقاع العالم يجني ثمار التقدم العلمي في اي منطقة اخرى من الارض . بل ان

قلوب الشعوب التي لا اطماع لها اصبحت تنبض نبضات مشتركة في اكثر من مشكلة من المشاكل التي تواجه العالم . في العدوان الثلاثي ، والتفرقة العنصرية ، ومعركة النضال الرائع في الجزائر ، ومنع التجارب الذرية والمطالبة بتحقيق السلام .

من المسلم به ان بعض الدول ما زالت تستغل هذه المواقف لتحقيق اطماع ذاتية ولكن موقفها واوراقها اصبحت مكشوفة لدرجة انها اصبحت عاجزة عن خداع الانسانية . واذن فما الداعي الى الوقوف هذا الموقف الصلب من الدعوة الانسانية والمناداة باستحالة قيامها ولو في المستقبل البعيد ، في الوقت الذي يبدو انه ليس هنالك تعارض واضح بينها وبين القوميات اذا امكن ان تتحقق خالصة من الاطماع والاستغلال العدواني ؟ هذه بعض مظاهر عدم الاقتناع التي احسست بها وانا اقرأ ذلك البحث

في الاسواق العربية اليوم

جيل القدر (قصة طويلة) مطاع صفدي

جراح تغني (ديوان شعر) كمال ناصر

في سبيل البعث ميشيل عفلق

من مذكرات اقومي متأمر شاكر مصطفى سليم

الحزب الشيوعي الفرنسي

وقضية الجزائر الياس مرقص

نحن والشيوعية في الازمة الحاضرة سعدون حمادي

متى يعود المطر ؟ (قصة) اديب نحوي .

الهاوية (مسرحية) صلاح كامل

كاليغولا (مسرحية) البير كامو

تطلب من :

دار الطليعة للطباعة والنشر

ص . ب . ١٨١٣ بيروت .

القيم . واكاد اشعر بان الامر لازال يحتاج لمزيد من الايضاح الذي يقدمه لنا الباحث لكي نتكشف كل جوانب وجهة نظره ونستفيد من ثقافته العميقة الواعية التي تبدو لنا من قراءة بحثه .

واذا كان مقال الدكتور عزة النص يكشف عن الاخلاص والوضوعية فان مقال الاستاذ علي بدور - يشاركه في الاخلاص ، وان غلب عليه طابع الحماس الشديد الذي يبعد بصاحبه عن الموضوعية في احيان كثيرة . وقد تتبعنا المناقشات التي دارت بين الاستاذ علي بدور والاستاذ غالي شكري على صفحات مجلة الاداب ولاحظت ان المناقشة ترتفع درجة حرارتها وتهبط الى مستويات تذكري بالنقائض التي كان يتبادلها الجيل القديم من الادباء والتي وصلت احيانا الى درجة تبادل الشتائم . وحين قرأت عنوان مقالة الاستاذ علي بدور عن فصل الخطاب في الفرعونية قلت فيما بيني وبين نفسي ان الاستاذ علي بدور سيقدم لنا بحثا موضوعيا هادئا يكشف فيه جوانب المشكلة ، ولكنني لاحظت ان الطابع الانفعالي مازال يسيطر على جو المقالة ، رغم مافيها من افكار قيمة وان كانت هذه الافكار متناثرة من ناحية ومبتورة من ناحية اخرى . والسلمات التي تركها حماس الاستاذ علي بدور في مقالته تتميز: اولاً : - في ان القارئ يشعر بان الاستاذ علي بدور مطارذ وهو يكتب مقالته وان شياطين القدر والخيانة يحيطون به من كل ناحية ، فهو لذلك يختطف الحقائق اختطافا وينتقل في سرعة من جزئية الى اخرى في الوقت الذي كنت اشعر فيه بانه يدافع عن القضية الاقوى وانه لذلك ينبغي ان يكون اكثر هدوءا وموضوعية .

ثانياً : - ان حماس الكاتب دفعه الى التسرع في اصدار الاحكام سواء اكانت هذه الاحكام تتصل باحكامه على البشر او باحكامه على التاريخ .

فهو في حكمه على زملائه بل واساتذته من المفكرين المعاصرين يجسد من السهولة بمكان ان يوزع القاب الخيانة والتهريج والتدجيل على من هب ودب ودون ترو او تشيت . بل انه وضع استاذاً جليلاً من اساتذة جيلنا في موضع المدافعين عن الفرعونية وهو الدكتور عبد الحميد يونس من غير ان يراجع كتابه ويلم بفكرته كاملة ، وانما اعتمد على تلخيص للكتاب منشور بجريدة « المساء » ، وكان الدكتور عبد الحميد مسؤول عن الطريقة التي لخص بها كتابه . والغريب ان الاستاذ علي بدور حين يصف نفسه لا يقصر في اعطائها حقها من الاحترام والتقدير فيقول « وارجو ان يتأكد - والخطاب موجه الى الاستاذ غالي شكري - ان الذي سوف يكلفني لم يخلق بعد ... ولن يخلق مادامت حيا » ان نزعة اتهام الآخرين بالخيانة ليست امرا سهلا ، ولو تبادل ادباء العروبة مثل هذه الاتهامات فيما بينهم لما بقي اديب واحد الا وقد حمل على عاتقه لقبين او ثلاثة من هذه الالقاب التي لاتشرف احدا . انني ارجو ان يكتفي الاستاذ علي بدور في مقالاته القادمة بان يصف مخالفه في الرأي اذا كان لابد له من وصفهم بانهم مخدعون او مضللون او سطحيون ، الا اذا ثبتت له الخيانة بعد بحث وتعمق وفي هذه الحالة لن يستطيع احد ان يعترض عليه او يقف في طريقه .

واذا كان هذا الاندفاع يسيطر على الاستاذ علي بدور في احكامه على البشر ، فانه سيطر عليه ايضا في تناوله للقضايا التاريخية وتفسيرها له : فهو حاقق على كل التاريخ الفرعوني بل تاريخ الشرق القديم كله ، وهو لذلك لا يكتفي بالحديث عن هذا التاريخ حديثا موضوعيا ، بل انه يصر على ترميغ رؤوس الفراعنة في التراب وتوزيع احتقاره عليهم

جميعا ، في حين ان الفراعنة أموات لا ذنب لهم ، عاشوا فترتهم التاريخية وماتوا ودفنوا ، فما ذنبهم اذا حاول بعض الناس استغلال حضارتهم في سبيل تحقيق اهداف استعمارية ؟ ألم يكن الاستاذ علي بدور قادرا على مهاجمة انصار انفرعونية المحدثين من غير تشويه لصفحات التاريخ القديم وصب اللعنات على رؤوس الموتى ؟

والاستاذ علي بدور يقدم لنا ايضا قضية غربية فيما يتصل بتاريخ الحضارات فهو يقول « ليس في التاريخ العام نص واحد يدل على انه كان لمصر وقت ذهاب المسلمين اليها شخصية دولة او كيان حضاري واضح ، ذلك انه بين تقويض الفرعونية لآخر مرة على يد الفرس وبسبب ذهاب المسلمين قرابة الف عام ساد فيها اليونان والرومان » .

والغريب ان كل الحقائق تشير الى ان العرب تفاعلوا مع كل الدول التي انتشروا فيها واخذوا من حضارتهم كما اعطوهم ، قصة التفاعل بين العرب وبين البلاد التي سادوا فيها قضية لا تحتاج الى نقاش . ولعل ذلك هو السر في ان الشعوب التي رفضت وقاومت كل الغزاة قبلهم قد تقبلت دين العرب ولغتهم لان انتشار العرب في الاقطار الاخرى لم يكن غزوا عسكريا مقصودا به الاستغلال والسيطرة ، وهذا ما يوضح السبب في ان المصريين قابلوا الفتح سالين وقبلوا اللغة العربية في الوقت الذي رفضوا فيه لغة الفرس واليونان والرومان . والتاريخ لا ينسى كفاح المصريين ضد الرومان ، ذلك الكفاح الذي اتخذ صبغة دينية والذي كان رمزا واضحا لرفض المصريين تقبل ان تذوب شخصيتهم في شخصية الرومان المبتدئين . ولان انتشار الدعوة الاسلامية لم يأخذ الشكل الواضح للعدوان والاستغلال ولانه لم يضع السدود بينه وبين الدول الاخرى واقبل عليها وعلى حضارتها فقد كان من الطبيعي ان تقبل الدول الاخرى عليه وان يغوب الجميع في كتلة واحدة منصهرة هي التي كونت الكيان العربي والحضارة العربية .

هذه النزعة المتعجلة في اصدار الاحكام هي التي اساءت الى مقالة الاستاذ علي بدور ، فلم يتضح لنا من مقاله القضية الرئيسية التي كانت موضوع هذا المقال . ولم يقدم لنا تخطيطا واضحا للظروف التي ادت الى ظهور فكرة القومية المصرية وانما اكتفى بالقاء عبء القضية على عاتق الاستعمار وأنهم كل من اعتنقوا هذه الفكرة بخيانة القومية العربية ، وهو حكم معناه ان فترة طويلة متصلة من تاريخنا السياسي كانت كتلة من الخيانة يشترك فيها زعمائنا السياسيون من امثال سعد زغلول ومصطفى كامل ومفكرنا وادباؤنا من امثال هيكل ولطفي السيد وحسين المازني وكل رواد جيلنا السابق او اغلبهم على الاقل .

ان المشكلة مع الاستاذ علي بدور هو انه يكره ويحب في عنف ، ويتوقف عند حدود هذه الكراهية ، واذا كانت دعوة القومية المصرية في عصرنا الحاضر دعوة انفصالية رجعية ، وهذه حقيقة لا جدال فيها ، فقد كان ينبغي ان يحلل لنا الاستاذ الباحث اسباب ظهور هذه الدعوة ، واذا كانت هذه الدعوة دعوة استعمارية خالصة فلماذا اعتنقها عدد كبير من المصريين في بداية النهضة الحديثة ، وما هي دوافعهم الى اعتناقها ؟ فليس من المعقول ان تصدر حكما بالخيانة على فترة تاريخية برمتها .

ان نشأة القومية المصرية واكبت فترة كانت مظاهر الصراع فيها في المنطقة الشرقية بأسرها تتركز على مقاومة الخلافة التركية لحاولات الدول الاوروبية الاستعمارية تفتت اجزاء هذه الامبراطورية واقتسامها واخذت محاولات التفتت اتجاهين واضحين : اثاره العناصر المسيحية في

وسط اوربا من ناحية والتلويح بالاستقلال للشعوب الاسلامية وتقسيمها الى قوميات عديدة ، كلما كثر عددها كان ذلك افضل ليسهل عليهم بعد ذلك ابتلاع هذه الاجزاء المتناثرة واحدة بعد الاخرى فابوحوا للارمن وللاكراد وللعرب في المنطقة الاسيوية بالقومية العربية وحدها وللعرب في مصر بالقومية المصرية ، ولكن هذه الدعوات القومية قوبلت بالمقاومة الشديدة من شعوب المنطقة الاسلامية التي كانت ترى في الاستعمار الاوروبي غزوا صليبيا جديدا للمنطقة وكان لها كل الحق في اتخاذ هذا الموقف ، فقد كان بعض الكتاب الاوروبيين يرى ان حل المشكلة الشرقية حلا طيبا سعيدا يتطلب ان ينشئ الاوروبيون قبر النبي محمد في المدينة وينتهي الامر ، وكان طبيعيا لذلك ان يتجمع المسلمون في الشرق حول الخليفة العثماني ينادون بمجد الاسلام .

اما الذين استهوتهم فكرة القومية اول الامر فكانوا يمثلون في الاقليات التي تعاني اضطهادا دينيا في ظل الحكم التركي والذين اعتبروا القومية او فكرة الوطن الذي يتساوى على ارضه جميع سكانه بديلا من سيطرة الخلافة التركية التي تستمد قوتها من تجمع المسلمين حولها والذين كان التخلص من الاستبداد التركي هو الهدف الاول لكفاحهم .

وكان خضوع مصر للاحتلال الانجليزي عاملا جعل تاريخ الكفاح فيها يختلف نسبيا عن تاريخ الكفاح العربي في المنطقة الاسيوية من العالم العربي . وحين دخل الانجليز مصر حاولوا تشجيع العناصر المصرية وتركيز عداة المصريين على السراي باعتبارها العدو الاول للمصريين ، وكان هدفهم من ذلك استغلال هذه القوى في ضرب السراي والاسترقاطية التركية التي كانت تحترق المصريين وتعتبرهم من الفلاحين الذين لاكرامة لهم ولا اعتبار . وبذلك اصبحت معركة المصريين مجزأة ، فقسم يرى السراي والاسترقاطية التركية هي العدو الاول ، وقسم اخر يرى ان الانجليز هم الذين ينبغي ان يركز العداة عليهم ، واعتنق الفريق الاول فكرة القومية المصرية ليتخلصوا من الاتراك وأنكروا فكرة الخلافة الاسلامية التي يستمد منها الحاكم التركي شرعيته في البقاء حاكما على مصر وفضلوا الرابطة القومية على الجامعة الاسلامية ، واطلقوا على انفسهم اسم اصحاب المصالح الحقيقية اي اصحاب الحق في التمتع بخيرات وطنهم وكان يمثل هؤلاء لطفي السيد والكثير من المثقفين في هذه الفترة بالإضافة الى عدد كبير من ملاك الاراضي .

اما أغلبية الجماهير العادية من الشعب ، فكانت ما تزال متعلقة بالخليفة التركي وبالجامعة الاسلامية ، وتركز كراهيتها على الانجليز . وكان قيام الحزب الوطني وحزب الامة تعبيراً عن الانقسام في الجبهة الوطنية انقساما كان يظهر صداه في الناحية السياسية كما ينعكس ايضا على الفكر والادب .

وجدت عوامل عديدة ادت الى سيطرة فكرة القومية المصرية لمدة من الزمن وذلك ان الاحتلال الانجليزي خشي من قوة التجمع الوطني وخاصة بعد حادثة دنشواي فاتفق مع الخديوي على ضرب هذه القوة وتفتيتها فيما سمي بسياسة الوفاق ، فاصبحت الحركة واضحة بين الشعب من ناحية وبين السراي والانجليز من ناحية اخرى ، وخاصة بعد ان ضعف مركز الخلافة التركية في تركيا نفسها اثر ظهور حركة تركيا الفتاة . وكانت ثورة ١٩١٩ اصدق دليل على هذا التجمع الوطني الذي اخذ الانجليز والسراي يحاربونه بالدس بين عنصري الامة من ناحية واستغلال احزاب الاقلية من ناحية اخرى . وحاول الانجليز بكل وسيلة تفتيت هذا التجمع القومي في مصر وخداعه وتمزيقه في الداخل

وحصره داخل جدرانه الضيقة ليفتت معركة مقاومة الاستعمار في العالم العربي ويجزئها الى جزئيات يسهل ضربها كلها على حدة . حتى حطم الشعب في مصر الجدران المصروية حوله ليلتقي بالشعب العربي في معركته المشتركة للتخلص من الاستعمار وتحديد مصيره المشترك .

وكما حاول الانجليز استقلال الشعب العربي في مصر فقد حاولوا ايضا استقلال التجمع العربي فاستقلوه في معركتهم ضد تركيا في الحرب العالمية الاولى كما حاولوا استقلال الجامعة العربية لتحقيق اغراضهم ونجحوا عن طريق العروش المزيفة في التلاعب وقتنا ما بالمصير العربي ، حتى اذا احسوا عجزهم عن مقاومة التجمع القومي للشعب العربي ، عادوا من جديد الى اثاره دعوات التفرقة والتجزئة التي لاتخدع احدا ومنها الدعوة الى الفرعونية والقومية السورية والكردية وغيرها ممن النعرات الطائفية التي يجب الوقوف في سبيلها بصلابة .

وكل مايريد ان اقله ان الشعب العربي في الاقليم الجنوبي كان في محاولاته لاكتشاف ذاته قد مر في اكثر من مرحلة وتخطى بين اكثر من مرحلة وتخطى بين اكثر من اتجاه فآمن تارة بالجامعة الاسلامية ثم ظن ان وسيلة الخلاص من عبوديته للاتراك تارة وللانجليز تارة اخرى هي في القومية المصرية ، ثم اكتشف اخيرا بعد هذه المحاولات التي تخطى فيها حقيقته الاصلية الرائعة كجزء من الشعب العربي الكبير . وان على الدارس ان يكون موضوعيا في دراسة هذه المراحل والا يكتفي بحسب اللعنات عليها حتى نستطيع ان نتخلص من اخطاء الماضي وتخطيه لتحقيق اهداف امتنا العربية في تليص الوطن العربي من الاستعمار وفي بنائه على اسس سليمة متينة .

هذه بعض الملاحظات التي لاحظناها على بحث الاستاذ علي بدور وعلى منهجه بصورة خاصة هذا المنهج الذي يكشف عن حماسة صاحبه واخلاصه ، ولكنه في حاجة الى المزيد من الموضوعية التي نرجو ان تتوفر له في ابعائه القادمة .

٣ - يمثل مقال الاستاذ الطيب الشريف « عن مفهوم العمل الادبي » محاولة طيبة لتوضيح فهم مجتمعنا لقيمة العمل الادبي واحساسهم المينافيزيقي الذي يتمثل في ان هذا العمل ترف وتسليه من ناحية او جهد روحي منفصل عن الجهد المادي وليس من حق صاحبه الا يؤجر عليه . ولو اقتصر الباحث ببخته على هذا الحد لاصح المقال جادة لتوضيح زاوية من زوايا الازمة التي يواجهها الادباء الشبان عموما .

ولكن المؤلف حاول ان يفهمنا ان هذا الفهم الاجتماعي المتخلف لطبيعة العمل الادبي هو الازمة الرئيسية التي تواجه ادباءنا ، وان تغير هذا المفهوم يؤدي الى الخلاص من هذه الازمة . وهكذا خرج المؤلف بقضيته عن حدودها ، وحملها من الدلالة اكثر مما تطيق ، ونظر الى المشكلة من زاوية وحيدة وبذلك فان مقال الاستاذ الطيب الشريف يثير في نفس قارئه الكثير من التساؤل :

لماذا افترض الكاتب اولا ان اكثر من تعرضوا لازمة الادب قد ردوا اسباب هذه الازمة الى حاجة الادباء الشبان الى ان يؤجروا عن اعمالهم وانهم تمسكوا بهذا العامل وحده على اعتباره السبب الوحيد في ازمة الانتاج الادبي ؟ مما لاشك فيه ان هذا السبب من الاسباب الجوهرية للازمة ولكن لماذا اقتصر المؤلف عليه وحده ولم يبحث عن غيره من الاسباب ؟ ثم ان الكاتب افترض ايضا ان كل الكتاب والمفكرين يرون ان الحل الوحيد لهذه الازمة يتلخص في دعوة الحكومات والجهات الرسمية الى ما يدعونه بتشجيع الادباء والمفكرين ورصد جوائز ومعونات للمفكرين

منهم . ان هذا الفرض الذي بني عليه الكاتب مقاله يحتاج ايضا الى الكثير من البحث لكي نستطيع التسليم به ؟ . كما ان المؤلف لم يوضح لنا حقيقة هامة : وهي هل هذا المفهوم الاجتماعي الخاطيء للعمل الادبي مفهوم قديم ام انه مفهوم معاصر يخص مجتمعنا العربي في المرحلة الحالية وحدها . فاذا كان مفهوما قديما فكيف استمر الانتاج الادبي في مجتمعنا العربي المعاصر في جيل هيكل والعقاد وطه حسين وغيرهم ، واذا كان هذا المفهوم مفهوما حديثا يتصل بمرحلتنا الحالية وحدها فما هي العوامل التي ادت الى ظهوره في هذا الجيل بالذات ؟

ان كل الدلائل تشير الى ان جيلنا ربما كان اسعد حظا من الاجيال السابقة فيما يتصل بمفهوم العمل الادبي والفني فليس بعيدا ذلك العصر الذي خاف هيكل فيه من نشر قصة زينب باسمه حتى لايقضي على مستقبله كمحام فنشرها بعنوان « مصري فلاح » وفي ذلك الوقت كانت القصص تنشر بالمجلات الادبية في باب يسمى باب الفكاهات وكانت انسانية الموسيقى مهدورة لدرجة ان شهادته لم تكن مقبولة في المحاكم الشرعية واذا كان هذا الجيل من الشباب العربي المفكر مهددا بالانقراض لهذا السبب وحده فلماذا لم تنقراض اجيال الادباء والمفكرين منذ عهد بعيد .

لاشك ان الاستاذ الشريف افادنا في محاولته رد الاعتبار للعمل الفكري والادبي في مجتمعنا ، ولكن محاولة تقديم حل لازمة الادب في عصرنا تحتاج الى بحث اكثر عمقا وشمولا ينظر الى المشكلة من كافة زواياها . اما الاقتصار على النظر الى الازمة من زاوية واحدة واعتبارها العامل الوحيد فاذن الاستاذ الشريف يعترف معي في ان ذلك فيه شيء من التجريد والهروب من المشكلة ايضا .

٤ - اما بحث الانسة سميرة عزام عن « الله ... في الخندق الفميق » فان القارئ يشعر اثناء قراءته بان الباحثة كانت تستمد لكتابة بحث تحليلي مفصل عن الرواية ، ولكنها وهي تمقد العزم على كتابة هذا البحث قرأت بحث الانسة نازك الملائكة ووجدت ان بحثها سيكون كلاما معادا بعد الدراسة القيمة التي قدمتها زميلتها وهي تدفعنا الى هذا الانتقاد بقولها « وبعد ، ليست هذه دراسة اخرى للرواية بالمعنى الشامل فالتقائي مع نازك في كثير من النقاط في مجال الوقف النقدي للرواية ، يجعلني ابدو بمظهر من يحاول السطو على اجتهاداتها ، ولكنني احب ان اقف وقفة خاصة على احدى المراحل التطورية التي قسمت نازك نمو شخصية سامي بطل الرواية على اساسها » والبحث على ضوء هذا التحديد تحية الى الانسة نازك الملائكة على دراستها القيمة عن الرسالة مع خلافا جزئية بسيطة واضافات تضيفها الباحثة على بحث زميلتها السابق .

٥ - بقيت كلمة اخيرة عن البحث الذي ترجمه الاستاذ محيي الدين اسماعيل عن « كامو والبحث عن السعادة » وقد بذل الاستاذ المترجم في ترجمته جهدا مشكورا يستحق عليه التقدير . غير ان البحث يبدو من الصعب على كل قارئ عربي ان يفهمه فهما سليما . بل ان اقلية ضئيلة هي التي يقدر لها فهم مثل هذا المقال فهما كاملا لان هذا الفهم يتطلب من القارئ ان يكون ملما بالكثير من جزئيات الثقافة الاوروبية وباعمال كامو التي اشار اليها المؤلف وخاصة لان جمل المقال مركزة تركيزا كبيرا يجعل الكثير من اجزائه غامضا .

نقد القصائد

— تنمة المنشور على الصفحة ١١ —

ان وجه الصديقة في هذا النتاج الذي نتحدث عنه ، وجه شاحب مكرور ، كما ان هذا الصوت الاخر الذي تمثله في القصيدة لانطالعه الا من صورته السلبية الجامدة .. انه دائما صوت اخرس .. يستمع ولا يسمع ، ولا يشارك في البناء الدرامي للقصيدة ولا في التعميمات الداخلي او الخارجي للعمل الشعري ، والاصل فيه ان يتيح للشاعر من خلال وجدانه المتفعل نقل عالمه الباطن الذي تتكاثف فيه الصور والانطباعات والرؤى وتتصافط — نقله عن طريق لون من الاعتساف الهامس الحي ، ليصل الشاعر في النهاية الى مايمكن ان نسميه بمرحلة « التطور » بحيث تكون وظيفة « الصديقة » في العمل الشعري بمثابة المجرى النفسي العميق الذي يصل بين طرفي الخطب ، وينظم — بقدر ما تسمح طبيعة العمل الشعري — طاقات الانفعال والتصور والتعبير ، وفي دواوين عبد الصبور والسياب وحجازي امثلة كافية لمن يريد التطبيق الناضج الاصيل .

لقد كان الشاعر القديم يقول لمحبيته او خليلته او ممدوحه :
انظروا اي فتى انا ! هذا الذي يجوب الفلوات ، ويشارك الوحش طعامه ، وتثقل قلبه كلمات هذه اللوعة ، ويجود بما يمتلك وما لايمتلك ، او بلفتنا الماصرة : انظروا في كل صراعاتي ومعاركي الخارجية التي هي سمة الفخر ومناط التمجيد !

وهكذا يفعل الكثيرون ممن يمارسون تجربة الشعر الجديد اليوم . ومن هنا بدأت الخطابية تتسلل الى كثير من هذا النتاج ، واصبحت الصديقة قنطرة للحديث عن معارك خارجية وليس الاعتراف بوجودان داخلي ، واصبح الخروج على طابع الهمس شيئا معادا ومألوفاً خاصة بعد ان صارت « قضية المضمون القومي » في الشعر الجديد مجالا رحبا لعديد من الشعراء الذين يعتقدون ان مجرد تلوين العمل الشعري بالدم ، وانغماس وجدان الشاعر في لظى المعركة ، وافتعال طريق « عنتري » للخلاص — سيضمن للشاعر عملا شعريا متكاملا تثيرنا فنيته وجدته .

وهذه الزاوية من الموضوع ، تثير — في الحاح — قضية الشاعر والفكرة . من البديهي اننا لانطلب من الشاعر مانطلبه من المفكر ، اننا نريد من المفكر — ليس فقط اقتناعا بما يلتزمه — وانما قدرة على الاقتناع به والحماس له .. ولكننا نريد من الشاعر بالنسبة لما يلتزمه لونا من الفناء فيه والتصوف له .. لونا من التمثل الوجداني لما يعتقده ويؤمن به .. بحيث يبقى التزامه بعيدا في القاع .. في طبقة القوار من نفسه ، ولا تطفو على سطحها سوى الجزئيات من صور وانطباعات ورؤى تلك التي ينظمها العمل الشعري في تناسق وتآزر . واخيرا ، بحيث لايجل الجهر محل الهمس ، والخطابية مكان التلقائية .

الظاهرة الثانية التي نود ان نشير اليها هي مانسميه « التعبير بالصورة في الشعر الجديد » .. هذه الظاهرة التي تعد في طليعة مكاسب الحركة الشعرية الجديدة ، بل وفي طليعة خصائصها العضوية والصياغية ، ولسنا نريد الوقوف عند هذه الظاهرة الان — قدر مانريد الاشارة الى جزئيتين هامتين متصلان بها . اولاهما : ان المفالة — في التزام التعبير بالصورة ، على انه الطريق الامثل لخلق عمل شعري

متكامل — قد افسد الكثير من هذه الاعمال بالفعل — والاصل ان يكون هذا اللون من التعبير بالصورة شيئا ينمي البناء العضوي للقصيدة ويجلو اعماق الشاعر ، ويساعد على تشخيص المدركات والرثيات ، كما يقيم ستارا رقيقا يخفي وعي الشاعر المباشر ، ويكشف عن قدرته على التجسيم والتجسيد .. ويمهد لاستخدام الرمز الذي يربط ما بين العمل الشعري والمتلقى ، وبين التجربة الشعرية وروافدها العديدة المتشابكة .

لكن المفالة في التزام هذا الشكل قد فصل ما بين الصورة الخارجية للعمل الشعري بين وهج التجربة الحقيقي ، فاصبحنا نطالع في كثير من ألوان هذا النتاج قصائد تمتلئ بالصور — الذهنية والعينية — وممع ذلك فالتجربة باردة باهتة ، والعمل الشعري راكد اسن ، والتيار الشعوري يتعثر هنا وهناك نتيجة لهذا الفصام . وبحيث نتساءل امام مثل هذه الاعمال : صحيح ان هنا صورا ... وان هنا بلاغة في التعبير وانسيابا في حركة .. ولكن اين الدلالات الشعورية لكل هذه الصور بالنسبة لنا كمتنوقين ؟ ... أين الشاعر ؟ وهنا ثور من جديد قضية « الاصاله » التي أترناها في مطالع هذه السطور .

الجزئية الثانية — التي تتصل بهذا الموضوع — هي مايعرف الان باسم « الرمز » . ولقد اصبح مضحكا حقا ان نجد الكثيرين يتحدثون عن الرمز في الشعر الجديد على انه ظاهرة جديدة من ظواهر هذا الشعر دون ان يتعرضوا مرة واحدة للفرقة الحاسمة بين المضمون الرمزي والصياغة الرمزية ..

ان مسألة الرمز التي انتشرت في كثير من شعرنا الجديد نتيجة لشيوخ استعمال الاستعارة والتشبيه الذي حذف احد طرفيه وغيرهما من الوسائل البلاغية في التعبير — لاتعني بالتالي ان الرمزية كمنهج قد تسلمت الى حصاد هذا الشعر — والا فان الظاهرة لابد وان تتسع اذن لعديد من القضايا الفلسفية والنفسية والاجتماعية التي تثيرها « الرمزية » والتي لانجد لها ظلا او صدى فيما نسميه بالرمز في شعرنا الجديد .

وعلى هذا المستوى من الفهم يستوي هذا الرمز في كثير من نتاج الشعر الجديد وفي غيره من النتاج الشعري العربي ، ولناخذ مثلا هنا الشاعر محمود حسن اسماعيل في دواوينه « افاني الكوخ » و « هكذا اغني » و « أين الفر » و « نار وأصفاد » . فبالرغم من امتلاء كثير من قصائد هذه الدواوين بمجموعة ضخمة من الرموز — خاصة مايتصل منها بالاطار الريفي في صورته ومشاهدته وانطباعاته — فاننا لايمكن ان نعد هذا الشاعر شاعرا رمزيا بالمعنى الذي يفهمه الغربيون من الرمزية . لنقل اذن ان هذا الرمز — طريقة صياغية في التعبير وانه لايعني ايدا المضمون الرمزي — الذي لاننفه من بعض انتاجنا الشعري الجديد ممثلا في اعلامه — ولكننا ننفي ان يكون هو طابع هذا النتاج الفامر .

خلاصة القول — في هذه العجالة — ان الشاعر الجديد لكي يكون رمزيا بالفعل ، لا يكفي ان يكون قد استعمل الرمز كطريقة في التعبير ، وانما يجب ان يكون مضمونه ايضا مضمونا رمزيا ، زائرا بالدلالات الفلسفية والنفسية والاجتماعية ، وان يكون واعيا بخصائص هذا الاتجاه وبعنصره وابعاده ..

والان الى قصائد العدد الماضي من الاداب .

هدية صغيرة الى اختي ماري : للشاعر ناجي علوش

لاادري لماذا احسست — فور قراءة القصيدة — انها وثيقة الارتباط بقصيدة اخرى نشرت لنفس الشاعر في العدد الماضي من مجلة « الشهر » القاهرة بعنوان « الفر » . فالتجربة التي تتضمنها القصيدتان واحدة

«سندباد واع جديد» يجوب البحار والاصقاع ، والرحلة طويلة والزاد قليل ، والقصيدتان نعمتان في لحن واحد حزين ، وصوت الآخر السذي اختار له الشاعر لفظة «عزيزتي» واحد في القصيدتين .

يقول الشاعر في قصيدته «هدية صغيرة» : عزيزتي - معذرة والف معذرة - فربما تلغني الرمال - وربما اكون من ذبائح البحر - الى المجاهل البعيدة التي - لاتعرف الشمس ولا القمر ..

وفي قصيدة «الفرار» : عزيزتي - فد لاري النهار - لانني لسن استطيع ان اراه - ولن اراك - لن اضم فيك روعة انتصار - لان بيننا البحار .

وبالاضافة الى وحدة المخاطب والتجربة في القصيدتين ، فان المجري النفسي فيهما واحد ، بل ان التفعيلة التي اختارها الشاعر للقصيدتين واحدة ، كذلك فان اختيار قافية بعينها في ختام مقاطع القصيدتين يؤكد مذهبنا اليه من وحدة القصيدتين في التسميين الداخلي والخارجي مما يجعلنا نتساءل لماذا لم ينشرهما الشاعر على انهما قصيدة واحدة او عمل شعري واحد ؟

استلغنتي اولا ان بالقصيدة ، كثيرا من المفردات التي شاعت فسي كثير من نتاج الشعر الجديد ، مصاحبة لمثل هذا اللون من التجارب - تجارب المفامرة والضياع في مثل : انطلق الشراع - البحار والقفار - المرافئ والمحار - وصورة القرصان ...

وقد استنفدت هذه المفردات اصالتها لكثرة دورانها ، واصبحت دلالاتها الشعرية باهتة قريبة الغور . لكن بالقصيدة تجربة جديدة - على مااعتقد - تتصل بالشكل الصياغي للشعر الجديد ، تمثلت في عسدد من الاشطر المتخمة في اتصال كامل ، بحيث يستحيل عدد من الابيات المتوالية الى تركيب واحد مترابط ، تجمعهم نغمية واحدة .

يقول الشاعر : يجول - مثلما اجول - باحثا عن النخيل - في الرمال - والمحار البحار - والظلال في الحداائق القصية اليانعة الثمر - يجول - مثلما اجول - باحثا عن الخطر .

ويقول : اواه كم اود ان اراك ، ان تضميني - عيناك ، ان اعود - وفي يدي بعض ماجنيت من مجاهل الوجود .. هدية صغيرة لقلبك الودود .. ويقول :

وعندما يهاجم القرصان مركبا - من المراكب المهشمت السائرات في العواصف - المصمعات ان نعود ، ان تكابر الهلاك - نهاجم - - حتى تكل اذرع الرجال ، والمراكب - الممزقات ، تستكين في قسرة الدمار ..

ولست املك الحكم الحاسم على مدى نجاح هذه التجربة الجديدة التي يقوم بها الشاعر ناجي علوش في هذه القصيدة ، غير اني ارى ان مثل هذا اللون من التجديد الصياغي يشترط لنجاحه الا تنزلق مقاطع القصيدة في مهاوي «النثرية» كما حدث للمقطع الاخير الذي استشهدت به في المقاطع الثلاثة السابقة . بينما نجحت التجربة في المثالية الاولى وافادت في تعميق المجري النفسي للحن الاساسي في القصيدة .. الذي يتدفق من بدايتها حتى نهايتها في عذوبة وليونة ، تصفي عليهما طبيعة الهمس الخافت لونا من الاصاله والصدق .

ولست ادري لماذا لم استسغ كلمة «السمحاء» في قوله : - هنيهة املكها ، اجعل من لهيها - ما تطلب الحبيبة السمحاء» من جيها - ربما لان وجودها لا يضيف كثيرا الى المعنى الذي يقصده الشاعر كما ان في قوله : - .. باحثا عن النخيل - في الرمال ، والمحار فسي

البحار - والظلال في الحداائق القصية اليانعة الثمر - شيئا من الفراية ، فانا افهم ان يكون البحث عن النخيل في الرمال والمحار فسي البحار شيئا مجهدا بل وموتسا احيانا ومن هنا تأخذ دراما التجربة عظمتها وكل عنفوانها ، ولكن البحث عن «الظلال» في الحداائق «اليانعة الثمر» امر لا يحتاج الى بحث .

وبالرغم من كل ذلك - فان هذه القصيدة تظل في رأيي خير قصائد العدد بلا جدال .

نبوية - للشاعر كامل ايوب : راقصة في حانة ، تعيش على ذكرى فارسها الذي طار ، وتؤمن انه سيعود ، ولانها نورية فهي تعيش بحب واحد ، ولن يعيد قلبها العابد امام اغراء الالاف الذين يقصدونها كل ليلة .. وكل منهم يطعم في الفوز .

القصيدة مزدحمة بالصور .. تدور كلها حول مفاتيح نبوية الجنسية .. فهي : عارية الا من اشرطة حول النهد - حول الردين المجنوين - كانت نارا اشعلها زنجي في القابة - كانت طيرا بريلا لم يستأنس بعد - الجسد الشعباني الاقيوني اللون - وبريق العين الوحشي - والهوة في الخد القمحي - رائحة كمياء الينبوع .

ثم هي : عابقة النكهة كالزهرة - ناضجة كثمار الموز وهي : شائقة كفراشة حقل - فاعرة كالرمح ..

وايضا : ترقص احدى عشرة رقصة - بالقد المصقول - والعين الثابتة على المجهول - وعير الانثى الصارخ بالاجساد .

ربما لانها راقصة استحقت من الشاعر كل هذا الاهتمام بمفاتها الجسدية .. ولكن هذه الطاقة الزاخرة بالوصف ، لاتعطينا اي انطباع انساني ازاء هذه الراقصة التي تتأبى وتنفلت من الجميع كالفراشة .. وبرأسها وهم رومانسي ساذج يتمثل في عودة فارسها يوما ..

وازاء هذا الحشد من الصور لا نملك الا ان نتساءل : واين الشاعر ؟ ان الشاعر لا يبدو من خلال هذه القصيدة الا في مشهدين خاطفين ، عندما تجتذبه فتنة الراقصة ، فينصحه رفيقه بالابتعاد ، ويهمس اليه بقصتها ، ثم عندما يقرعان الكاس سويا في صحة نبوية ، وبذلك تستحيل كل هذه الصور المتتابعة الى طلاء خارجي لا يعمق وجداننا بالتجربة ، بل لا يضيف الى الراقصة بعدا انسانيا ما - بينما لا يرينا الشاعر من خلال هذا الزحام الا كوة ضئيلة نطل منها على مدى العلاقة التي تربط نبوية بفارسها ... تلك العلاقة التي ترسبت في نفسها وقيت حاجزا بينها وبين الاخرين .. تتمثل هذه الكوة الضئيلة في قوله :

كانت في الليل القمر ترقص له - وهو يراقها بالناي ..

ولا ادري لماذا هوت بعض الشطرات من يد الشاعر الى مستوى «النثرية» : وصحونا في اخر شوط كانت تلهث - وتمد المندبل على مقعد - .. اسمع قصتها هي ما زالت غبراء .. كما يستعمل الشاعر كلمة «عابقة» بمعنى «عقة» ولا اعتقد ان الاستعمال اللغوي يجزها . غير ان البناء النغمي للقصيدة - بالرغم من ذلك - ينمو في اطراد وتآزر ، وربما كانت هذه الظاهرة هي ابرز ما في القصيدة لقد رسم شاعرنا صورة ضخمة لراقصة نورية ، وكان بوسعنا ان نجعل صورته هذه اكثر انسانية ، واملأ بالحوية ، واغزر بالدلالة .

مدينة تاكل الجياح - للشاعر احمد محمد صديق : الشاعر يمثل تجربة الضياع في المدينة ، هذه التجربة التي كانت مدارا لكثير من قصائد الشاعر احمد حجازي في ديوانه «مدينة بلا قلب» ولكن الفرق بين مستوى الشاعرين في التجربة والتعبير كبير .

فبينما يختار حجازي لتجاربه اللفظة المليئة المكثفة ، والتعبير الاصيل ، والصور النابضة بالحركة والحياة والطواعية ، فان شاعرنا يكتفي بسان يسرد احكامه هكذا :

اختاه .. هل رايت ما جمعت في يدي - من ثروة المدينة العمياء - رجعت يا اختاه فارغ الجيوب - لانها ارض بلا سماء - سياطها لا ترحم القريب .

كما ان هذا المخاطب الذي اختار له الشاعر هذه التسمية « اختاه » غريب على القصيدة ولا معنى له ، بل انه لا يحمل دلالة ما في مسار التجربة ، سوى انه متكا للشاعر يلجأ اليه من نقلة الى نقلة . يبدو ان هذه الشطرة قد افلكت من الشاعر :

انا .. راقصة زنجية لان وزنها مختل ولا ينسجم مع ما يليها من شطرات . وبالقصيدة عدد من التعبيرات التي اصبحت اقرب السى الكليشيهات الشعرية : « والليل تين مخيف » . الزمن المسعور . الف ظفر ، الف ناب ، ثم هناك بعض التراكيب التي لا تحمل في ذاتها معنى بل لعلها تثير الاستفهام كقوله : الزمن المسعور .. في اهابي - معلق .. يمتص من قرابي

ولست ادري كيف يمكن ان يكون الزمن المسعور معلقا في اهاب الشاعر ومع ذلك فهو يمتص من قرابه .. هذا اذا سلمنا - بسلامة الصورة اولا .

لهات الارض - للشاعر ظافر الحسن :

ربما كانت هذه القصيدة من بين قصائد العدد الماضي - اصدق نموذج على ما نسميه بمشكلة « التعلل » في الشعر الجديد .

ان العلاقة بين الشاعر والفكرة - كما قلنا في سطور سابقة ، يجب ان تطل علينا من خلال تمثله لها ، وانغماسه فيها ، بحيث ترسب هي في القرار ، ولانرى من السطح الا الصورة المنعكسة - تلك التي تحمل وعي الشاعر دون ان يقتلها هذا الوعي او يوقعها في خطابية الدعوى وجفاف التقرير .

القصيدة تبدأ هكذا : اعلم من تجاربي - من جرح قلب لائب - مفامر وخائب - من مقلة ينداح في اغوارها التلف - والحب والتخوف - اعلم ان الارض في رطوبة العفن ! .

فالمصور التي يستعين بها الشاعر لتجسيد وجدانه المنفعل ، تقتلها هذه الحكمة التي تسيطر - ليس فقط على هذا المقطع الاول من القصيدة - وانما على سائر مقاطعها الاربعة .

شيء اخر . ان قراءة هذا المقطع - في البداية - لاتنبئ الا عن تجربة من تجارب الضياع في المدينة ، المدينة التي ينجرح فيها القلب ويخبب الحب ، بينما يعيش فيها الرعب والفزع ، وتنصب المشانق وتقام الاعواد ، المدينة التي تمتلئ بصغيرات منبذات يقتاتهن ذباب الطريق .. ويمشي النغم هكذا .. ينساب ويبدأ ويبدأ .. لا تعرقله سوى هذه الروح الحكمة التي تصر على استخلاص النتائج وتعميم الاحكام المباشرة ، حتى اذا انتقلنا الى المقطع الثاني لفحنا مدار التجربة « القومي » تفجؤنا انفجاريته في حدة وعنفوان :

اعلم في الجزائر - مقالع للدم ، للمصائر - ولعنة راعفة ، محرورة الخواطر - وجثة مصلوبة « لناصرى » - وفي مدى الموانئ - سفائن مشحونة بالزنج ، بالفواجع - باعين جوفاء كالقواقع ..

وهذا الجزء من القصيدة يثير موضوع « المضمون القومي » في شعرنا الجديد ، فليس يكفي ان يكون المضمون انسانيا - بطبيعته - حتى

تتحقق له فنيته الكاملة .. وليس يكفي ان نملأ وجه العمل الشعري بحشود من الصور التكررة - التي لم يعد لها دور ايجابي في العمل الشعري - اللهم الا طمس وجه الشاعر الحقيقي ووقوعه في التبعية والرقابة - حتى نعد مجددين اصلاء .

واداني هنا مضطرا الى الاشارة الى قصيدة « ستظل جزائري خضراء » للشاعر محمود كلزي ، دون ان افرد لها حديثا مستقلا ، ذلك ان القصيدتين - بالاضافة الى النقائهما في التعبير عن تجربة النضال في الجزائر ، تلتقيان تماما في كل ما يؤخذ عليهما ، اللهم الا ان التعبير في قصيدة « كلزي » اكثر مباشرة ، واكثر خطابية ، واما بالتقرير ، ولكن ذلك لا يمنعنا من التنبيه الى الفرق بين القصيدتين في اصالة التجربة وفي مستوى الاداء معا .

حلفت .. ان لن ترقد - ما دام استعمار اسود - ما دام عساكر هولاء - والطاعون الفتاك - وعهود ، يقطعها الاحرار - ان لن يعيا الاشرار - ما دام هنالك الف جميلة بوحيد - ما دام هنالك الوف من « عتبة » يفدى شعبه

ولست ادري كيف يستقيم الوزن في قوله « والطاعون الفتاك » او قوله : « ما دام هنالك الوف من عتبة »

ونعود الى الشاعر ظافر الحسن في قصيدته « لهات الارض » ان شاعرنا ينهى في قصيدته هذه عن طاقة طيبة للتعبير بالصورة ، وعن مقدرة فنية اصيلة تتمثل في بناء القصيدة المتناسكة الذي لا يعيبه الا هذه النقطة المفاجئة التي اشرنا اليها ، ومن المؤكد ان سفور الشاعر عن وجهه الحقيقي ، سيتيح له حظا اكبر من النضج والاصالة . يبقى بعد ذلك تعبيران لاقار شاعرنا عليهما . الاول في قوله :

من منشورات دار الاداب

دواوين نزار قباني

زينة لكل مكتبة

الثلثم

قصائد نزار قباني	٣٠٠ ق.ل
قالت لي السمراء	٣٠٠ ق.ل
طفولة نهد	٣٠٠ ق.ل
سامبا	١٠٠ ق.ل
انت لي	٢٥٠ ق.ل

دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٢

« ومتى مضارب مذلولة الصور » فبالإضافة الى ان تخفيف « متكا » في بداية الشطرة ليستقيم الوزن من باب لزوم ما لا يلزم ، فالتعبير عن المضارب بانها « مذلولة الصور » شيء لا يقره الذوق ، وقد جرى العرف على استعمال كلمة « ذليلة » لا « مذلولة » .
والثاني في قوله :

من رهبة المشائق - من ادمع ، ذبائح تصلبت اكر - يلهو بها القدر -
فالتعبير عن الذبائح بانها « اكر » يلهو بها القدر ، لا يعطى الصورة التي يريدنا الشاعر شيئا من الاقتناع او حتى مجرد التقبل . فضلا عن انه يعيد الى الذاكرة ذلك البيت القديم الذي كان يتمثل به الإباء الحب والمطر : للشاعر عدنان كيلاني - للشاعر عدنان في قصيدته هذه صور غريبة تصدم الذوق والمألوف . ولكن الوقوف عندها لا يخلو من فائدة .

« وان زورقي حائرة اضلاعه - تحلم باللال » فنسبة الحيرة الى اضلاع الزورق كان اولى بها مجدافه او مقدمته او صاربه .
« تبحث عن شواطئ عميقة عميقة - طعامها الحال » وانا اتساءل كيف يمكن ان تكون « الشواطئ » عميقة عميقة ، ثم ما معنى ان يكون طعامها الحال ؟

« احس ان وهما ، جرحنا - وربما رؤاه غثبت وعسلت » - والقول بان الرؤى تفصل وتعنب ، اقف عنده دون تعليق . « تموز خصب - تموز حب - ونسفه النضال فمزق آهاتنا - واورقي في الرمال - يا رفيقتي »
ان الوزن لا يستقيم في قوله « واورقي في الرمال » ما ضر لو قال « واورقي في الرمل » حتى يستقيم الكلام .

« حوار » : للشاعر عبد العزيز عبد الفتاح مخمود - يبدو ان حظي مع هذا الشاعر اكثر من سيء . . لقد طالعت له من قبل - وعلى صفحات الاداب - قصائد اكثر احتفالا بالشعر واصدق دلالة على الموهبة، ولكن هذه القصيدة خيبت ما املت !

مدائح لسان جون بيرس : تقديم وترجمة هاني صعب -
كنت اوتر ان اطوي هذه السطور دون ان اتعرض لهذه « الاشرافات من الشعر المعاصر » . واشهد لقد قرأت هذه المقطوعات واعدت القراءة اكثر من مرة ، وفي كل مرة كنت اشفق على نفسي واكاد اتهمها في اكثر من موطن .

مادة هذا اللون من الشعر كما يقول الاستاذ هاني : « تتخفها الغربة والرموز الخفية » . . وانا اتساءل : الم يكن اجدر بالاستاذ هاني ان يقدم بين يدي هذا العمل الضخم تفسيراً للمدلولات الرئيسية التي تختلف وراء هذه الرموز ، وبعبارة اخرى : الم يكن بوسعنا ان ننقلنا الى عالم هذا الشاعر الغريب عن طريق دراسة ارحب ، بدلا من هذا الستار الباهت الذي حاول ان يقوم به لهذه القصائد ، ظانا انه بهذا قد لقي المزيد من الضوء على الشعر والشاعر ؟

ان قضية الترجمة - في مثل هذه المستويات التي تتطلب جهدا خارقا واصالة نادرة - تتضمن بالتالي مسؤولية ايجاد مناطق ونو ضئيلة للقاء بين كل من الشاعر والمترجم ، بحيث لا يفقد العمل الشعري حلوله وفعاليته ، ويصبح مجرد حروف اوجدتها الصدفة على الورق .
وكننت اود ان اعيد نشر الكثير من هذه المقطوعات ، لاضع بين يدي القارئ هذه المتاهات الرجعية الموحشة !
فاروق شوشه
القاهرة

نقد القصص

- تنمة المنشور على الصفحة ١٢ -

ان الكاتب لم يوفق في خلق الموقف المبرر لهذه الانفصالات .
القصة الثالثة : قصة (دخان الذكريات) بقلم الاستاذ يوسف احمد المحمود ، وهي على الرغم من قدرة الكاتب على نقل الجو والروح الفكرة التي تشيع فيها غير انها تزدهم بالاحداث التي لا يوجد رابط حقيقي او عميق بينها ، سوى انه شاهد فتاة وعادت به الذكرى . فهو يذكر يوم ان كان طالبا صغيرا في المدرسة وهذه الفتاة تركب على ظهره بين صفين من الطلبة في تلك القاعة المستطيلة ، ويستعيد جو المدرسة والضيعة ، والحرب العالمية الثانية والحرب والمظاهرات والاعتقالات ، وقصائده في ايام الجلاء وما تتميز به من خفة روح ، ثم العودة الى البلد واكتشاف هذه الفتاة من جديد ، ثم سقوطه المتكرر في الجامعة ، ثم عود الى بداية القصة والشاب يقول : اختي سلمى ويحول يده نحوه معرفا : الاديب الكبير . . الشاعر .
وهذه الطريقة كانت شائعة في نماذج الادب الرومانسي الرديئة كان يجلس البطل على قمة جبل ويمتد البساط السندي امام عينيه ، ويذكره صاحبه بشيء ما ، فتعود به الذكرى .
وعلى الرغم من المآخذ التي وجهت الى القصتين الاخيرتين فانهما تمان عن استعداد طيب لدى الكاتبين ، سيتضح دون شك في قصصهما القادمة .
غالب هلسا
القاهرة

صدر حديثا

قراءة الموجة

شعر نازك الملائكة

وحدي مع الايام

شعر - فدوى طوقان

وجدتها

شعر - فدوى طوقان

الحب والنفس

قصص - عبد السلام العجيلي

العودة من النبع الحالم

شعر - سلمى الخضراء الجيوسي

منشورات دار الاداب - بيروت

بغداد والربيع

أنا ههنا

والليل يطبق غيمة سوداء تبتلع المدينة
والضوء جف على البيوت سناه ،
وانتشت العفونه

وتغلغلت كالسم في رئة الرياح
وتكسرت تعبى خيوط النور ، واختنق النهار
وتسربت لجج الرطوبة في شرايين الجدار
بغداد تبدو في الدجي
مستنقعا من قار

سقراط يكرع كأسه ، روما طعام النار
جنكيز ركز في عيون الرب رايته وسار
بغداد جارية يمزق جلدها سوط التتار
جنكيز يزرع في تلال النور خيمته اللعينة
وهناك في طرف المدينة

ويصوغ من مقل الصغار سوار عاهرة بدينه
سحب الدخان تكاثفت

وبيارق حمر لعينه

اكفان اطفال المدينة

تبدو كأسراب الحمام

ياريشها المنثور ، ياطهرا تلوته الضغينه

وعلى الجدار تسمرت كف

تعانقها جديله

وبقية من ثدي عذراء قتيله

ونشار نرجسه ونجمه

والفارس المصلوب يبسط كفه نحو السماء

والرياح تنثر شعره ،

كسنا بل ،

كخيوط نور

شفتاه تبسم

مقلتهاه

مشاعل في جوف غاب

وتلبدت فوق السقوف طحالب ،

وجرت دماء

وتدحرجت من صدره ،

تفاحه حمراء كالشفق الجريح

اغلق نوافذ بيتنا .. فالليل ريح

النار تأكل نفسها

والجسر يوصل للفناء

والحارس المخمور يبصق حقه

والجثة الشوهاء عند الباب ،

عافتها الكلاب

وصغيرتي مرعوبة تبكي

فدميتها الحبيبه

مزق يعفرها التراب

أوصد رتاج الباب

فالشارع المخنوق تنهش قلبه جرد الذئاب

والليل في بغداد يعني ان تعيش على انتظار

خيل المغول تلوك أزهار الحديقه

وشجيرة اللباب تنشب في جراح البيت اظفارا رقيقه

والحارس المخمور يشتم كل شيء

حتى زهور الدار

أنفاسه أفعى تفح العار

اطفىء سراج الدار

وتسيل من شذقيه هممة بذئه

ويلوذ عصفور بصحن الدار

وتغوص طفلي الحبيبه

في فراش الرعب ،

تهمس بارتياح

بابا ... دماي تمزقت ...

... الليل يرعبني ...

الوحش مزق دميتي ...

اني اخاف

وتدحرجت لؤلؤة من عينها

وتكورت قطتها على اللحاف

لاتبك يا صغيرتي

الفارس المصلوب يبسم بازدرء

والليل لملم ثوبه

والشمس تشرق من جديد

بغداد شدت جرحها

وغدا ستغتسل المسالك بالضيء

وتعود اسراب الحمام تحط فوق قبابها

وسأشتري لك دمية اخرى جميله

شفيق الكمالي

من رابطة الادباء العراقيين الاحرار

للكى النصر يا بغداد

مخضوبة اللواء ..

★★

بغداد
آمالي بها قتلى .
بغداد
من احداثها قتلى .
فلنتنظر .. طفلا ..
اليك يامدينتي ،
رسالة عجلنى .
كم دمة
من أعين ثكلى .
تجدد الامل ،
تجدد الامل ...

★★

بغداد
يا مدينة السلام .
كفرت بالانين
يقتل العمل ،
ويورث الملل .

★★

ما قصر الطريق !
يا بغداد .
الفجر لا تغفل عيناه ،
عن الوهاد .
يا شعراء القمة الرهيبة العصماء .
ارخوا عنان خيلكم ،
قد ملت الثواء .
فنحن والفجر ، على لقاء .
لا تغمضوا أعينكم ،
ولتذكروا غدا
يا أصدقاء ...

القاهرة محمد سعيد بابصيل

بالنصر ، قاصيه ودانيه .
والموت للتتار ..

★★

بغداد
يا مهد النضال ،
والاماني المشرعه .
سيرى
على لحن خطاك ،
الحررة الموقعة ،
سيرى
على صوت الردى ،
في خطوات مسرعه .

★★

بغداد
يا مصلوبة النجوى .
بغداد
ياسجينة الشكوى .
حتى النداء
يعبر الاصداء ،
ويلهب « الحدياء »
بالنشيد .
يهزأ بالسجان والقيود .
ويكشف البلوى .

★★

بغداد
جنناك على رجاء .
نخترق الحدود ..
سلاحنا ،
أقلامنا الظماء .
فاستقبلي
في يومك الجديد .
طلائع الفداء .

عامان
غص بالانين ،
فيهما الصباح ،
وغيببت ،
تحت الدجى .. فيه ،
صحائف الكفاح .
لن ترفعوا
أعلامكم
فوق شواطيه ،
الا على الرماح .
فمزقوا حقد أفاعيه ،
يا اخوة الجراح ..

★★

يا كبرياء العرب
في الموصل - نفديه .
يا ثورة الاحرار والاقلام
في سود لياليه .
اليكمو في - ليلة الشك -
نزف الحرف .. نعليه .

★★

يا اخوتي
ان تاقت الاقلام للعناق .
فحبكم للمجد نرويه .
يا ايها الرفاق .
يا أبطال حلبة السباق ..
ما الظلم ،
في أقواس راميه .
والموت ،
في اكواب ساقيه ،
الا وقود النار .
وصرخة الاحرار .
فلتهنأوا ...

تحرير جيل من الوهم ...

بقلم محيى الدين محمد

العقل والعادة :

في كل بضع سنوات تحتاج الحياة الى وقفة صغيرة للتأمل . كيف عشنا ، وما هي الامال التي حققناها ، وكيف تغلبنا على العقبات ، وما هي آمالنا القادمة ، وكيف استطعنا ان نحول انفسنا بالنظر الى الظروف ، وبإخضاعها؟ كل هذه الاسئلة المثارة تقفز مرة واحدة الى الذهن بعد عشرة اعوام او اقل من العمل المتواصل في ديمومة مستمرة . وهذه ليست مجرد تجديد لحيويتنا او لنشاطنا، اذ يمكن للتجديد ان ينشأ بفضل الظروف ذاتها ، وبلا تدخل من الارادة ، وذلك ما نسميه ضربة الخطر . ان هذه الوقفة هي تغيير كلي لدمائنا وانسجتنا ، انها انقذاف في مجرى جديد . تحول كامل ..

القليل النادر من الاشخاص يملكون عبقرية الوقفة الصغيرة ، والملايين يسرون في حياتهم منذ بدايتها حتى خاتمتها الملفوفة بالموت في مسار هادئ ثابت ومتوحد ، بلا اسئلة ولا صراعات : كلهم يصدرن عن هذه القطيعية التي تفترض من البشر ان ينقادوا وان يطيعوا وان يلتزموا بالقواعد الموضوعية ..

انت اسمك حسن او تيسير او هاشم ، او ليلي : لك رأس تنفرد به وسط جميع البشر ، ملامح خاصة ، انف مقوس او معتدل . اذنان معينتان . عينان عسليتان . لك مخ بداخل راسك ، لم يدخل رأس مخلوق آخر من قبل . ارادتك محبوسة داخل طاقات جسمك . تفكر كيفما تشاء : في هذه الجميزة ، في ابنك العاصي ، او صديقتك الجديدة . لك مطلق الحرية في ان تفكر . انك انت ، لانك لست احدا سواك . هذا انت . انسان منفصل بكل تكوينه وتشكيله وسماته واعصابه عن الآخرين . والمفروض انك في مجتمع معين : في قرية او صحراء او مدينة . في هذا المكان انت تتصل بالآخرين ، وتعاملهم على اساس منفعتك الخاصة مباشرة ، ومنفعة الجماعة بشكل غير مباشر . انت تعيش معهم في هذا الرباط المقدس الذي اسمه : الوجود الاجتماعي ، لانه عسير عليك ان تعيش وحدك ، وحتى اذا انفصلت عن الآخرين ، فانت بشكل ما ، مرتبط بالآخر الذي يطحن لك القمح ، وبالاخر الذي ينسج لك ملابسك ، وبالثالث الذي يطبع لك الكتب في وحدتك . انك اسير فوق هذه الارض التي تدعي ملكيتها ..

هذا انت

القضية الاولى ، هي انك منحوت من صخرة خاصة ، وبشكل لم ينحت به احد قط . انك معدن خالص ، ومنعدم المثل بالصورة التي في كيانك . انك نادر ومستحيل الوجود مرة اخرى ..

الحياة تعني العمل والاصدقاء والحبوبة والهواية والرياضة والنوم ، والموت ايضا ... تعني انك تخبر كل شريحة منها على حدة ، وتفهمها وتدوقها وتغامر في تجاربها الواسعة، وتعيش وتسعد ثم تموت .. القضية الثانية هي ان الحياة معناها الانغماس - في - الآخرين ، وليست في التصوف والطبيعة .. لتذكر القضية الاولى : انك انت . خاص وفريد . القضية الثانية : انت - كإنسان فريد - عليك ان تعيش مع آخرين فريدين مثلك . كل واحد فيهم هو ذات خاصة مقطوعة من صلب خاص .. لنقف هنا قليلا . الحياة منذ القديم كانت تعاش بتجارب منعزلة : يعني لو حضرت الوفاة واحدا من البشر ، فانه يموت ، وتموت معه تجاربه الخاصة جدا . وعلى الانسان الاخر الذي يريد النصيحة ان يبدأ منذ البداية الاولى ، فيغامر في نفس تيار التجربة التي عاناها المتوفى .. اي يبدأ من البدايات ذاتها ..

واحتاجت البشرية ان تفيد من تجارب الناس فابتكرت الذاكرة والاخلاق والفلسفة والعلوم : فانك اذا اردت ان تطبخ دجاجة ، لا تؤلف طبخة خاصة ، وانما تفيد من تجارب الآخرين ، فتصنع العملية كانك خبير فيها ، كانك مخترعها . وكذلك في العلوم كحاصل ضرب كذا في كذا ، او النتائج المختبرية لاضافة كذا الى كذا ... صحيح ان المجال في الكيمياء وكل العلوم الاخرى مفتوح دوما لاضافة علاقات جديدة واكتشافات اخرى ، ولكنه صحيح ايضا ان كل اكتشاف واختراع ، يضافان الى سلسلة المتحصلات البشرية ، ليصبح علمنا وخبرتنا ..

القضية الاولى : انت فريد . الثانية : انت تعيش في وسط من المتفردين . الثالثة : انت تفيد من خبرات الآخرين ، وتجاربهم .

القضية الرابعة اخطر القضايا واشدها اهمية : ما هو الحد الذي يجب ان تقف عنده ما نسميه الخبرات ، بين ان تنفى عنا ذواتنا ، وبين ان تفيدنا ؟ وبعبارة اخرى اسلم : كيف نفرق بين الخبرات التي نفيد منها ، وبين الخبرات التي تعطلنا ؟!

يمكن ان نقول عن الدين ، انه خبرات لمصلحتنا ، كما

يمكن ان نقول عن القانون الفرنسي كذلك ، وكما يمكن ان نقول ايضا ان اكل البيض الفاسد (كما يفعل الصينيون) هو خبرة لمصلحتنا ..

كل هذه الخبرات يمكنها ان تصبح كذلك . ولكن . اذا شاء احدنا ، ممن تناولوا البيض الفاسد ورموه لفورهم ، تقززا واستقباحا لطعمه ، اذا شاء هذا الرجل ان يرفض هذه الخبرة ، فباسم ماذا يرفضها ، ولماذا قبلها الصينيون ، ورفضها هو .. ؟

لا تقولوا ان ظروف المعيشة في الصين تختلف عن ظروف المعيشة هنا ، بخلاف الذوق في الطعام والشراب ، لانكم لو قلتم ذلك ، سقطتم في الشرك المعسد .. لان الاختلاف في الذوق لا يعني ان تشريح افواه الصينيين يؤكد اختلافها عن افواهنا ، ولكنه يعني الوقوع في العادة ، واذا اقتنعتم بذلك ، فاصبروا قليلا ، فما اتكلم الا عنها .. عادة ثانية : قام جاليليو وحده ضد العالم المسيحي وقتئذ ، ليؤكد ان الارض تدور حول الشمس ، وان الشمس جرم ثابت . في ادمغة المسيحيين الافاضل ، رأي واحد فقط ، هو ان الارض مسطحة كما تقول التوراة (اي الخبرات القديمة) واذن .. فالى الحريق يا جاليليو ، لانك ضد عاداتنا ...

عادة ثالثة : سأل زنجي ذكي ، احد المبشرين : اتعني يا سيدي ان تقول لي بان (نوحا) قد بنى بنفسه سفينة ، وانه حشد لها الطيور والسباع والحيوانات الصغيرة والحشرات الدقيقة التي تتعذر رؤيتها ، وكل حي فسي العالم ...؟! واجاب المبشر : نعم يا بني ..! وتعجب الرجل الذي عاش عمره في الغابة ، ويعرف عن انواع الحيوانات والطيور والحشرات اكثر مما كان يعلم نوح ، والقسى قبلته : ولكن يا سيدي ، اذا كان نوح قد جمع من كل زوجين اثنين ، وانت طبعا تعرف ان الاسد مثلا يفترس الغزال وحمار الوحش ، فكيف امكن لهما ان يعيشا معا ؟ واجاب المبشر : انها قدرة الله يا بني ..! ولكن الزنجي ما زال متشككا : اذن فماذا كان يأكل الاسد اثناء هذه الرحلة اذا علمت انه لا يأكل سوى اللحم ..؟ وماذا كان يأكل الصرصور ، ونقار الخشب ، والفأر ، وضفدع الغابة ، والسمبانزي ، والبقر ..؟

وبهت المبشر ، واخاله قال في نفسه : هذا رجل لا ينفع المسيحية لانه بربري .. يعني ان القضية يجب ان تؤخذ بالعماء ، لانها من المعلومات التي ورثناها عن اجدادنا .. وهنا يدخل هذا الكائن الممتاز الذي يميزك عني ، والذي اسمه العقل ..

هذا الحد القاطع الذي يسمي كل شيء ، ولا يترك شيئا بدون اسم ، هذا القانون الذي يقول لك : هذا خطأ لان نتيجته هي كذا وكيت . هذا العملاق الذي لا يخشاك ، ويخطر في كل دقيقة بان عليك ان تفعل هذا او ذاك . بعضنا يخاف هذا الكائن الجبار . كثير منا يخشونه لانه يفترض منا ان نكون على صلاته ، وان نحارب دوما اثناء وجودنا .

ان نشكل حياتنا وان نقذف بها في حدود الاستحالة والامكان . انه يرفض ويستحي ان نلجأ الى احد الاستشارة . لانه يمكن له ان يعطينا نتائج سليمة . الكثير يخافون عقولهم ، لان من يتمسك باستعماله ، تصبح حياته ممثلة حتى قمتها بالفعل والنشاط والحركة ، والتفكير في كل شيء . لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا كان على ان اقوم بذلك ، ولا اقوم بسواه ؟ ..

انني اولد في حي عابدين ، وسط القاهرة ، في بيت كلاسيكي قديم . لعب الطوق والكرة ، ولي بعض اهتماماتي الادبية ، كقراءة ارسين لوبين ، وروكامبول ، وفومانشو الجبار . انني اكبر في السن وازداد نضجا ، واتحول من روايات الجيب ، الى توماس مان والبير كامو واندرية جيد . اعمل في شركة تلغراف . لي اصدقاؤني من الادباء ومن غير الادباء . واعيش حياتي الخالية من اي معنى وهدف ، كما كان سيعيشها اي واحد من اي مكان تختاره انت جزافا : يذهب لعمله في الصباح او المساء تبعا لنوبته في العمل ، ثم يتلفن لصديقه « غالب او علاء .. » اريد ان استمع الى بعض رباعيات بيتوفن الوتيرة .. ، هل يمكن لي القدوم الى المعادي ؟ ولكن ، بالطبع ..! وفي المساء يذهب الى سريره ويقرأ : الملك لير ، او بيركهات ، ثم يستمع الى هاري بيلافونتي .. وينام (1) ...

حياة عادية خالية من اي شيء مميز ، قد تكون حياتك ،

جراح تنغي

اول ديوان تنغي كلماته بتجربة جميلة بكامله

اول ديوان تنغي في حروفه ما في شعبه وفضلاته
اول ديوان يروي قصة اخيانات بصراحة
اول ديوان تنغي فيه جراح مشهراة



دار الطباعة للطباعة والنشر

توزيع الشركة العربية للتوزيع

صحيح ايضا ان نضج الطفولة وحررتها وتطلعها ، تختفي في المرحلة الثانية ، ليظهر النفاق الاجتماعي ، وغرائز الطاعة ، والتميع في عادات المجتمع ..

انت ولدت الليلة فحسب ، من ابوين مسلمين . ها هو احد الملائكة يحملك على جناحه ، ويضعك برفق في سرير احد الوثنيين على الزامبيزي . يقوم الزنجي في الصباح ويجدك . وقد يكون للرجل ابناء او لا يكون . المهم انك اصبحت ابنه . وبعد عشرين عاما ، اعد النظر الى نفسك : ها انت ذا ، تعبد الها اسود الوجه قد كله من الابنوس ، واسنانه الناصعة من العاج . وها انتذا تنحني له صباح مساء ، وتطلب اليه في مذلة حقيقية ان يعينك في الزواج من ابنة شيخ القبيلة .. هانتذا تصبح زنجيا حتى منابت شعرك ، بالرغم من بياض بشرتك او صفرتها ..

ما الذي يمكن له ان يخبرك هناك ، في معقلك الجنوبي ، على تخوم الارض السوداء ، من الذي يمكن له ان يقول لك : انت تعبد آلهام مزيغا ؟!

لقد اصبحت اسيرا لخبرات الرجل الافريقي الاسود . فلا فائدة من تحويلك . وتمضي حياتك على النحو الذي مضت عليه حياة الالاف من ابناء هذه القبيلة : لقد اصبحت مغلقا كدائرة ..

العقل هو الوقفة الصغيرة التي تقول لك : كلا .. ! انك لست على صواب . ان الصواب هو كذا .. وللعقل هذه القدرة المدهشة على التمييز لانه يعرف الفرق بين الحسن والخبث .

ولكن ، كيف يتأتى للعقل ان يعرف الفرق بين الحسن والخبث ، اليس بخبرات السابقين ؟ ..

لقد اعترفنا بان بعض الناس لا يستعملون العقل لانهم يخشونه . وهذا الخوف يعطل حيوية هذا الكائن المدهش ، ويقتله بعد مضي اعوام . في حين تنمو ، من الجهة المقابلة ، قدرة غريزية صلبة بالتبعية ، فبقدر ما يقول العقل : لماذا؟ تقول هذه القدرة : الولاء .. انني انقاد .. !

التجارب والخبرات التي منحنا اياها الآخرون تنقسم الى قسمين : ١ - الخبرات العملية : وهي التي اذا شككتها فيها ، يمكن لنا بتجربة بسيطة ان نعيد ايماننا . (الارض مستديرة) كيف ؟ من قال هذا ؟ وفي دروس الجغرافيا اربعة ادلة هامة يمكنها ان تخرس اللسان ..

ب - الخبرات النظرية : والتي لا تخرج عن الحكم والخرافات والاساطير والحكايات والاخلاقيات التي حاول اجدادنا ان يفسروا بها كل شيء ، وان يضعوا للحياة نصابا .. (المسيح احيا لعازر من الموت ..) احياه من الموت ؟! كيف ؟ والجواب هو ، انها قدرة الله .. او ارادته ، او معجزة المسيح .. او .. او .. ولكن العقل لا يقتنع بالضباب ، وهو يصر : يحيا رجل بعد ان مات ؟ من قال هذا ؟ والجواب هو : التاريخ بالطبع . ان اجدادنا لا يكذبون ..

ولكن ذلك مستحيل . اعني انه يستحيل ان ترد الروح

او حياته ، فيها بعض الاشياء والمسرات الجميلة ، ولكنها مترعة قبل كل شيء بالعواطف وبالعادة ، ابوك يقول لك : لا تشرب الخمر .! بعضنا لا يذوقه مدى الحياة والبعض الآخر ، يجرب التبغ مع الخمر ايضا ، وها هنا ينشأ بالضرورة تقسيم للخبرات الموروثة نتحدث عنه بعد قليل . الاطفال الصغار اكثر منا حرية . لانهم يتعلمون بالتجربة اكثر مما يتعلمون بالنصيحة ... كم من مرة نقول لهم : لا تجتازوا الطريق الا بعد التأكد من خلوه .. ! ولكنهم يندفعون كالقذائف من طوار الى طوار ، بدون تفكير ، وفي يوم ، تفرمل احدى العربات بشدة بالقرب منه ، او تصدمه صدمة زقيقة ، او تصدم صبيا اخر ، فيهرب هو مصفر الوجه ، زائع النظرات ... وبالحال من تجربة .! انظر اليه الان .. انه لا يمد قدمه الى ما تحت الطور الا بعد ان يتأكد من خلو الطريق الى عشرة كيلومترات ... اما نحن الشباب الذين نضع شاربا هنا ، او لحية عنترية هناك ، لنثبت للآخرين اننا اصبحتنا رجالا ، فلا نصدر عن مثل ما يصدر عنه الاطفال من تلقائية وحرية ..

الطفل يريد ان يجرب كل شيء . اما نحن فنقبل كل شيء . صحيح ان الشباب الان ، هو الطفل بالامس ، ولكنه

(١) بالامكان ايراد امثلة اسوأ من ذلك تعيش بالعادة فقط ، ولكنني اجرب انموذجا وسطا ، مخافة ان يدعى على بانني انقد ظاهرة باللجوء الى شدتها العليا ...

جيل القدر

أول قصة عربية ترسم
أصغر صورة لجيلنا ، في قلبه
وضياعه ... في أمهاته وأماهه
في نضاله للمستقبل الكبير ... في
فضاله لتحقيقه وصيره ، إنه :

جيل القدر

الجيل الذي حقق قدره كاملاً

جيل القدر

قصة : وطاع صفدي

فهرست

اصدرتها : دار الطليعة للطباعة والنشر - توزيع : الشركة العربية للترجمة

الى رجل بعد الوفاة . اولا ، لان الروح ليس طائرا له حرية الدخول والخروج ، ولانه مربوط الى الجسد ، فلسنا نعرف جسدا بدون روح (اللهم الا الميت) ولسنا نعرف روحا بدون جسد . وثانيا ، لان هذه التجربة (الاحياء بعد الموت ..) مستحيلة عمليا للان ، وغير قابلة للتجربة . العقل يقول : والنتيجة ، هي ان التاريخ يكذب .. ان تكون انت ، يعني ان تنظر الى الخبرات السابقة ، وتنزع عنها القشرة الماكرة ، وان تتفحصها ، ثم لك بعد ذلك ان تقول : هذا خطأ ، او صواب ، انا انتمي او لا انتمي ..

والمعلومات الكثيرة التي حشيت بها ادمغتنا تحتاج هذه الوقفة القصيرة . ان الاطفال الصغار يصدقون حكايات الغيلان ذوي الاعين الواحدة ، والعمالقة التي تشوي الرجال وتأكلهم على السفايف ، والجن الذين يأتمرون برغبات الملك العظيم سليمان ، يصدقون هذه الخرافات لانها تمت الى النوع الثاني من التجارب (اي النظرية) لانها عالية على التجربة ، لانها تتخطاها ويجب ان تؤخذ كما هي ، وهي ليست من نوع التجارب العملية ، كتخطي زحمة الشارع ، او شرب الخمر ..

وسوف تكبر هذه الحكايات والاساطير وتأخذ صورة الدين ، ورفض التعقل ، والجنوح الى اتخاذ الحلول التي وضعها الآخرون ..

الوقفة الصغيرة تعني : واذا كنت الى هذه الدرجة فريدا وخالصا ، الا يعني ذلك انني حر ؟ . ولكن القضية هنا مقلوبة ، فالصحيح هو : انا حر ، لانني الى هذه الدرجة فريد وخالص . ! والحرية ليست ان اعمل هذا او ذلك ، او افعل ما يتراءى لي . فقد قلنا ان المجتمع مكون من افراد مثلك ، لهم مطالبهم ورغباتهم واحلامهم ، واذن .. فلو تصادف واصطدمت رغبة لك ، مع رغبة احدهم مثلا ، كان عليك ان تحتكم اما الى القبضة والذراع ، وذلك ما يجربه مشجعو نوادي كرة القدم ، او العامة في الطرقات ، واما كان عليك ان تحتكم الى العقل : هذا الفصيل الممتاز الذي يقول لك : كلا .. انك مخطيء ..

ولكن : الا يحدث ان ينحاز العقل في صفك ، حتى لو كنت خاطئا .. ؟!

لو حدث ذلك لك ، فاعلم اذن بان من نصحك هو عاطفتك او شيء اخر ، لان العقل لا يكذب ابدا .. ومن جهة اخرى يستحيل - عمليا - ان نضع حدا بين العقل والعاطفة ، يمكننا ، بعد الحكم على قضية ما ، بان نقول ان حكمنا عقلي او عاطفي ، لان التمييز يحتاج الى فسحة من الوقت تعقب عملية الحكم ..

(وذلك لان تلقائية السلوك تتمازج فيها العقلية والعاطفية ، بقدر ما يتمازج فيها الانخداع والغرائز ..)
اذن كيف نعرف ان العقل هو الذي يتكلم الان مثلا ؟ . ولندكر مثالا :

نجحت في الاختبار الثانوي . ، وها انتذا تعد نفسك للجامعة .. امامك كليتان تفضلهما ، بالرغم من الفارق

الكيفي بينهما : الحقوق . الاداب .

مرة تقول لنفسك : الحقوق ، لان عمي محام ناجح ، ومرة تقول : الاداب ، لانني احب طه حسين . في الاختيارين انت عاطفي وعقلي وغرائزي ومساق ..

ولكنك اذا جاست فوق خضرة النجيل الازرق الاخضر ، وقضمت في فمك احدى هذه الشرارات الحية ، واخذت تقول : ان مواد الدراسة في الحقوق هي القوانين والمواد ، والشروحات على المواد والقوانين ، مما يضايقني ، لانني لا استطيع ان احفظ نصا واحدا ، ومن ناحية اخرى لا استطيع بلع القانون المدني ، والفرنسي ، والشريعة و .. و .. اما مواد الدراسة في الاداب ، فانا املك معظم المراجع ، والادب لون مفضل عندي (١) .. اذا قلت ذلك فانت تفكر .. وانك اذن لعل الصراط المستقيم .

ان العقل يعني تفتيت القضية ، وسحبها ، وجرها على الارض ، وتكوينها ، وسحقها وتليينها ، واسالتها ، وتمزيقها ، ورفضها .. ثم اذا كانت ما تزال سليمة بعد ذلك ، فهي قضية منضبطة ومنطقية (لا اتكلم الان عن البدهة ، فلها اعتبار اخر ..)

كلنا نعيش بالعادة ، بدفعة الحياة السابقة ، بوقود الماضي . كقاطرة توقفت محركاتها الخاصة ، تدفعها احدى القاطرات القديمة . نحن هذه القاطرة الحديثة المعطلة : في داخلنا الموقد ، في داخلنا الالات مشحمة وجاهزة . نملك امكانية الانطلاق .. انما نحتاج الى الوقفة القصيرة للتزود بالوقود ، ثم الانطلاق من جديد .. نحن نحيا بالعادة . ولاقل لك سرا صغيرا : لماذا تضع رباطا للرقبة . ؟ صحيح انها عادة غير ضارة .. ولكنه يبقى صحيحا انها عادة غامضة ، وكذلك شعار الرأس ، وخاصة الطربوش والعقال ..

لماذا نحيا بالعادة ؟ لماذا نعطل في ذواتنا المحركات الدافعة ، ونقبل لمحرك قديم ان يجرننا ؟ .

لماذا لا نسمر حياتنا للحظة صغيرة ، كي يمكن لنا ان نناقش اسبابها وننقد فكرتها .. ؟

لماذا لا نستعمل عقولنا ، فنسأل دوما : لماذا ؟؟ . هل لاحظت البرنامج القرآني في صلاة الجمعة . ؟ انه ترديد ابدى لسورة اهل الكهف .. لماذا . ؟ لان ذلك كان تقليدا منذ الدولة الفاطمية مع ان الكتاب المقدس يحمل كله عبرا وعظات كاهل الكهف . ؟

القضية ان التقليد تقليد ، ولا يجوز ان نتراجع عنه .. وبعبارة اخرى « الولاء .. انني انتقاد .. » ان ملايين النصوص والاعتبارات تسيرنا في حياتنا ، لاننا لا نقف لنزيل الجامد والثابت والملتبس حول اقدامنا والذي نخشى ان يكون عامل سقوطنا في يوم ما ..

لماذا لا نقف - مرة واحدة - لنناقش حياتك ، وتنقذها ؟

« يتبع » القاهرة : محيي الدين محمد

(١) تلاحظون ان العقل هنا ، يستخدم حتى العاطفة ، ليكون الحكم كليا وشاملا وحقيقيا .

السَّيْرُ بِإِوٍ فِي رَحْلَةٍ السَّيْرِ

في هذه النزهة الحرة ، تفتح الصور ، وتياقظ ، على نمو تواردها في البال . لا يعنك فيها من تسلسل المنطق المألوف غير تتابع متكامل في الرموز . فلا تطلب من اللفظ قدره من مثال الطرب . ثم أنت في مناخ لا يضمه حيز ، على غرار فصل من جحيم « رامبو » ، متباين العناصر ، في وحدة ، تستحيل فيه الخواطر المجردة اجساما ملونة متحركة . ولا تتخذ هذه الاجسام اشكالا نهائية ، وانما تظل في حال تكوين ابدى ، كمثّل تعطش الشاعر في تطوافه الى اقتطاف الخاطرة الهبائية التي لا تتجمد في قالب . غير ان في باطن القصيدة قرارا يعود ، كلما عاوده الدوار ، وينقطع في تفاعيل غير متساوية ، كلما هب به الشوق الى لقاء جديدة . وای خير ان تدور بك الرؤى ، بدل ان تدور الانعام ، ونهاية المطاف في حاصل الحال الفنية واحدة ؟ »

19

- ٣ -

بلوت ذلك الرواق .
طفلا جرت في دمه الغازات والسموم
وانطبعت في صدره الرسوم
وكننت فيه والصحاب العتاق
نرفه اللوم ، نحلي طعمه بالنفاق
بجرعة من « غسل الخليفة »
« وقهوة البشير »
اغلف الشفاه بالحريير
بطانة الخناجر الرهيفه
لحوتي لحية الحرير .

.....

سلخت ذلك الرواق .
خليته مأوى عتيقا للصحاب العتاق ،
طهرت داري من صدى اشباحهم
في الليل والنهار
من غل نفسي ، خنجري ،
ليني ، ولين الحية الرشيقه ،
عشت على انتظار
لعله ان مر اغويه ، فما مر
وما أرسل صوبي رعه ، بروقه .
طلبت صحو الصبح والامطار ، ربي ،
فلماذا اعتكرت داري
لماذا احتنقت بالصمت والغبار
صحراء كلس مالح بوار ،
وبعد طعم الكلس والبوار
العتمة العتمة فارت من
دهاليزي ، وكانت رطبة
منتنة سحينة
كان في داري التقت
وانسكبت افنية الاوساخ في المدينه
تفور في الليل وفي النهار
يعود طعم الكلس والبوار
وذات ايل ارغت العتمة
واجترت ضلوع السقف والجدار
كيف انطوى السقف انطوى الجدار
كالخرقة المبتلة العتيقه
وكالشراع المرتمي
على بحار العتمة السحيقه
حف الرياح السود يحفيه
وموج اسود يملكه ، يرميه للرياح ،
اغلقت الغيوبه البيضاء غيني
تركت الجسد المطحون
والمعجون بالجراح
للموج والرياح .

.....

- ٤ -

في شاطئ من جزر الصقيع
كنت ارى فيما يرى المنيج الصريع
صحراء كلس مالح ، بوار
تموج بالثلج ، وبازهر وبالثمار
داري التي تحطمت
تنهض من انقاضها ، تختلج الاخشاب
تلثم وتحيا قبة خضراء في الربيع .

.....

ان ادعي ان ملاك الرب
لقى خمرة بكرا وجمرا اخضرا
في جسدي المغلول بالصقيع
صفي عروقي من دم
محتقن بالغاز والسموم
عن لوح صدري مسح الدمغات والرسوم
صحو عميق موجه أرجوحة النجوم .
ان ادعي ، ولست ادري كيف ،
لا ، لعلها الجراح
لعله البحر وحف الموج والرياح
لعلها الغيوبه البيضاء والصقيع
شدا عروقي لعروق الارض
كان الكفن الابيض درعا
تحتة يختمر الربيع ،
اعشب قلبي ، نبض الزنبق فيه ،
والشراع الغض والجناح
عريان وما يخجلني الصباح ،
النبضة الاولى ،
ورؤيا ما اهدت للفظ
غصت ، ابرقت وارتعشت دموع
هل دعوة للحب هذا الصوت
والطيف الذي يلمع في الشمس
تجسدت واغترف من جسدي
خبزا وملحا ، خمرة وناز
وحدي على انتظار
افرغت داري مرة ثانية
أحيا على جمر طري طيب وجوع
كان اعضاءي طيور عبرت بحار
وحدي على انتظار

- ٥ -

في ساحة المدينه
كانت خطاها زورقا يجيء بالهزيج
من مرج الامواج في الخليج
كانت خطاها تكسر الشمس
على البلور ، تسقيه الظلال
الخضر والسكينه ،
لم يرها غيري ترى في ساحة المدينه؟

لم ترها عين من العيون .
العمر لن يقول
يا ليت من سنين
ملء يدي وساعدي
أطيب ما تزهو به الفصول
في الكرم والينبوع والحقول
العمر لن يقول
يا ليت من سنين .

.....

- ٦ -

داري تعاني آخر انتظار ،
وقع الخطي الجريئه
تفتق المرجان المرج
بارض الدار والجدار
مرآة داري اغتسلي
من همك المعقود والغبار
واحتفلي بالحولة البريئه
كأنها في الصبح شقت من ضلوعي
نبتت من زنبق البحار
ما عكر الشلال في ضحكاتها
والخمر في جملتها
رعب من الخطيئه
وما درت كيف تروغ الحية
المساء في الاقية الوطيئه
احتفلي بالحولة البريئه
بالصحو في العينين ،
ما صحو الشعاع الغض
عبر النبع والثلوج ،
بالصدر والخصر ،
ترى ما تربة المسك طريا دافئا
ما يسدر الحنطة والمروج
ما سمرة الصيف على الثمار
ما نكهة البهار
ما كل ما رويت
خليت للغير كنوز الارض
يكفيني شبع اليوم وارتويت
الحولة البريئه
تعطي وتدري كلما اعطت
تفور الخمر في الجرار
بريئة جريئه
جريئة بريئه
في شفتيها تزبد الخمر
وتصفو الخمر في القرار
لن يتخلى الصبح عنا آخر النهار
.....

- ٧ -

وليل امس كان ليل الجن
والزوبعة السوداء في الغابات والدروب
مال الينا الزنبق العريان
ادفناه باللمس وزودناه بالطيوب
اوت الينا الطير من اعشاشها المخربة
رُحنا مع القافلة المغربة
في ارخيل « الجزر الحيتان »
حولنا استرحنا والتحفنا الغيوب
غريبة ومثلها غريب
حيث نزلنا ارتفعت

دار لنا ودار
خف الينا الف جار متعب وجار
في دوخة البحار
وغربة الديار

.....

- ٨ -

ولم ازل امضي وامضي خلفه
احسه عندي ولا اعيه
همي بان افرغ داري عله
ان مر تغويه وتدعيه
احسه عندي ولا اعيه

.....

تمضي الى غرفتها تعثر في وحشتي
وحدي ،

مدى عتمتي

مدى ليالي السهاد

دقات قلبي مثل دلف اسود

تحفر الصمت ، تزيد السواد

وكان ما عابنت مما ليس

يروى عادة او يعاد :

بئر جفاف فوَّرت ،

وفورت من عتمتي مناره

اعاين الرؤيا التي تصرعني حيناً

فأبكي ، كيف لا أقوى على البشاره ؟

شهران ، طال الصمت ،

جفَّت شفتي ،

متى متى تسعفني العبارة ؟

وطالما ثرت ، جلدت القول

والاذناب في ارضي ،

بصقت السم والسباب

فكانت الالفاظ تجري من فمي

شلال قطعان من الذئاب

واليوم ، والرؤيا تغني في دمي
برعشة البرق وصحو الصباح
بفطرة الطير التي تشتم
ما في نية الغابات والرياح
تحس ما في رحم الفصل
تراه قبل ان يولد في الفصول
تفور الرؤيا ، وماذا ،
سوف تأتي ساعة ،
أقول ما أقول :

- ٩ -

تحتل عيني مروج ، مدخنت
واله بعضه بعل خصيب ،
بعضه جبار فحم ونار ،
مليون دار مثل داري
ودار

تزهو باطفال غصون الكرم

والزيتون ، جمر الربيع

غب ليالي الصقيع

يحتل عيني رواق شمخت

أضلاعه وانعددت عقد

زود تبتنيه ، تبتي اللحمه

ومن غنى تربتنا تستنبت

البلور والرخام

تكس البلور من رؤيا عيون

ضوات واحترقت في حلك الظلام

وفرخت اعمدة الرخام

من طينة الاقية المعتمه

تلك التي مصت سيول الدمع ،

مصت ربوات من طحين اللحم والعظام

واختمت لالف عام اسود وعام

فكيف لا يفرخ منها ناصع الرخام

اعمدة تنمو ويعلوها رواق اخضر

صلب بوجه الريح والثلوج

المحور الهادي والبرج الذي

يصمد في دوامة تبتلع البروج

.....

رؤيا يقن العين واللمس

وليست خبراً يحدو به الرواة

.....

ما كان لي ان احتفي

بالشمس لو لم اركم تغسلون

الصبح في النيل وفي الاردن والفرات

من دمغة الخطيئه

وكل جسم ربوة تجوهرت فسي

الشمس ،

ظل طيب ، بحيرة بريئه .
اما التماسيح مضوا عن ارضنا
وفار فيهم بحرنا وغار ،
وخلفوا بعض بقايا سلخت
جلودهم ، ما نبتت مطرحها جلود
حاضرهم في عفن الامس الذي
ولى ولن يعود
اسماؤهم تحرقها الرؤيا بعيني
دخاناً ما لها وجود .
ربي لماذا شاع في الرؤيا
دخان احمر ، نار ؟

احببت لو كانت يدي سيلا ،

ثاوجا تمسح الذنوب

من عفن الامس تنمي الكرم والطيوب

تضيع في بحري التماسيح وحقد

الانهر الموحله

وينبع الباسم من جرح

على الجاجله .

احببت . لا . ما زال حبي مطرا

يسخو على الاخضر في ارضي ،

عادة حطب وقود

تحرقها الرؤيا بعيني دخاناً

ما لها وجود ،

وسوف يأتي زمن احتضن

الارض وأجلو صدرها

واسح الحدود .

.....

- ١٠ -

رحلاتي السبع روايات عن

القول ، عن الشيطان والمغارة

عن حيل تعيا لها المهاره ،

اعيد ما تحكي وماذا عبثاً ،

هيهات استعيد ،

ضيعت رأس المال والتجاره

ماذا حكى الشلال

للبر وللسدود

لريشة تجود التمويه تخفي

الشح في أفنية العبارة ؟

ضيعت رأس المال والتجاره ،

عدت اليكم شاعرا في فمه بشاره

يقول ما يقول

بفطرة تحس ما في رحم الفصل

تراه قبل ان يولد في الفصول

خليل حاوي

نیکراسوف

بقلم
غالب شکری

★

25

وانما هو يشارك بنصيبه في المعركة - داخل حدوده الاتجاهية - جنباً الى جنب مع القوى المتآزرة ضد الكارثية الوافرة .. فقد تسلمت بها الرجعية - السيطرة - لسحق كل الحركات الوطنية .

فسارتر يكشف النقاب عن وجه الكارثية الفرنسية ، ويفضح وسائل الرجعية في محاولاتها اليائسة المصرة على البقاء . وهو يقدم محاولته في وعي ، بكل الظروف الموضوعية الصانعة للمأساة . وتشكل نظريته - الخاصة - للحياة والانسان ، كلاً من القالب الفني لمسرحيته ، والمحتوى الانساني الذي صب في هذا القالب .

فنيكراسوف ، هو وزير الداخلية في الاتحاد السوفييتي .. وقد لاحظ مندوب وكالة رويتر ، انه لم يحضر حفلة اوبرا موسكو .. فابرق النبا الى صحف العالم . وفي جريدة « باريس المساء » استطاع جورج دوفاليرا - النصاب العالمي - ان يوهم رئيس التحرير بانه الوزير الموفيتي نيكراسوف ، وانه اختار الحرية - على طريقة كرافشنيكو - واخترق الستار الحديدي الى بلاد الحرية .

ذهلت الصحف الفرنسية الاخرى من النصر العالمي الذي احرزته

« باريس المساء » ورغم ان « بوليس الدفاع عن الوطن » يعرف حقيقة الوزير المزعوم ، الا انه رآها فرصة سانحة للدفاع عن الوطن .. بالطلقات الكاذبة التي يرويها المحتال دوفاليرا عن الاتحاد السوفييتي ، ونظمه الاجتماعية .

وفي نفس الوقت يبحث البوليس القضائي عن المحتال العالمي لتلبية لنداء العدالة .

ويظل الصراع رهيب بين الجهازين - الدفاع عن الوطن والقضائي - الى ان يفلت دوفاليرا منهما معا .. حيث تكشف حقيقته ويهرب ، تاركاً خلفه ضحية غالية تنزف الدم والحقيقة .. هي الشعب الفرنسي ..

★

والسخرية المرة ، هي عصارة الدراما التي يقدمها لنا سارتر . والسخرية هي الحد الأقصى الذي يصل اليه الكاتب ، بعد تشريح تكنيكي رائع لاسلوب الكارثية .

ويؤكد سارتر هذا المعنى ، حين لا يجسد لنا سخريته في شخص دوفاليرا الا بعد منتصف المسرحية تماماً . فقد افرد ثلاثة فصول كاملة ، لتعرية الكارثية من اثوابها المريضة ، ومسح المساحيق الملونة من صفحة وجهها المشوه .

سارتر هنا ، ليس جديداً . فالومس الفاضلة ، هي محاولة سابقة في هذا المعنى ، وان اختلف البناء المسرحي .. واختلفت تبعاً لذلك مادته .

والفصل الاول من « نيكراسوف » هو جزء من مقاطعة طويلة .. فنحن نلتقي مع متشرد وزميلته عند نهر السين . والمؤلف لا يتركهما عاريين .. فيلبسهما اردية كثيفة من التفكير والتأمل والكشف . فالقمر ليس جميلاً ، لاننا نشاهده كل يوم . هذا ما يقوله المتشرد . وتحتج زميلته بقولها انه جميل لانه مستدير ، فيلقى سارتر بالقنبلة على لسان المتشرد :

« - انه وسائر الكواكب للانبياء دوما !

لو انه وصف القمر بانه « للشعاق دوما » لاستطعننا ان نحس بان

الذي يتحدث هو متشرد على ضفاف السين . وسارتر بذلك لا يدع الناس يعيشون كلهم ودم .. حتى اذا قطعنا بان الجسم البشري هو الرداء الوحيد الذي يمكن ان نفهمه ... فالتجريد الذهني والثوب الفلسفي ، يفيدان الاطار الدرامي ، حين يستهدف احدى القضايا العسكرية او الفلسفية . اما سارتر ، فيتجاهل مستويات الوعي والادراك التي تتمثل في شخصه ، ويحاول ان يجعل منها - بلا مبرر - رموزاً فكرية غامضة . وكانت النتيجة الطبيعية ، ان يحجره هذا التخطيط القبلي الى الافتعال والتكلف . فاذا رأى المتشردان ملابس جورج دوفاليرا على الشاطئ ، لا يأخذانها « لان هذا سرقة » ما دام الرجل لم يفرق بعد . ولا يألو سارتر جهداً في نشر زهور افكاره على شخصه بين الحين والآخر . فالارادة الحرة هي الموت عند جورج . لان « الآخرين » لم يتركوه .. لينتحر ، فيؤنب المتشرد :

« - ان متعتك الكبرى هي ان تجعل الذين فشلوا في حياتهم ، يفشلون في موتهم . هذا الاحتجاج الوجودي ، يؤكده نفس الاحساس المنهزم ، حين قال :

« - لقد حان الوقت لامحو نفسي .. اني انحط!

وبنفس الشعور الفردي المطلق ، يقول :

« - لم أقم بتأدية خدمة لمخلوق قط .. ولن أبداً ذلك في يوم موتي !

حتى اذا جاء مفتش البوليس .. يبحث عن المحتال جورج دوفاليرا ، تبناه المتشردان بحركة تلقائية ، ويكاد المفتش جوبليه يكشف الحقيقة ، فيهرب .. ويندب رجل البوليس حظه امام الشرطين متأسياً :

« - كلنا متساوون امام الفشل .

وليست هناك همزة وصل سيكلوجية بين الفيلين الاول والثاني . الصلة الوحيدة بينهما ، هي وحدة المنهج الاستعراضي التكاملي ، الذي أثره سارتر ، في ازاحة الستار عما يدور في الحياة بعيداً عن الصين المجردة ، بين ذرات الايدروجين والاكسجين والفضازات المختلفة ..

جان بول سارتر

هذه الفازات التي يتنفسها الناس - دون وعي

فتشكل حياتهم ومصائرهم .. دون وعي ايضا .

وسارتر - في هذه الدراما - يضع عدة نقاط من النشادر على انوف الناس ، ليفيقوا على حقيقة حياتهم .

والفصل الثاني هو شريحة موضوعية للصحافة الفرنسية . فمجريدة « باريس المساء » صوت الحكومة . ومسيو جول بالوتان هو مديرها . وسبباو وفيرنيه وبيرجور هم محرروها . والصحيفة - بعد ذلك - هي شركة مساهمة ، يحكمها مجلس ادارة موقر ، لاعضائه صلة مباشرة بدوائر الحكومة . واسرة تحرير « باريس المساء » تعبّر مباشرة عن طبيعة العلاقات الانسانية - في فرنسا - في ظل النظام الاجتماعي القائم . فالتماق والتفاق والاثرة ، هي الخيوط التي تربط جسدان هذه الصحيفة .. وهي نفسها الخيوط التي تربط المجتمع الفرنسي .. وهي ايضا الخيوط التي تكبل قدمي رجل الشارع في باريس ، وتغلف به ، في اعماق متاهة من الفراغية والقلق واللاوعي .

فمسيو جول بيرد « خبراً ذرياً » يصدر به صحيفته . واقرب مصادر الانباء اليه مراکش . وعدد القنلى سبعة عشر قتيلاً .



« هه ! قتيان اكثر من البارحة ، خاص بالصفحة الثانية بعنوان « مراكش مظاهرات ولاء مؤثر » . وضعا لها - مخاطبا اثنين من المحررين عنوانا اضافيا « العناصر السليمة تناهض العناصر الارهابية » الدبنا صورة للسلطان وهو يلعب بالكرات ؟

فاذا اجاب احدهم بانها صورة قديمة في الارشيف ، قال جول : ضعاهما في الصفحة الاولى واكتب « يبدو ان سلطان مراكش السابق ، بدا يتآلف مع اقامته الجديدة »

« هكذا يفصح سارتر اساليب التضييل التي تقفنا عليها الصحافة الفرنسية . ولكن من المسؤول ؟ هل هو جول ، رئيس التحرير ؟ هل هم المحررون الساكنين ؟ لقد طلب سيبيلو علاوة غلاء » . فعلق جول على طلبه قائلا :

« انك تقاقل ضد الاندال الذين يريدون تأخير تأخي الطبقات بمنعهم البرجوازية من الاستحواذ على البروليتاريا . انها مهمة عظيمة . وافرغ من الناس من يعتبر القيام بهذه المهمة مجانا واجبه وانت ، انت الذي حظيت بخدمة اشرف القضايا ، اتجرؤ على مطالبتني بزيادة ؟

هذه هي صلة العامل بزميله وهو يمتطي صهوة الجواد البرجوازي . وتأتي اخيرا همزة الوصل ، بطيئة متناقلة .. فجول يسمع فسي التليفون ان جورج دوفاليرا قد افلت .. واذن ، فهذا هو العنوان الجدير بالصفحة الاولى ! ولا ينسى المحرر ان يضع صورة المدير مع مقاله الى جانب صورة دوفاليرا . فاذا اعترض احد الزملاء ، كيف يصطف الخير والشر ؟ اجاب الرجل في علم :

« الحنو والفيظ ! هما عاطفتان تساعدان على الهضم : ولا تنس ان جريدتنا تصدر بعد الظهر !!

ولكن التليفون يصير على ان حادثا اخر هو الجدير بالاولوية على صدر « باريس المساء » . فالانباء تقول ان نيكراسوف وزير الداخلية بالاتحاد السوفيتي ، لم يظهر في اوبرا موسكو - كما هي عادته - ولا بد انه هرب وراء الحرية . ويكتب رئيس التحرير العنوان الجديد « اختفاء نيكراسوف .. » الوزير السوفيتي يختار الحرية ويطلب الى المحرر ان يضع صورة نيكراسوف - بدلا من صورة دوفاليرا - الى جانب صورته .. حتى يفرق الناس بين الخير والشر !

هنا تتضح الخطوط الرائعة ، في اللوحة الساخرة التي اجاد تصويرها سارتر ، بلمسات حية سريعة . ويبدأ الكاتب في محو علامات الاستفهام السابقة . يبدأ الاجابة على سؤالنا : من هو المسؤول ؟ ان اسرة التحرير - بما فيها المدير والمحرر على السواء - تمثل مضمون الوضع الانساني في احد قطاعات المجتمع الفرنسي . والفمامة التي تحجب عن عيون هذه الاسرة ، حقيقة حياتها ، وجوهر علاقاتها .. هي سحابة حقيقية ، صنعتها ودعمتها العوامل المتشابكة المتعاقبة في خدمة النظام الراهن ..

سييلو - الحرر البسيط « يطلب زيادة مرتب » لجابهة الفلاء الصاعد . وهو يكتب - ما يكتبه - تحت اوامر معدته وامعائه . وعلاقة الزلفي التي تربطه بزميله في موقف واحد امام جول ، هي تعبير صادق عن ازمة الاخلاق الفرنسية نفسها .. في خضوعها للذليل لمثاليات الطبقة السائدة .

وجول اصبح « عجينة » انسانية مذابة في قالب مجلس الادارة . او في قالب المنصب الذي اعتلاه بمقدرته التسلفية المكتسبة من خبرات

السيطرة البرجوازية طوال عمره . ومجلس الادارة يعبر - في قوة - عن الاسس الايديولوجية ، المقام عليها صرح النظام كله . وفي « الحكومة » تتبلور كل هذه المعاني وتتجسد . والعلاقة الاخوية القائمة بين مجلس الادارة والحكومة . هي علاقة صادقة مخلصه ، في تمثيلها عن جوهر الازمة الحقيقية . فمجلس الادارة هو صاحب العمل .. والحكومة هي عضو مجلس الادارة المفترب . ومسيو جول هو محصل الشركة . والمحررون هم الشيكات الموقع عليها بدم اصحابها . والشعب يهب امضاء مع قرشه وببكي ، لان رصيده من الحرية ينقص يوما .. بعد يوم .

ثورة جول على المحررين ، لتصبح الجريدة « راقصة لا مكتوبة » هي امتداد طبيعي لثورة موتون رئيس مجلس الادارة ، حين قال :

« - رايتكم ذات ليلة تنثرون صورة لربات البيوت السوفيتيات يقفن في الصف امام مخزن الاغذية ، ودهشتن اذ لاحظت هؤلاء النسوة يتسمعن ، وانهن جميعا يتعلمن الاحذية . احذية في موسكو ؟ احذية ؟ وابتنساعات ؟ ابتنساعات في الاتحاد السوفيتي ؟ اما كان سهلا ان نقطعوا ارجلهم من الصورة ؟

ويرد جول في بلاهة مصطنعة :

« - هذا صحيح .. ولكن كيف نقطع رؤوسهن ؟

وعندما يقول « ان جريدتي موضوعية انها جريدة حكومية ، واراها راسخة طالما الحكومة لا تغير آراءها » نلمس الى اي مدى تجسدت اجابة سارتر على علامة الاستفهام الكبيرة .

واذا اعترض موتون قائلا « ان جريدتك رخوة ! فائرة ! تافهة ! بالامس ايضا تكلمتم عن السلام » تتبلور لنا القضية اكثر وضوحا .. يجيب جول « لست انا الذي يتكلم عن السلام .. انه مولوتوف » ويكشف لنا موتون عن ميكانيكية الوضع الجذري للمشكلة حين ينفجر غيظا « لقد نشرت خطابه كاملا .. كان يجب ان تنشر منه مقتطفات سريعة .. لا تقل انها مقتضيات الصحافة ، فما قيمتها عندما يكون العالم في خطر ؟ ان الدول القريبة متحدة بالخوف ، واذا ما رددت لها الطمانينة ، فمن اين تاتي بالقوة لتهيئة الحرب ؟ »

هذا هو المدى البعيد ، الذي يجسمه سارتر ، فليست « الحكومة الفرنسية » هي المسؤول الحاسم ، وانما هي شريكة ايجابية - فقط - في نظام كبير يظل « العالم الحر » كله .

لذا كانت الصحيفة الموضوعية في نظر موتون هي التي تعمل على انسحاب « بيردير » النائب الشيوعي من معركة الانتخابات ، وهي التي تعمل على تمزيق احلام القراء المريضة ، وهي التي تثبت ان بقاء فرنسا المادي متوقف على التفوق الامريكي .

والنصيحة المثالية التي يقدمها مجلس الادارة لرئيس التحرير ، ليحتفظ بعدد قرائه هي « اخفهم من الحياة ، اكثر من خوفهم من الموت »

الانعكاس الطبيعي لهذه الظلال تبدو على سيبيلو حين يعود مقتنعا الى جول - رئيس التحرير - بانه لا يعنيه الزيادة ، فقد كان الانسان - في الماضي - موضع شبهة بالنسبة له ، اما الان فهو يحب الانسان ، ويؤمن به ، ولذا سيبقى في وظيفته لينال شرف المواطن الحر . ولا يستمع اليه جول ، وانما يفاجئه بان عليه - ليكون شريفا حرا - ان يفكر في موضوع صحفي مجلجل خلال اثنتي عشرة ساعة ! ولا يحتج سيبيلو . وانما يقول :

« - ستحصل على فكرتك يا سيدي . ولكني افضل ان اقول لك

اني لم اعد اؤمن بالانسان .

وبصبح رد جول شعارا حقيقيا للنظام الكبير ، اذ يقول في غدير
تردد « من الافضل بالنسبة للمهمة التي ستقوم بها الا نؤمن به » .

✱

هذان الفصلان - الاول والثاني - يفرشان جزءا كبيرا من ارضية
التجربة الفنية في تماسك . فلا نلاحظ نهافتا في التفنيت السذي
آثره سارتر في تجزئة الفصل الى عدة مناظر تبلغ ثمانية في الفصل
الثاني . ولكن الخط الدرامي لا يشوبه الاضطراب والتعير من جراء
هذا « التفنيت » وانما هو ينظم الصراع الفني في هندسة ايجابية
متكاملة . وكلما بدأت خيوط الدراما تتجمع في مركز سيكولوجي ،
انتقلت الشخصيات بدورها من التجريد الذهني الى التجسيد الانساني ،
وتصبح القضية في دائرة بشرية يسري في عروقها الدم .

والتباعد الواضح بين الاطار البنائي في الفصل الاول ، والمحتوى
الانساني في الفصل الثاني ، لا يعبر عن مسافة موضوعية . ولو وجد
هذا البعد المساحي ، لاصح الفصل الواحد مجرد لقطة فنية مستقلة .
والخيوط الدرامية الراهن يصل بين قمتي الفصلين في رشاقة . وهمزة
الوصل الدرامية بينهما كانت جورج دوفاليرا . ويصحبنا هذا الخيط
الى الفصل الثالث ، لنتلقى بالجزء الاخير من المقدمة التمهيدية .

والمقدمة تمهد للدراما بدقات المسرح التقليدية قبل رفع الستار .
فهذا الفصل يصور لقاء بين همزة الوصل الطبيعية او جورج دوفاليرا ،
وبين الانسة فيرونك - الصحفية التقدمية - فقد تسلسل المحتال الى
شقتها هربا من البوليس ، واذا به يفاجأ بانها ابنة سيلو . . الحرر
في باريس النساء . واذن فالبيت الصغير يحتوي على التناقض الاصيل
في الحياة الفرنسية . فيرونك يسارية متطرفة ووالدها يميني بحكم
عمله . ولا يقصد سارتر ان يضع قانونا علميا لهذا التناقض ، ولا هو
يستهدف تأييد النظرة القائلة بنمو الجديد القوي من صلب القديم
المنهار . ذلك لان هذه اللفظة جاءت عفوية غير متعمدة ، بحيث ان
امتدادها الموضوعي لم نثر له على اثر .

اما الضرورة الفنية لهذا اللقاء ، فقد كانت - كما قلت - الدقات
المسرحية السابقة لرفع الستار . فبواسطة سيلو ، يسرق جورج
بدلة جديدة هي نيكراسوف . وبواسطة سيلو يذهب لتفصيل هذه
البدلة عند ترزي حكومي هو « باريس النساء » .

في هذا اللقاء ، يعقد سارتر فصلا طريفا ، يتكشف لنا بين صفحاته
وجهان حقيقيان للصراع : دوفاليرا لا يريد ان يعتبر نفسه موضوعا
لفيرونك . وهو لا يعني بالموضوع معناه الصحفي « الريبورتاج »
وانما يعين « موضوعا لآخر » اي بالنسبة لفيرونك . انه يفرض ذاته
المستقلة في صنعه للاحداث . ولذلك هو يخاطبها قائلا :

« - كنت استطيع ان اكرهك وان التجيء الى « دخيلتي » . . .
لقد لعبت معي دورا سيئا للغاية .

ثم يقيم سارتر مقارنة درامية بين موقفين : الاول لجورج دوفاليرا
مع المتشردين عند نهر السين ، حيث وبخهما على تمسكهما بحياته ،
في حين انهما - في زعمه - سلبا حرية ارادته . . في الموت !

والموقف الثاني ينتصب رافعا هامته كطرف في معادلة جبرية ، حين
يقول لفيرونك - ان في استطاعتك ان تستدعي البوليس - :

« - ان تنقذي الناس يا صغرتي ، ليس هذا كل شيء . . يجب
ان تعطيهن وسيلة الحياة اولا . .

وهو يقيم وزنا لحمايتها له . . اي انه « يبيع » موقفها الانساني
التمثل في انقاذه من البوليس . ذلك لانها لا تمتلك القدرة على تهية
حياة كريمة لمستقبله . فاذا عرضت عليه عملا بثلاثين الفا من الفرنكات ،
اجابها موضعا فلسفته في الحياة :

« - عمل ؟ ثلاثون الفا ؟ احتفظي بها لنفسك . . انا لا ابيع نفسي .
يبدو هنا الخلل السيكلوجي او « ارادة الفعل المطلق » كما يدعوها
سارتر . والكاتب الفرنسي لا يقف بطريقة سلبية ازاء الاحداث اذ
نراه جيدا من ورائها يحلل ويؤيد وشرح ، كل ما يفض على القارئ
تفسيره من تعدد حركات الدراما . ولعلها من سمات مسرح سارتر الواضحة
ان نلاحظ « الحركة » متزنة وقوية ، لا تستعرض عضلات مسرحية
او غيرها ، وانما تؤدي معنى هاما ، او دلالة معينة . ولكن هذه الحركة
تستطرد احيانا في الاتزان والوقار الى درجة التعقيد ، فيتخلص الشخص
من بشريتهم ويصبحون اشباحا ذهنية ، ويتخلل الحدث عن المدلول
القريب الواضح ، يصبح الموقف تجريدا هائما بلا ضابط .

والفصل الثالث من مسرحيتنا هذه ، هو الجزء الاخير من المقدمة
الدرامية ، وكان المفروض ان تستغل بحيوية الحركة لاستقبال الدراما ،
الا ان هذا التجريد الموافق لنظرة سارتر الى . . الحياة والفن والمجتمع
والانسان . . هو الذي صاحب الشخص بالاتزان والمقد والوقار الفاضل ،
مما ادى الى « تجميد » الموقف الدرامي ، واصبنا - ونحن على اهبة
استقبال الحدث المتمركز في المسرحية - تأئين ، نعيش حركة مبهمة
لا تعني شيئا .

في حالة واحدة ، كانت هذه الحركة تعني اشياء كثيرة ، هذه الحالة ،
ان ترزدي منظارا فلسفيا ونيفي عن هذا العمل الكبير صفة الفن . مما
لا نسمح به لانفسنا مطلقا ، بعد ان تتوالى فصول الرواية وبهمل سارتر
هذا الانجاه التجريدي جانبا .

وفي المشهد الرابع من الفصل الثالث ، نلمس الامتداد الشعوري
للمحرر سيلو . اذ هو يروي لابنته ان رئيس التحرير ارغمه على
ان يقدم موضوعا صحفيا مجلجلا في الصباح ، بينما رأسه لا يملأها
سوى الفراغ والعدم والاشيئية . . وغضبه من جول بالوتان تمتد الى
كل الناس ، فيصفهم جميعا باوغاد . واذا سألته ابنته السبب اجابها
مخفقا :

« - الناس جميعا اوغاد . . اني خجل لكوني انسانا . كلنا كذابون ،
جنساء ، اشرار . . انني ارى المبرر الوحيد لبقاء الجنس البشري ، في
حماية الحيوانات . انني اتمنى لو كنت كلبا . .

حتى اذا اخبرته ابنته بوجود جورج دوفاليرا في احدى الغرف . .
سارع الاثنان الى التلاقي . . في الانين والعدا والتهكير . . وعرضا
معا صفحات القاموس الانساني . . كلمات الشرف والنبيل والكرامة . .
وجدناهما يزدادان تلاقيا والتصافا حميما . جورج - عمو اليسارية
اللدود - يحيي سيلو المحرر اليميني بصحيفة الحكومة ، ويقول له في
حب غريب :

« - انت شريف يا سيدي . . انت شريف لدرجة الافتراس .
والكلمة ليست نكتة ، او قفشة حديث . . انها تعبر عن مدى التناقض
بين مفاهيم الكلمة الواحدة . . فالشرف عند اليميني الا يكون يساريا . .
والكلمة نفسها تعني عند اليساري الا يكون يمينيا . . وتصبح الكلمات
وعاء فخاريا قابلا للكسر والبقاء في آن .

- التتمة على الصفحة ٧٤ -

نيكرا سوف

— تنمة المنشور على الصفحة ٢٥ —

فاذا جاء جوبلين مفتش البوليس يبحث عن المحتال دوفاليرا ،
اختبأ هذا ، ليلتقي المفتش مع سيبلو ، فيشرب كأسا في صحة حرس
الثقافة الغربية ، ويرد سيبلو على التحية رافعا كأسه قائلا :
« المجد للذين يدافعون عن الاغنياء ولا يحبونهم .

وهنا تتجمع خيوط الازمة في وضوح .. يخرج جوبلين .. ويظهر
جورج .. تلمع في ذهن سيبلو فكرة الموضوع الصحفي الذي ارغمه
بالتوان على احضاره في الصباح .
وتنتهي الدقة الاخيرة في المقدمة الموسيقية ، ويرفع الستار مع
الفصل الرابع عن جوهر الدراما .

✱

المحور الدرامي في مسرحية سارتر ، لا يحدده البناء الحركي
للشخص .. بعد ان اصبح هؤلاء رموزا لاحداث الرواية . فجورج
دوفاليرا ، ليس هو المحتال العالمي فحسب ، وانما هو يمثل جانبنا
فكريا ابرزه تطور الحدث الروائي ، انه يجيب المتشردين في محاولتهما
انقاذه من الفرق :

« — كان نيرون ينتزع من العبيد زوجاتهم ، ليلقي بهن الى الاسماك ،
اما انتما فاقسى منه ، اذ تنتزعاني من الاسماك لتلقيا بي الى البشر .
ثم يخطبهما في مكان اخر :

« — اتجرؤان على سؤالي عن الاسباب التي تدعوني الى الموت ؟ انه
يقول لي — ايها التعيسان — ان اسألكما عن الاسباب التي تدعوكما
للحياة .

هنا تلقي المتشردة بالقنبلة التي يتوق الى سماع انفجارها :

« — بما اننا بدأنا ، فيجب ان نستمر !

ويستطرد دوفاليرا في سرد فلسفته :

« — ان الحياة رعب في مسرح تلتهمه النيران . الناس جميعا يبحثون
عن المخرج بلا امل . وجميعهم يضربون بعضهم . والويل — كل الويل —
لمن يكون الزلزل من نصيب قديمه . انه يداس على الفور . هل تشمران
بثقل اربعين مليون فرنسي يمشون فوق راسيكما ؟ انا شخصيا لا اشعر
بذلك . لاني سبقتهم ودست كل جيراني .

وتأخذ صورته في التكامل ، حين يقول :

« — ان الفرق بين الانسان والحيوان ، هو ان في استطاعة الانسان
ان يقتل نفسه ، بينما الحيوان لا يستطيع .

وتتبلور هذه الصورة نهائيا ، وهو يصف نفسه صارخا « انا ابن اعمالي »
ليست هذه المفاهيم التي نطق بها دوفاليرا غير النموذج الحقيقي
للإنسان الوجودي كما يراه سارتر . الانسان الذي لا يعي حقيقة الوجودية
الا في رفقة الاحداث ، التي تنمو به — من الخارج الى الداخل — نموا
حيا عميقا .. ينتهي الى التوقوع !

والاحداث نفسها في مسرحية سارتر ، تابلوهات وجودية حية ..
كل ما يفنوها بالحياة هو القلق والياس والفزع . والخيوط التقليدية
التي تصل بين هذه اللوحات برباط وثيق ، نسجت من نفس العناصر :
■ سكرتيرة التحرير في باريس الماء ، تنبيه رئيس التحرير وفي
يدها سماعة التليفون ، ان السيد رئيس مجلس ادارة الصحيفة على

الطرف الاخر ، ويسأل عما اذا كان يرحب باستقباله بعد ساعة ، فيقول
جول : « — بالطبع .. طالما لا يستطيع منه .

■ سيبلو — المحرر الذي يطلب « زيادة » على مرتبه ، يتحدث
بصرامة الى جول عن طبيعة العمل الذي يقوم به :

« — منذ سبع سنوات يا سيدي ، شرفنتي بان عهدت الى بالصفحة
الخامسة ، لمحاربة الشيوعية . وليس شيئا هاما انني فقدت صحتي .. وانما
الشيء الهام ، الذي لا يستطيع ان اتغلب عنه دون ان تتأثر الجريدة
نفسها بذلك ، هو الضمان المادي ! ان الكفاح ضد الماركسية ، يتطلب
ابتكارا ولياقة وحساسية ، ولا اخشى ان اقول انه للتأثير في الازدهان ،
لا بد ان يكون الانسان قادرا على التخيل . ان هذه الصفات لا تنقصني ،
ولكن كيف احافظ عليها اذا كانت همومي الخارجية تاكلني ؟ كيف ارسم
الرؤيا المزعجة التي تهددنا وانتبا بنهاية العالم ، اذا كان الماء ينفذ من
مقدم حداثي ، ولا يستطيع ان اضع له نعلا ؟

■ وبعد ان يصف سيبلو نفسه ، بانه « عدو محترف للشيوعية »
يتلقى بالتوان « الكرة » بمضرب خاص ، يقول :

« — ان جريدتنا « عمل حب » .. انها همزة الوصل بين الطبقات .
وفي الصفحة الخامسة ، يشع الحب بين السطور . انك تقاقل في
سبيل « حب الحب » ضد الانذال الذين يريدون تأخير تأخي الطبقات .»
ومعنى الحب عند جول ، يزداد وضوحا ، عندما يقترح عليه المحرر
« بيرجور » موضوعا صحفيا عن « الذين لا مأوى لهم » فيتسائل :
« — الذين لا مأوى لهم ؟! فكرة حسنة . أين يسكن هؤلاء الذين لا
مأوى لهم ؟ في كراكاس ام في بورتوريكو ؟

ويرد المحرر في بساطة :

« — لقد كنت افكر في الذين لا مأوى لهم في بلادنا !!

ويعلم جول في ذهول :

« — انت مجنون ! يجب ان يكون المصابون عندنا ضحايا كوارث
طبيعية محضة . والا فانك سوف تشوش الحب بقصص حمقاء عن
الظلم الاجتماعي .

ولا يصل الجميع الى اتفاق حول موضوع معين ، فينفجر :

« — ليس لي ان اكتب التاريخ اذا كانت الحكومة مصرة على عدم
صنعه

■ هوتون — رئيس مجلس الادارة — يهدي جول اعلانا يقول « نحو
التأخي بالتسلح .. كل الوسائل ضرورية لحفظ السلام .. حتى
الحرب .. »

وينصحه بتعليقه على احد جدران مكتبه :

« — كن لازعا ! اخف !!

ويتلقى صدى كلماته .

« الخوف ! اني لا افعل غير ذلك ، فصفحتي الخامسة مكرسة
بكاملها للخطر الاحمر ! ويستأنف هوتون صياحه :

« — يا عزيزي بالتوان .. لقد كلفني مجلس الادارة ، ان اخبرك ،
بان صفحتك الخامسة لم تعد تساوي شيئا . اذكر متى كنا نقرأ لك
باهتمام ؟ اذن فلا تنس تحقيقك الرائع (الحرب غدا) !! الذي تجسدت
في سطوره ابشع الوان القلق ! لا اظنك نسيت موضوعك المجلجل (ستالين
يدخل كنيسة نوتردام اللتهبة ممتطيا فرسه !!) انها روائع يا صديقي .
ولكن هذه اكثر من سنة تمر ، ونحن نلاحظ تراخيا غريبا : كنتم
تحدثون عن المجاعة في الاتحاد السوفيتي ، فتوقفتم عن ذلك فجأة .

لماذا ؟ اتعتقد ان الروس يأكلون ؟

واذا اراد جول ان يهدى رئيسه بقوله :

« ح ان جريدتي موضوعية ، انها جريدة حكومية ، ثابتة طالما الحكومة لا تغير آراءها .

سخر منه موتون قائلا :

« - حسنا .. ولكن . الا تحس بالقلق ؟

« - لماذا ؟

« - لان الناس بدأوا يطمثون !

« - يطمثون ؟

« - اجل ياغريزي .. منذ عامين كانت هناك حفلة راقصة في روكامادور .. وفجأة وقعت صاعقة على مسافة مائة متر ، وسقط مائة قتيل ، وصرح الذين احتفظت بهم الحياة ان طائرة سوفيتية اغارت عليهم . هكذا اثبتت الصحافة الموضوعية بالامس ، انها كانت تقوم بعملها جيدا . اما اليوم فان مؤسسة الراي العام الفرنسية - بعد ان اجرت استفتاء عن المكان الذي يعتقد الناس انهم سيموتون فيه - نشرت النتيجة المفزعة ، فقد اجاب عشرة في المائة لا يعرفون ! اما الآخرون - اي الاغلبية الساحقة - فقد اجابوا بانهم سيموتون على فراشهم .. على فراشهم يا جول .. لا حرقا او سحقا بالفاز ؟!

■ وهناك ايضا فيرونك - ابنة سيبيلو .. انها لا تعتز ابدا بان تكون « فريدة » في شيء او « وحيدة » .. لتقول في صدق (اني اشابه كل النساء واني لسعيدة بذلك) وحين يعود اليها والدها يرتعد ، خوفا من ان يطرد في الصباح - اذا لم يات بفكرة جديدة تصلح موضوعا رهيبا - لا تحزن لذلك ، « انهم يطردون كل خمسة عشر يوما » وتتردد كلمات سيبيلو :

« ان حياتي المريبة لم تكن سوى عملية دفن يومية ، دون ان يسير احد في الجنائز » وتصرخ في صدرها أهتة كالكسكين : « لنمت كلنا ، ولنتحيا الحرب » .

ان فيرونك تعيش هذه الكلمات جميعا ، باعصابها وروحها ، وكل خلجات مشاعرها .

✱

هذه تقريبا الشخوص التي ترافقنا عبر الفصول الخمسة الباقية من الدراما . وربما لاحظنا في وضوح ان سارتر لا يستخدم الحوار كاداة للتصوير بقدر ما يستقله في تجسيد الحدث والمحتوى الفكري الذي يتضمنه ، والاحداث نفسها هي التي قامت بعملية التصوير داخل الشخوص وخارجهم معا . لم يمن « الديالوج » اذن بمن هو جورج دوفاليرا او بالوتان ، بقدر ما اهتم بتجزئة الحدث بينهما ، تاركا مهمة التعبير عن المضمون الانساني لكليهما .. الى التحفظ الروائي للوحة الكاملة .

فسيبلو - مثلا - لا تكتمل صورته الحديثة - او الجانب الحديث الذي عبرت عنه شخصيته - الا اذا رأينا الى جانبه فيرونك وجورج وجول . لان احتكاك هذه النماذج مع بعضها في دائرة حدها المؤلف منذ البداية .. هذا الاحتكاك الدرامي هو الفنان صاحب اللوحة الكاملة ..

ولا ريب في ان نجاح سارتر يعود الى انه لم يستخدم دوفاليرا وبالوتان - وغيرهما - كأفراد .. وانما صورهم كأنماط نموذجية تنوب عن ملايين

الأفراد في تمثيل دورها الحقيقي على مسرح الحياة . ولم يقتصر سارتر على تصوير « النموذج البشري » ، وانما صور « اللحظة النموذجية » و « الجو النموذجي » فكان مهندسا بارعا اكثر من اي شيء آخر . وان كانت هذه « الهندسة البارة » قد تسببت في ميكانيكية الاحداث وعملية تحريكها .

غير ان المؤلف اهدانا كافة ما لديه من « نظارات حادة » و « اجهزة سمعية » لنتلقط باقصى ما نستطيع حواسنا - كل الكلمات الهادئة التي بلورت جوهر الدراما .

ان كابوس « الطرد » بدأ يزابل سيبيلو . فقد طمانه جورج على ان « عبقريته » كفيلا بانقاذ الموقف . ولكن هذا الكابوس - بطريقة او باخرى - كان ما يزال جائئا على قلب جول بالوتان في دار « باريس المساء » فهو يبحث مع بيرجور وكافيرنيه عما يمكنهم ان يقدموه للقراء غدا ، فلا يجد منهما غير احاديث شخصية عن البيت الذي سينهار فوق بيرجور ، و « بطاقة المترو » التي ضاعت من تافونين .. وحينئذ ينفجر صائحا :

« - يا لكما من لصين .. اني ارى في قلبكما سقوبا منهارا وتذاكر مترو !! ان افكاركما ملكي وانتما تسرقانها !
ثم يسال فجأة عن نيكراسوف الوزير السوفيتي الذي اشيع انه هرب من موسكو ، فيجيب احدهما بانه في روما ، وثانيهما بانه في القرم كما اكدت وكالة تاس .. وحينئذ يقول :

« - ولم لا ؟ دعونا لنتحدث عنه بكثرة في الوقت الحاضر ، انتظروا اخبارا مؤكدة ، انما لاتفولوا انه في روما ، فليس الان وقت الدعاية السياحية لابطاليا مع ازمة الفنادق عندنا .

وبعد قليل ، يحضر سيبيلو ، وبرفقته « الفكرة » الكبيرة ، والموضوع الملجل الذي اراده رئيسه . ان « عبقرية » « دوفاليرا » هي هذه الفكرة .. وتقمص شخصية الوزير السوفيتي نيكراسوف : هو الموضوع ! لقد وضع جورج عصاة سوداء على عينه اليمنى ، حتى يبدو شبيها مطابقا لنيكراسوف ، وما ان دخل مكتب جول وقدم نفسه ، حتى دعر المحررون ورئيسهم ، وهبوا جميعا واقفين ، ينحنون لعبقرية سيبيلو تارة ، ولجراحة الوزير « المزعوم » تارة اخرى . بينما سيبيلو يردد امام زملائه :

« - لست عبقريا .. انني حقير .. حقير . حقير !
واذا ساورت جول ، الشكوك حول شخصية جورج ، فانه يلقيها بعيدا وهو يستمع اليه :

« - هل نسيت تعليمك المسيحي ؟ اننا نبرهن على وجود الله بحاجة الانسان اليه .

جول ، « مبهوتا » : اتعرف التعليم المسيحي ؟
جورج : نحن الروس نعرف كل شيء ! واذا لم اكن نيكراسوف ، فانت لم تعد بالوتان ، نابوليون الصحافة ! انت بالوتان ؟
جول : نعم .

جورج : اتريد ان تبقى كذلك ؟
جول : نعم .
جورج : اذن ، انا نيكراسوف .
وتهلل وجه بالوتان ، فقد اتاه الفرج اخيرا .. ويزف الى اعضاء مجلس الادارة احدى « عينات » الاسرار المثيرة التي يحملها نيكراسوف .
ويقبل هؤلاء على عجل ، فيستقبلهم جورج قائلا :

« - لتتجنب كل سوء تفاهم ، اصر اولاً على ان اقول بانني احتقركم !

ويتجرع الجميع أهائته بسعادة .. انه سيلقي على مسامعهم كلمة طويلة بأسماء الذين تزمع القيادة السوفيتية اعدامهم فور استيلائها على فرنسا ، هؤلاء خدموا فرنسا ، واستحقوا وسام الشرف الذي يحق لهم ان يحملوه على صدورهم منذ اللحظة .. علامة الاعدام !! وبعد ان يستمع الجميع الى اسماء الذين سيعدمون من اعضاء مجلس الادارة يفرقون في الذهول ، لان رئيسهم « موتون » ليس من بينهم .. واذن فهو (لم يخدم فرنسا) وهو (ليس شريفا) وهو (عميل سوفيتي) .. هكذا صاحت حناجر زملائه الى ان غادرهم معزولا من منصبه .

ولكن جورج ما يزال في حاجة الى « رتوش » كثيرة ، حتى يصبح « نيكرا سوف » الحقيقي .. انه ليصارع الجميع بانه ما يزال شيوعيا ، ولم يهرب من بلاده ، الا ليعمل مع بقية رفاقه الهاربين على اغتصاب السلطة من (طغمة الفساد) التي تحكم الوطن في الوقت الحاضر ... ولا شك انه - ولو بعد مائة سنة - سينتصر ، وتنتصر معه الشيوعية الحقيقية .

ولا يقضب الحاضرون من حديثه ، وانما يزدادون اقتناعا بشخصيته ويصيحون في صوت واحد :

« - بعد مائة عام ، فليكن الطوفان ! »

ويتهيء الفصل الرابع ، بان يصل نيكرا سوف مع مجلس ادارة باريس المساء على اتفاق بشأن الاحاديث الصحفية التي سيخص بها الجريدة ، ومذكراته التي ستدوي في جميع انحاء العالم ، لتفصح النظام القانسم في الاتحاد السوفيتي ، ثم يترك قلوبهم معلقة في الفضاء ، وهو في طريقه الى فندق جورج الخامس ..

✽ فقد اخبرهم بان سبعة من موظفي الجريدة شيوعيون .

✽ وان شيوعيا في كل مدينة فرنسية كبيرة ، يحمل حقبة كالتي في يده ، تحتوي على اشعاع ذري في قدرته ابادة المدينة في ثوان .

✽ وان مائة الف عنق فرنسي في انتظار (المقصلة السوفيتية) دون ان تدري .

في هذا الفصل ، تتضح الملامح الاولى للشخصية الرئيسية في الرواية .. انها ليست جورج دوفاليرا ، ولا هي نيكرا سوف - الذي ينتزه في القرم ، دون علم بشيء - .. ان نيكرا سوف سارتر ، يعبر في قوة وروعة معا ، عن « الازمة الفرنسية » وان ابتغينا الدقة لقلنا « أزمة العالم الغربي » .

نيكرا سوف سارتر ليس هو المحتال دوفاليرا . لان المسرحية لا تقدم لنا حادثا يمكن القول بانه واحد من الحوادث العديدة التي يرتكبها النصاب جورج . ان عمليات النصب والاحتيال الطبيعية التي كان يقدم عليها دوفاليرا - بمحض اختياره - لا تشابه من قرب او بعد .. باحداث مسرحية سارتر ، ولست اعني بذلك ما اجاب عليه سبيلو على سؤال جورج :

« - انك لاتصفي الى هذه المذاهب الهدامة التي تجعل الجرم نتاجا للمجتمع .

فقد رد عليه حينذاك :

« - الجرم هو الجرم .

هذه الاجابة الوجودية لاتملق بلهني ، وانا اقول بان نيكرا سوف سارتر لا يمكن اعتباره عملا عاديا من اعمال « نصب » دوفاليرا ، لان جورج - بعد ان اصبح محتالا نتيجة لظروفه الموضوعية الخاصة - يمكن ان تصف اعماله الطبيعية ، بانها فعال ارادية .

اما تقمصه شخصية نيكرا سوف ، فليس حدثا اختياريا .. بل اني اذهب الى بعيد واقول انه « ليس تقمصا » . ليس احتيالا .. ليس حادثة فردية ..

ان نيكرا سوف سارتر ، شخصية مستقلة عن دوفاليرا ، وطبيعته الحقيقية .. جورج هنا ، لا يمثل سوى « اطار » الصورة . ونيكرا سوف سارتر هو الصورة الحقيقية التي اراد ان يقدمها لنا : صورة الازمة الفرنسية .. الازمة الاوروبية .. أزمة العالم الغربي ..

وقالب (الميلودرام) الذي احتوى برفق خيوط الفصل الرابع ، ليصل بينها والفصل الخامس .. لا يمكن ان نقرر غلبة سماته على فصول الدراما كلها . فسارتر يستغل الاسلوب الكوميدي في صفحة «الميلودرام» في التي تليها ، والفالس في الثالثة .. لا لجرد التوزيع الفني المشوق ، وانما هي الثقلات المتتابعة لحركة الدراما ، تفرض سماتها على البناء الروائي ، في حربة تلقائية . لذلك نحن لا نجد - بالتالي - شخصية كوميديية مثلا في الرواية . ولا نضحك من نكتة اجيد القاها ، وانما طبيعة الاحداث ، وسيرها ، هو الذي يخلق الطابع الكوميدي او الميلودرام ، بغير ما تدخل مباشر من الشخص .

وهكذا لا نستطيع ان نضع « نيكرا سوف سارتر » في احدى الخانات التقليدية ونقول بانه شخصية كوميديية ، او تراجيدية او غيرها ، بل ان جميع الشخصيات الروائية في هذه المسرحية ، لاتخضع مطلقا لاية مقاييس كلاسية سبق تخطيطها ، لان الاحداث هي الفنان الوحيد الذي رسم بعناية ودقة ملامح هذه الشخص . ولا شك ان المؤلف يقف وراء هذه الاحداث ، فاختياره لها كفيل بان يشير الى مكانه . هذه الاحداث نفسها هي التي اشتركت في صياغة « نيكرا سوف سارتر » .. النماذج البشرية الحطة به .. اللحظة الحضارية التي يعيشها . اللحظة الزمنية التي يقف عليها . الحيز المكاني الذي يحتويه .. جميعها شاركت في صنعه ، ولم يكن جورج دوفاليرا سوى اطار لوحة ، رسمها آخرون غيره . وهذه اللوحة لم تتجمد مع نهاية الفصل الرابع ، لانها صورة حية تتحرك .. وتتضح معالمها باستمرار ..

ومع بداية الفصل الخامس ، تتركز مهارة سارتر ، في اختيار «الرايا» التي يضع امامها نموذجه : نيكرا سوف !

ان المرأة الاولى ، التي وقف تجاهها نيكرا سوف سارتر هي ذاته ! وقف امام هذه الذات ، ليرى نفسه في تحد . انه يشم الورد التي ارسلتها اليه هذا الصباح بعض المعجبات .. فيهمس « لنشم رائحة القد .. انه عطر مخيف وغامض وتنتن « يشير الى الورد » هذا هو الخطر .. انه الثعبان ذو الالف رأس . الف رأس . ان هذه الورد تنفث سما « وبلغت الى احد حراسه قائلا « ان كل شيء مسمم هنا طالما اني اعلم في الحقد » ! فاذا تساءل الحارس بغير فهم « الحقد ؟ » اجابه : « انها عاطفة كرهية الرائحة ! ولكنك اذا اردت سحب الخيوط ، فيجب ان تاكلها حيث هي حتى ولو كانت في الوحل . ان هذه الخيوط كلها في يدي ، انه يوم مجدي وليحي الحقد طالما اني ادين له بقوتي » . والمرأة الثانية التي وقف امامها نيكرا سوف سارتر ، هي سبيلو .. انه ياتي الى الفندق باكيا ، فقد احس بورطته اخيرا .. فعندما يكشف النقاب عن شخصية دوفاليرا ستكون حياته قد انتهت . لذلك يتوسل اليه : « انا الذي اردت مائة مرة اني رجل غير شريف ! انا اكذب يا جورج ، اكذب كما اتنفس . اكذب على قرائي وعلى ابنتي وعلى معلمي .

جورج : اما كنت تكذب قبل ان تعرفني ؟

سيبلو : كان ذلك بموافقة رؤسائي .. كنت اكذب من اجل مصلحة البلاد العليا .

جورج : ومن اجل هذه المصلحة بعينها ، انت تكذب الان .

سيبلو : هذا صحيح .. ولكني اكذب الان بغير ضمانته الحكومة . ولا يوجد على الارض من يعرف حقيقتك سواي . وهذا ما يخيفني . فجريمتي ليست اني اكذب ، وانما هي اني اكذب وحدي .

ويتساءل سيبلو ، عما اذا كان في حوزته من الاوراق ما يشبه انه « نيكراسوف » فيدلي جورج بالمعنى الوجودي « ليست الاوراق هي التي تثبت الهوية » موحيا بان (الفعل) هو جوهر الوجود الانساني للفرد . ثم يناوله ورقة صغيرة قائلا في عتجبية « خذ اقرا هذه البرقية انها من مالك آرثي الذي يقترح علي وظيفة كشاهد دائم . هذه هي تهاني فرانكو وشركة الفروت كومباني واديناور والسينارتو بوجو، لقد رفعت تمريحتاتي اسعار البورصة في نيويورك ، وفي كل مكان راجت صناعات الحرب ! ان هناك مصالح كبيرة في الميدان . ونيكراسوف لم يعد انا فقط ، بل اصبح اسما نوعيا - او رمزا - لكل الارباح التي تصيب المساهمين في مصانع التسليح . هذه هي الموضوعية يا صديقي . هذه هي الحقيقة » ثم يلتفت الى سيبلو :

« - الى اللقاء يا صديقي المسكين .. لقد ادرت الالة .. هذا صحيح .. ولكنها ستحلق اذا حاولت ايقافها » .

والمرأة الثالثة التي وقف امامها نيكراسوف سارتر هي فيرونيك ، الصحفية التقدمية ، ابنة سيبلو - فقد ذهبت اليه لتحصل على تحقيق صحفي ، او لتسخر منه .. وحينئذ يقول لها « حينما تعرفت بي كنت محتالا عبقريا وحيدا .. كنت ابن اعمالني .. حسنا .. انني ما زلت كذلك : بالامس كنت ابيع سندات وهمية ، واليوم ابيع معلومات زائفة عن روسيا . فاين هو الفرق ؟ واخيرا ، انت لا تحبين الاغنياء حبا خاصا ! اهي جريمة كبيرة بهذا القدر ، لكوني اخدعهم ؟

فيرونيك : اتعتقد حقا ، انك تدفع الاغنياء ؟

جورج : من يدفع حساب الفندق والسيارة والثياب الفاخرة؟

فيرونيك : ولماذا يدفعون ؟

جورج : لاني ابيعهم توابلي .

فيرونيك : ولماذا يشترونها منك ؟

جورج : لانهم .. ان هذا يخصهم وحدهم ، ولا اعلم عن ذلك شيئا .

فيرونيك : ايها النفس .. انهم يشترونها منك ، لبيعوها للفقراء ..

ها انت ذا يا جورج بدأت تصبح شريرا ..

جورج : اني اخذ الخير والشر كليهما على عهدي ، فانا مسؤول عن كل شيء .

هذا هو نيكراسوف سارتر اذن : او هذه هي اوربا الغريبة كما يراها سارتر. ان الزوايا الثلاث المختلفة التي صورت حقيقة نيكراسوف تقول :

* ان الحق هو الافراز الطبيعي لهذا المجتمع المريض ... قال نيكراسوف سارتر (ليحيا الحق ، طالما اني ادين له بقوتي)

* ليس التخطيط العلمي ، او التنظيم هو سبيل الكرامة الانسانية الحققة ، وانما هي ارادة « الفعل المطلق » عنوان هذه الكرامة . قال نيكراسوف سارتر « ليست الاوراق هي التي تثبت الهوية » وقال

ايضا « لست الا ابن اعمالني » ، فالعشوائية المطلقة هي التخطيط الوجودي للانسان .

* الحرية لاتتصل بضرورة الظروف الموضوعية المحيطة بها .. انها المعنى البدائي للمسؤولية .. يقول نيكراسوف سارتر « اني اخذ الخير والشر كلاهما على عهدي ، فانا مسؤول عن كل شيء » دون ضابط لهذه التصرفات ، ولا اعتراف بما يحيطها من ظروف ، واخيرا بلا تفسير بمنطق الاحداث .

هذه هي المعاني المائلة امامنا في شخصية نيكراسوف سارتر . ربما بوعي من المؤلف ، او بغير وعي . وان كنت ارجح ان بعضها كان بوعي كامل ، لان الكاتب عني تماما بابرار السمات النموذجية للانسان الوجودي . والبعض الاخر كان نتيجة حتمية للسير الدرامي ، فافلت من وعي الكاتب ، اذ اثبتت الاحداث زيف هذا الانسان ، وعدم حقيقته في اغتصاب هذا الاسم .

وربما - ايضا - اوضحت لنا سمات نيكراسوف سارتر ، ان المرحلة الوجودية التي يجتازها المجتمع الاوروبي الحديث ، ليست الا « حالة نفسية » تبلورت من عناصر الخوف الرهيب ، الذي يحيط المنطقة كلها من اتون جهنم القادمة (1) ، بعد ان تشتت ارواحهم وتبعثرت في لهيب جهنم السابقة ، ومن الاخطاء الشائعة ، ان تحتسب هذه « الحالة النفسية » فلسفة انسانية .. او غير انسانية .

واعود الى المعاني التي ساقها سارتر في نموذج نيكراسوف ، فاقول ان التعبير الدرامي عن تطور الحدث ، هو صاحب الفضل الاول في تبيان هذه المعاني . ذلك ان الموضوعية في التصوير ، يتميز بها الفنان في اجادته ادارة دفة الحوار نحو الذروة الدرامية . فتتجلى الاحداث والصور والنماذج ، عن الحقيقة الانسانية ، دون ماتدخل من المؤلف .. حتى ان بعض هذه المعاني - كما سبق ان ذكرت - لم يكن يستهدف الكاتب وجودها فعلا . بل انه لو كان قد تعرف عليها اثناء السياق ، لما تردد في تجنبها . وقد نتج عن ذلك ان تألقت حركات الدراما في تنابع جذاب ، لاتشوبه هذه اللفظيات « الوجودية » التي اصر المؤلف على استعمالها . حتى ان عددا من هذه اللفظيات تحدد في مجموعة تعبيرات خاصة ، لاتخلو من تقيرية لو اخذت على حدة .. ولكنها جاءت وسط السياق ، امرا طبيعيا خاليا من كل تقرير .

(1) كما يريدون للحرب القادمة ان تكون !

من منشورات دار الآداب

الحي اللاتيني (رواية) للدكتور سهيل ادريس
الخدق العميق (رواية) للدكتور سهيل ادريس

دار الآداب ص. ب. ٤١٢٣

لم يكن الفصل الخامس اذن الا « جلسة سرية » (1) بين نيكرا سوف سارتر وبين نفسه وسبيلو وفرونك . اما الفصل السادس فكان « جلسة علنية » بينه وبين « العالم الحر » .

والعالم الحر في مسرحية سارتر ، يتمثل في بودوان وشابوي - من بوليس الدفاع عن الوطن - والمفتش جوبليه - من البوليس القضائي ، والسيدة بوندمن - مرشحة الحكومة ، ودوميدوف - الروسي الهارب من وطنه - وجول بالوتان ، واعضاء مجلس ادارة صحيفته ، وموتون رئيسه السابق .

يستعرض سارتر سمات هذا العالم الحر ، فيصور الصراع بين جهازين من اعمدة الدولة الفرنسية . ان بودوان وشابوي يعملان على بقاء اسطورة نيكرا سوف ، دفاعا عن الوطن . او دفاعا عن العالم الحر . والمفتش جوبليه يبحث عن جورج دوفاليرا ، اي انه سيكشف مصادفة عن حقيقة نيكرا سوف ، ولكنه تلبية لعدالة القضاء الفرنسي . يجب ان يقبض على دوفاليرا .

هذا نموذج للصراع ، قدمه سارتر في « حيز » نموذجي ، هو صالون السيدة بونوجي ، حيث يدور صراع اخر بين موتون ودوميدوف من جانب ، والمدعويين جميعا من جانب اخر ، موتون يتشد العودة الى رئاسة مجلس ادارة باريس المساء ، بان يثبت زيف نيكرا سوف ، والدليل هو دوميدوف ، الروسي الهارب الذي يعرف جيدا نيكرا سوف الحقيقي عندما كان في الاتحاد السوفيتي . والمدعويون في الطرف المقابل لا يصدقون غير الاسطورة الحية امامهم . والدليل ان موتون لم يعد مواطنا فرنسيا في نظرهم ، بعد ما اكد لهم نيكرا سوف سارتر ، انه لن يعدم اذا ما استولت القيادة السوفيتية على فرنسا .

اما جورج دوفاليرا فيؤكد لنا شيئا هاما بتساؤله : « ايمكن لرجل واحد ان يكون موضوعا لكل هذا الحب والحقد ؟ على اية حال ، لست انا المحبوب او المكروه ، ما انا الا صورة » ! والحقيقة - كما اوضحت - انه اطار الصورة ، لا الصورة نفسها . والمدعويون - من احد شعوب العالم الحر - تمثلهم احدى السيدات حين سالت نيكرا سوف سارتر : « - يسرني يا سيدي ان يكون لي ولد منك

(1) لسارتر مسرحية بهذا الاسم ، يحبس فيها ابطاله باحدى غرف جهنم ، ليناقش معنى « الاخر »

واجاب جورج :

- سنفكر في ذلك يا سيديتي

ونيرسيا - الرئيس الجديد لمجلس ادارة باريس المساء - يشير الى تصريحات نيكرا سوف سارتر التي زكمت الانوف من رائحة الاتحاد السوفيتي ، ويقول « حسنا . . ان شعار جريدتنا هو الحقيقة العارية » . . بينما جول يحاول ان يقتنع نيكرا سوف سارتر ، بمناسبة ما نشرته الصحيفة من اقوال لم يكتبها « اعتقد ان قراءنا يذكرون ما قرأوا من يوم الى يوم ؟ يا صديقي ، لو كانت عندهم ذاكرة ، لما استطعنا ان ننشر حتى النشرة الجوية » فاذا هدد جول بان يعطي ما لديه من معلومات مثيرة الى جريدة اخرى ، قال بالوتان « لقد فات الاوان يا سيدي . المهم هو ردالفعل السريع للصدمة . ولو انك قلت لنا غدا ان الروس يأكلون اولادهم ، فان القارئ لن يتأثر بذلك »

وبنتهي حفل السيدة كونومي بعد ان طارت الحقيقة في الهواء ، ولا احد يعرف : هل هي الحقيقة ، ام ان نيكرا سوف هو المحتال دوفاليرا ؟ لقد توتر الحفل ، بعد ان التقى دوميدوف مع جورج ، ثم اعلن جهارا انه نيكرا سوف ! فالمرح رأى فرصة النجاة من الكذب حين همس للمفتش جوبليه ، بان دوفاليرا على قيد خطوات منه . واحتدم الصراع توا بين الدفاع عن الوطن ، ممثلا في بودوان وشابوي ، وبين البوليس القضائي ممثلا في جوبليه .

ولا ينتهي الموقف الا مع الفصل السابع حيث يلتقي جورج مع فيرونك في بيتها مرة اخرى . ان نيكرا سوف سارتر - هذه اللوحة الانسانية الصادقة لم يعد له وجود ، ولكن اللوحة لم تتحطم . . لانها قائمة في ذهن كل فرنسي ، وكل غربي ، وكل من ينتمي الى العالم الحر . لانها صورة الازمة التي يعيشها الناس في كل مكان تتبارى فيه الجيوب المصنوعة من جلود البشر . نيكرا سوف سارتر لم يمت ، وانما هو حتى في قلب كل انسان يعاني ظلمة النظم غير الانسانية .

اما اطار المسكين . . جورج دوفاليرا . . فقد حملته الريح من بين يدي القضاء والدفاع عن الوطن جميعا . حملته الى الصورة من جديد (2) في مكان اخر ، ليحيا الناس مأساتهم كل يوم . وعشاق المأساة من اعضاء مجلس الادارة في « باريس المساء » يحاولون اسدال الستار على الفصل الثامن ، واحدهم ينظر من النافذة الى اشعة النهار الجديد :

« - الفجر ! اني اراه منذ خمسة وعشرين عاما . لكم هرم ؟! بينما الآخر ينزع وسام الشرف او علامة الموت من فوق صدره وهو يتمتم بحزن « انتهى الامر . . سنموت على الفراش ! » ويتشابه احدهم ، فيعلق رابع « ما هذا التكالب على الاستلقاء على السرير ؟ لا داعي للمجلة ، طالما انت واثق من انك سوف تموت عليه » ومن جديد ، يفكر الرئيس موتون في عنوان لموضوع مجلجل يغطي على انباء الفضيحة ، ويقترح لذلك هذا العنوان « جورج دوفاليرا يبيع نفسه للشيوخ » والعنوان الاضافي « السوفيت يخطفون نيكرا سوف اثناء حفلة استقبال في منزل السيدة بونومي » . . وهكذا دارت الدوامة دورتها ، والمأساة هي هي لم تتغير . لقد ماتت « الكذبة » لتنمو بعدها « الكذبة الضخم » .

(2) حيث يوجد نيكرا سوف سارتر في امكنة كثيرة من العالم !!

دراسات ادبية

من منشورات دار الاداب

للدكتور محمد مندور

قصايا جديدة في ادبنا الحديث

لرجاء النقاش

في ازمة الثقافة المصرية

لحبي الدين صبحي

نزائر قباني شاعرا وانسانا

مُسَابَقَاتُ «الآداب»

يسر مجلة «الآداب» ان تعلن عن اقامة ثلاث مسابقات سنوية لاختيار :

- (١) افضل رواية عربية
- (٢) افضل ديوان شعر
- (٣) افضل دراسة عربية

*

شروط المسابقة

- (١) يحق لجمع ادباء العربية ان يشتركوا في هذه المسابقة
- (٢) يقدم الكتاب مخطوطة الى ادارة المجلة باسم الكاتب الحقيقي .
- (٣) يشترط الا يكون الكتاب قد نشر قبل الان . ولا مانع من ان يكون قد نشر في الصحف والمجلات .
- (٤) لا تحديد لموضوع الرواية او الدراسة او الديوان
- (٥) تقبل المخطوطات حتى اخر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ ، وتتألف ثلاث لجان تحكيمية يعلن عنها فيما بعد على ان تصدر احكامها وتعلن نتائج المسابقات في عدد كانون الثاني - يناير - ١٩٦١ .
- (٦) يمنح كل من الرواية والديوان والدراسة الفائزة جائزة قدرها الف ليرة لبنانية او ما يعادلها
- (٧) تعود حقوق نشر الكتاب الفائز الى « دار الآداب » ولا يتقاضى المؤلف حقوقا اضافية على الطبعة الاولى التي لا تزيد على ثلاثة الاف نسخة .

اشاعة النفاق والزلفى والوصولية ، وبقية الخلايا « الحرة » التي نمد العالم الحر بالحياة .

هي وقفة عظيمة فحسب .. كنتك التي رايناها في « الموسم الفاضلة » عندما كشف القناع عن حقيقة « الوفار » الامريكي ، والقدااسة الامريكية

هي وقفة عظيمة لا تنسينا ابدا « الايدي القنرة » (٢) لانها مجرد وقفة ، وليست « نقطة تحول » كما توهم السذج والبسطاء . ان نيكراسوف سارتر ، هو التمثال الذي اقامه لفيلسوف الازمة الفرنسية ، عند مدخل باريس .

غالي شكري

القاهرة

(٢) مسرحية لسارتر هاجم فيها قوى التقدم والخير والسلام .

ولا يثزل الستار لان المسرحية « مفتوحة » ان جاز هذا التفسير عما اراده سارتر ، وهو يسلمنا خيوط الازمة خيطا خيطا . ومنذ بعيد . والمسرح الفرنسي هو الاب الروحي لكافة حركات التجديد التقنية في المسرح الاوروبي . ومسرح سارتر - لا ريب - حلقة جديدة من حركات التجديد هذه . فالقضايا الذهنية التي يناقشها فرضت عليه انتاج قالب فني جديد ، يتسع للمحتوى الفكري الذي تشتمل عليه هذه القضايا .

والوجودية - في رأيي - ليست الا « حالة نفسية » كما قلت ولذا كان الطابع السيكلوجي هو الغالب على جميع الاعمال الفنية التي تناولت هذه « الحالة » بالتعبير .

ومن البديهيات في الادب والفن ، ان السرد الروائي يستوعب التجربة النفسية بدرجة اعظم من الحوار . ولذا كانت « الرواية » (١) اسبق الاطر الفنية الى تجسيد التجربة الوجودية . الى ان تمثلت هذه التجربة في اشكال تعبيرية خاصة بها وحدها .. فحينئذ تمكن المسرح من استيعابها . ومن ثم اصبحت « الحالة النفسية » وقضاياها الذهنية لا تستهدف لذاتها ، وانما تحولت الى مجموعة تعبيرات ، تيسر استخدامها في تضاعيف تجارب اكبر واكثر شمولاً .

ورواية « نيكراسوف » من التجارب المسرحية التي لم يقتصر كاتبها على التعبير عن « حالة نفسية » بالمعنى الفردي الضيق ، وان اشتملت على حالات نفسية فردية متفرقة ، كانت رموزا تعبيرية تنوب عن تعريفات طويلة لنظرة سارتر الى الحياة . ولكن ذلك لم يخف الهدف الكبير العميق ، الذي قصد اليه سارتر ، وهو « الحالة النفسية » لفرنسا نفسها .. بل اوروبا ، والعالم الحر بأسره .

لم يناقش سارتر اذن « قضية ذهنية » فلم يجنح الى التجريد في تصوير شخصوه وتحيكهم . ولم يلتفت الى تجربة سيكلوجيه من النوع الفردي الخاص ، تنتج به وجهة التشرع النفسي والتبرير العلمي ، في التعبير عن الموقف السلوكي .

لهذا كله ، تنابعت « نيكراسوف » في خيوط درامية ، كانت الاحداث تتناوب جذبا وشدها ، ثم تناولها القارئ في النهاية ، وامسك بحقيقة المأساة . وتمثلت براعة سارتر في التخطيط الهندسي المتكامل لهيكمل الرواية ، فخلت من التكلف والافتعال . لم يرسم شخصوه مقدما ، ليفرضهم على الاحداث ، وتفرض هذه نفسها على القارئ . وانما تركهم يتطورون مع الاحداث . ولا اعني بذلك ، ان الرواية اتسمت بالعفوية ، لان ارادة الفنان كانت في اختياره النماذج المعبرة .

ثم كانت النتيجة الموضوعية في النهاية : ادانة النظام القائم ! ولكن ما هي طبيعة هذه الادانة ؟ ما جوهرها ؟ هذا ما لم يجب عليه سارتر ، لانه اكنفى بتجسيد الازمة ، وحسب ، وقدم لنا « نيكراسوف » فيلسوفا لها معبرا عن بلوغها الذروة .

وهذه وقفة عظيمة من سارتر ، الى جانب قوى السلام في العالم . فلقد فضح الخدمة العظيمة التي تعيشها فرنسا ، وتنفس ماساتها كل لحظة .. وما الدولة الا « محتال » عظيم ايضا ، يجند كل قواه في

(١) لست اعني هنا بالسبق ، معناه الزمني ، وانما اقصد « النضج الفني » الذي رافق الرواية في تعبيرها عن الوجودية ، بعكس الاعمال المسرحية التي توفق الى ذلك سريعا .

يا حزنه رحمة بنا... اننا الكرماء!

« الى الذي يحمل خلف مسافات صوته رنة حزن شعبنا ، حتى
وهو يفني للفرح .. الى عبد الحليم حافظ »

أتى من سنه

مشى ثم دوّر في المنحنى ،

الى ان تلاقي معي

ففر من الفرح دمعي ..

فمنذ غيابك .. منذ هجرت الفؤاد

عرفت الوساد من السابعة

الى مطلع الشمس في السابعة

بغير رقاد .. !

وفي ليلة الفرقة

وخيم صمت وليل على قلتي

وساعتها في المساء ..

انى الحزن مر حزينا .. وفي حزنه

تسلل في الدرب والمنحنى

ويسال في حيننا

اشاروا اليه على بيتنا ..

وجئت الينا لتنفخ حزنك في حزننا

طرقت فتحننا لك القلب والاعينا ..

نفضنا الغبار عن المقعد

وفحم المودة كنا وضعناه في الموقد.

مددنا الذارعين في لهفة

وبالحضن نحن أريناك ماحبنا

تراخيت من ضمتي ..

ونحن جلسنا بجانب الوجاق ،

كأنا رفاق ،

عرفنا الزمالة منذ الصغر !!

وكنا كراما

ولم تنتظر

جزاء .. !

نصبنا الموائد

وكان الشحوب غداء .. !

جعلت الدموع شموع ..

نزلت على قلبنا ..

فاهلا نزلت وسهلا ،

نهارا سهرنا عليك وليلا

نوبد جنبيك ريش النعام

ونسهر حولك لا نفتمض

لترضى علينا ..

وتعرف انا نحبك انك منا ..

مكثت الليالي فلم نشتك

ولم ينقص الدمع طيل الشهور

ولم تتغير ، ولم يتبدل لدينا الشعور!

وكنت الرفيق لالامنا ..

عرفناك منذ الحبيب هجر ،

وساعتها انت لم تنتظر ،

اتيت الينا .. ثيابا ممزقة لا تسر

وخجلان تطرق ابوابنا

وتخشى لئلا نصدك .. تطسردك

الكبرياء!

ولكن عرفت باننا نحبك لم نبخل

اخذناك بالشوق واللهفة

سكبنا الدموع على معطفك ،

فتحت انا منزلي

لتنزل فيه على راحتك ..

مكثت لدينا سنه ،

صرفت عليك انا دم قلبي ،

حللت مكان اشتياقي وحيي

فلم اشتك ..

ولكنني يا حبيب الاسى

اخاف عليك الكلاما

وما قد يقولون عنك وعني

واخشى يقولون لك :

« الا رحمة بالذي اكرمك !

كسالك عيونه

ومن لحمه اطعمك

فغادره واقرا سلاما

ولا تستغل الذي اكرمك »

فيا حزن اخشى عليك الكلاما

واخشى عليّ الملا :
فدعني نهارا ،

وزرني مساء ، وفي خفية

لتأكلني ، ولتأكل من أهتي

الا اذكر معي طيل وقت المساء

الى مطلع الشمس في السابعة

وعد في المساء الى مع السابعة

تجد فرحتي ..

تلوح بمندبل شوق سلاما ..

فغادر عيوني نهارا

لنخرسهم ، ولنمنع عنا الكلاما

ونمنع عنهم يقولون عنك استغسل

الكراما !!

مجاهد عبد المنعم مجاهد
القاهرة

كان علما من اعلام الرومانتيكية في اوربا ، وقمة من قمم الشعر في اسبانيا . وقد رأى نور الحياة في اشبيلية سنة ١٨٣٦ . وكان مولده بين ابوين رقيقين الحال ، ما لبثا ان مضيا الى العالم الاخرونكره دون العاشرة ، صبيا تصالح عليه اليتيم والفقر وسوء الحظ . التحق بمدرسة « سان تلمو » البحرية في اشبيلية ، لكنها مالبثت ان اغلقت ابوابها وهنا اتجه « بكر » الى ميدان اخر لعله انسب من البحرية لطبيعة الفتى الفنان ، اتجه الى قراءة الادب وتعلم الموسيقى والرسم . ولما اصبح على اولى عتبات الشباب ، ولما احس بان استمداده الفني قد نماه الاطلاع والمحاولة ، تطلعت انتظاره الى مدريد ، حيث جذبته أضواء المدينة ، تلك التي كانت تزحم بالفنانين وطالبي المجد والثراء .. وكان مقدم « بكر » الى مدريد وهو في نحو الثامنة عشرة « سنة ١٨٥٤ » وكان قليل الحول ضئيل الزاد ، الا من موهبة اصيلة وطبيعة رقيقة وروح شفاف وجسمدهزيل . وكلها ازواد لا تفنى وحدها في شق الطريق الطويل ، في قلب عاصمة مزدهمة قاسية مليئة بالنساقين الاقوياء .

لهذا عانى « بكر » كثيرا من الصعوبات وصادف عديدا من المشاق خلال مقامه بمديرية واشتغل بمختلف أعمال الترجمة والصحافة والتأليف ، ولكنه لم يثُل نجاحا ذا شأن .. وقد عرف خلال ذلك امرأة أحبها بكل جوارحه ، ونظم فيها من الشعر ما لفت اليه الانظار ، ثم تزوجها بعد حب عنيف ، ولكن الزواج لم يكلل بالنجاح فافترق الزوجان ، وعاش « بكر » من جديد مع الوحدة والالام ..

وقد شاء الحظ ان يسميه له مرة ، فعين رقيباً ادبياً لمدة اربع سنوات ، ولكن بسببه الحظ ما ليشت ان تلاشت ، وحل مكانها عيوس رهيب ، فقد مات اخ « بكر » كان سنداً له في مدريد وكان مثله يعمل في حقل الفن ، وان كان قد أثر الرسم على الشعر . . ولم يقو الشاعر على تحمل كل هذه المحن ، وهو التحيل الجسد ، الرقيق المشاعر ، اليتيم النشأة الفاضل في الحب وفي نيل ما يستحق من مجد . لهذا لحق « بكر » باخيه بعد ثلاثة اشهر ، فمات ، وهو في عمر الربيع سنة ١٨٧٠ .

وكعادة الناس دائما ، تنبه الاسبان « لبركر » بعد موته وعرفوافضله بعد ان قضى نحبه ، فكتب على المنزل الذي توفي فيه في مدريد « هنا مات الشاعر » شاعر الحب والالم . ولا تزال اللوحة التي تحمل هذه العبارة تظال من يمر بشارع « كلوديوكويو » بعاصمة الاسبان . كذلك اقيم له نصب تذكاري في اكبر حدائق اشبيلية . كما نقلت جثته وجثة اخيه الى مدفن المجمع الادبي الاشبيلي الذي يضم رفات الخالدين من الفنانين ..وفي اسبانيااليوم جماعة ادبية تعرف باسم « اصدقاء بكر » وهي تعنى بترائه جمعا ونشرا ودرسا وتحليلا .. كذلك عبرت شهرة « بكر » الى امريكا اللاتينية المتحدثة بالاسبانية ، واصبح « لبركر » فيها منزلة الرائد الادبي ذي التلاميذ والمريدين .

وقد خلف « بكر » كثيرا من الإنتاج الأدبي بين اشعار غنائية وكتابات مسرحية وقصصية وتأملية . واشهر اعماله الشعرية ديوانه المسمى « قواف » وهو مجموعة غنية من القصائد القصار والمقطوعات، التي يغني فيها الشاعر احساسه ووجدانه وكأنه يغمس القلم في قلبه. والطابع العام لتلك الاشعار هو الطابع الرومانتيكي الذي كان بكر قمة من قممه. وتمتاز اشعاره عن غيره من الرومانتيكيين بالسواء القريب من الصوفية وبالرقة التي تذوب معها الكلمات ، وبالحزن الذي تحس معه دموع الجمل .. ولم تكن « رومانتيكة بكر » عدوى عصرية - رغم ان هذا المذهب كان مذهب ايام « بكر » وانما كانت « رومانتيكية » شاعرنا رد فعل طبيعي لتلك الظروف التي احاطت به منذ مولده الى وفاته . فقد كانت كلها ظروفا تحمل على الانطواء والحزن والشوق والحنين، وتدفع الى التعلق بالمجهول والاندفاع نحو المثل الاعلى ، والبحث عن الحنان في قلب الطبيعة امانا الكبرى ، والتنقيب عن السعادة في وجدان الحب ابنا الحنون .. وليس من شك في ان صلة « بكر » باوسيقى وتعلقه بالتصوير ، قد اثر الى حد كبير في فنه الشعري، فامتلا شعره بالحنان والصور والالوان .

أما أهم آثاره الثرية في مجموعته المسماة « أساطير » وهي عبارة عن قصص قصيرة خيالية أشبه في أسلوبها بالشعر المثنوور . وهي نتاج طبيعي لزوج « بكر » التأمل المنطوي الحالم الشاعر .. وله أيضا مجموعة رسائل كتبها أيام استشفائه ببلدة « فرويلا » وقد سماها « من سجنى » وهي تأملات في الحياة ، تنسم أيضا بالطابع الرومانتيكي ، الذي يرى الحياة كسجن كبير . و « لبكر » بعد ذلك مسرحيات لم تصل في الجودة الى مستوى شعره الفئائي أو نشره القصصى والتأملى .

وقد ترجمت بعض اثار « بكر » الى كثير من اللغات . وكان لفنّه الشعري اثر كبير فيمن جاءوا بعده من الشعراء الاسبان والامريكيين ، غير ان احدا ممن ساروا في اتجاهه لم يصل الى مستواه ، ولم يثل منزلته ، تلك المنزلة التي اقترنت باسم « بكر » بعد وفاته ، ولم يحظ بها شخصه في حياته ..

والمختارات التي سقدها في تلك الحلقة مما ضمه ديوان «بكر»المسمى « قواف » وسوف يلاحظ ان اغلبها مقطعات قصار شأن الطابع العام لهذا الديوان .

(١) « آه لو استطيع »

انني اعرف نشيدا ساحرا غريبا
يفجر في ظلام القلب فجرا من السنن
وهذه الصفحات من ذلك النشيد
انها نفحات عبقة ، بنشرها النسيم
في الظلال .

.....

لوددت ان اسطرها بكلمات منطلقة
لا تعرف القيود
ولكن عجزني كانسان ابى الا ان تأتي
في لغة مسكينة
ذات كلمات ، كانت مرة زفرات
ومرة بسمات . ومرة الوانا . ومرة
نغمات .

.....

انه - في الحق - لصراع قاتل . الا
اجد حسروفا
قادرة على حمل ما لدى من معان ،
فضلا عما عندي من احساس بالجمال
آه لو استطيع
اذن لغنس احساس اكل على حدة .

.....

(٢) « نظرات »

حينما اردو الى الافق الازرق ،
الذي ينلاشى من بعيد ،
يخيل الى ان استطيع انتزاع نفسي
من تلك الارض الموحشة .
وانى استطيع ان اطفو على الغمام
العائم .

.....

حينما انظر ليلا في الظلام العميق ،
والنجوم ترتعش كاجفان نار نخفق ،
يخيل الى انى استطيع الصعود على
خيوط ضوءها .
وانى استطيع ان انس نفسي في
بريقها .

.....

ان بحر السمك الذي يفرقني لا اعرف
فيه سبيلا لرشاد
ومع هذا ، فان ذلك الظما الى الافق
والسماء والضوء يقول لى :
انني احمل شيئا الهيا هنا .. في
داخلي .

.....

(٣) « روحان »

لسانان احمران من لهب

بنبعثان من موقد واحد
فيتقاربان ويلتقيان في قبلة
ويمتزجان في شعلة واحدة

.....

نغمتان من عود واحد
توقعهما بد واحدة في نفس اللحظة
فيلتقيان في الفضاء
ويتعانقان في ايقاع منسجم

.....

موجتان تقبلان معا
ونستلقيان على الشاطئ معا
وعند اندياهما
تنوجان الرمال بالفضة

.....

هبتان من بخار رقيق
تنبعثان معا من بحيرة حاله
وعند ملتقاهما هناك
تكونان غمامة شفافة بيضاء

.....

كفكرتين منطقتين
وكقبلتين ملتصقتين
وكنغمتين متحدتين
تمنزع روحان : روحي وروحك .

٤ - « العودة »

سوف تعود البلبال السمرء
تعلق اعشاشها في شرفتك
ومرة اخرى
تداعب اجنحتها زجاج نافذتك وتندو
لكن تلك البلبال
التي كانت تنشر في الجو حسنك
والتي كانت تدفء النسيم بنجواي
تلك التي قد حفظت اسمي واسمك
تلك .. لا .. لن تعود .

.....

سوف يعود الفل متسلقا عرائش
حديقتك

ومرة اخرى
في المساء يزداد حسنه وييسم زهره
لكن تلك الفلات المبللة بالندى
تلك التي كانت تتطلع اليها وتندفأ
ثم تساقط كمدا مع النهار
تلك لا .. لن تعود

سوف تعود للحب في مسامعك
نلك الكلمات الملهبة المرنة
وربما يصحو قلبك من حلمه ذات يوم
لكن .. هكذا في هذا الصمت
الاخرس . وذلك

السكون الاصم . وفي هذا السجود
على الركبتين

كما يعبد الله امام الحراب
هكذا كما احببتك ... تذكرني ..
لن يحبك الآخرون ! ..

.....

٥ - « الشاعرية »

روح بغير اسم
اكسير بلا هيئة
انني اميش الحياة هكذا
فكرة بلا تجسيد

.....

انني اسبح في الفراغ
مع الشمس الدافئة في الضحى
وأملأ عيني من خلال الظلام
ثم اطفو مع الضباب .

.....

انا البريق الذهبي في النجمة النائية
انا من القمر العالي ضوءه الحالم
الفاتر
انا الغمام الملهب الذي يفرق في
الافق
انا من الفلك الدوار كوكب السنن

.....

انا الثلج على القمم
انا اللهب في السهول
انا الزرقة في اعماق البحار
وانا نغمة في العود . ونفحة في
البنفسج
وأسى في اللحد . وذكرى في الحطام

.....

انني اضحك في الروض المزهر
واهمس في المرعى العالي
وانتهد في النبع العميق
وابكي في الورق الجاف

.....

انا على الهاوية حاجز لا يعبر
وانا بين السماء والارض
ذلك السلم الشفاف
الذي يصل الارض بالسماء

.....

انا الشعاع الخفي الذي يربط .
عالم المادة بعالم الروح
انا الاخر الامر . هذا الاكبر المجهول
ذلك العطر الخفي
انا هذا الروح الذي يترع منه كأس
الشاعر

.....

(٦) القيثارة المغفرة

في زاوية مظلمة من البهو
ربما كان قد نسيها صاحبها
ساكنه مغطاة بالغبار
انظر .. انها القيثارة

.....

كم نعمة تنام في اوتارها
كما تنام الطيور في الاغصان
حين تنتظر يد البرد
تلك التي تعرف كيف توقظها

.....

اه لكم دار بخلدي هذا الخاطر
كم عبقرية تنام هكذا في اعماق الروح
حتى تفاجأ بما يشبه الوحي
يقول لها :

استيقظي وسيري

.....

(٧) « الحياة والالام »

اليوم مثل الالام . والغد مثل اليوم

ودائما لا جديد

سما رمادية . وافق لانهائي

وسعي وسعي

.....

القلب يتحرك في حدود رسومه

كانه آلة غيبة

والذكاء يغفو مقيدا

في زاوية من العقل .

.....

الروح الحالة بالفردوس

تبحث عنه - لكن بلا ايمان

فهي مجهدة بلا هدف

كانها موجة تندفع ولا تدري لماذا

.....

صوت لا يزال ، بنفس النغمة

يردد نفس الاغنية

وقطرة ماء رتيبة تسقط

وتسقط بلا انقطاع

هكذا تمضي الايام في تماثل

يخلف بعضها البعض

فاليوم نفس الالام
وكلاهما بلا لذة او الم

.....

ان الالم مر .. ومع ذلك فالالام هو
الحياة ..

(٨) « النهاية »

الى اين ماض انا ؟

الى النهاية .. الى العراء الشديد

الظلمة الكثيف الحزن .

الى واد من ثلج لا يدوب ، ومن ضباب

دائم .. يغمم النفس بالانقباض ..

هنالك .. حيث تنتصب لوحدة

حجرية .. بلا كتابة ما ،

هنالك حيث يعيش النسيان ..

هنالك .. سوف يكون قبوري ..

جوستافو ادلفو بكر

ترجمة الدكتور احمد هيك

دار الروائع تقدم

الاديب العربي الكبير
جورج جرداق
في كتابه الضخم



في خمسة اجزاء ثمن كل جزء منها ٥٠٠ قرش لبناني

١- علي وعقود الانسان - ٢- بين علي والحرية الفرنسية

٣- علي وسقراط - ٤- علي وعصره - ٥- علي والحرية العربية

لا غنى ليكل عربي عن هذا السفر الخالد الذي قيل فيه :

« انه سيطور نظرة العرب الى حاضرتهم وحاضرتهم »

والذي ترجم الى خمس من لغات الشرق والغرب في عا واحد

دار الروائع - بيروت - ص.ب ٤٧٥١

منشورات
دار الروائع
بيروت



انت طالبان تفتح هذه الكتب الى مكتبك
فالكتاب الاول ، تحليل عميق للحركات الفكرية والحرية
في بلادهم ، وما كان لها من الصدى في الشرق والغرب .
والثاني ثورة في فلسفة السياسة والاجتماع ،
ونظريات تميز العالم بأسره اليوم .
والثالث خدعة تجارب غاندي وفلسفته
ونظرياته ، وهو يعني عن المولدات .

من تاريخ الحركات الفكرية
في الاسلام

بندلي جوشي

اللاعنف

ثورة الانسانيين في سبيل عالم جديد

اشاريا فينوبا

رسائل غاندي

الى حلقة الميراث

المهاثما غاندي

تطلب في عمارة من مكتبة النهضة ببيروت

نهاية الزقاق

قصة فتى حبيب

- لماذا ياكل الناس ؟

- ليملاوا شيئاً من الفراغ الكبير الذي يعيشون فيه ..

- ما هو الفراغ الكبير اولا ؟..

- انه سطل يخيل لك انه مملوء بالماء .. ولكنك حين تلمسه تجده فارغاً .

- أنت كذاب ..

حتى الطفل الصغير يتهمني انني كذاب مسكين انا .. ابله انا ... لماذا لا يصدقني الناس .. الانني فقير معدم .. ام لانني لا استطيع ان اشوه الحقيقة ... انني اصبحت اكرههم ... احقرهم .. ابغضهم جميعاً .. حتى ابناء الزقاق الضيق الذي امر منه كل يوم لاصل غرفتي بدأت اشعر انهم اقمار سحائر متناثرة على الارض .. دائما تشع منهم رائحة ننته كتلك التي شممتها يوم خرجت من بطن امي ... اننسي لاجبهم ولا افرق بينهم وبين الكلاب الجائعة التي تفتش عن عظمة بالية .. اشعر حين يقتربون مني انني اعيش في بطن سمكة .. جوفها مظلم .

في عيون نسائهم تعيش شهوة .. وبين شفاههم يموت كل دقيقة لون احمر غامق .. كلون البسمة التي تطلقها مومس في وجه زبون جديد .. انا لاجب نساء هذا الزقاق فسمعتن مشبوهة .. لحمهن يبقى معروضا في النوافذ بلا ثمن .. كأنهن اجراس كنيسة مهجورة تحولت الى مركز عصاة فاسدة ..

تجف البسمة على شفتي كلما مررت بهذا الزقاق الضيق .. فاحس ان امامي الف شبح عار يستثيرون في اعماقي الجوع الى لقاء كومة من اللحم العطر .. وادخل غرفة يشع منها رائحة المطاط المحروق .. ادخلها وعلى شفتي ابتسامة باهتة تكاد تسقطها رائحة العطر الذي يستقبلني بكلمات ميتة متأكلة ... وتثور في نفسي رغبة قاتلة الى جرعة كونيالك رديء لا استطيع ان اقاوم هذه الرائحة التي تدفع في نفسي سخرية جيل بأكمله .. اين انا ؟ .. في غرفة مومس ... ماذا افعل ؟ .. لاشيء فقط سانظر اليها من بعيد .. ياللتهافة مع مومس ... لحمها له رائحة غريبة تذكرني برائحة الزفت المحروق ... علي ان اضبط اعصابي .. ان اثبت امام صدرها المهترئ كأنه بقايا قباب مهدومة .. ويسندني الكرسي بحياء مصطنع فهو ادرى الموجودات بامري ... يعرفني من عيني الجائعتين .. من نظرائي المتهبة كمينين قط بري .. من دمي الذي تجمع كله تحت عيني ...

لكنني ارتجف .. ارتجف كأنني مقدم على قتل انسان .. نظر انسي لا استطيع ان اسمرها في مكان واحد لئلا تحسبني خجلاً فتستغل ضعفي ... من هذا الذي ينظر الي وفي عينيه الف سؤال ؟ .. انه طفل جريء يتهمني بانني افاق .. عيناه فيهما حزن مستمر كارملة صممت الا تتزوج ... ماشاني به ؟ .. لا بد انه يعرفني .. يعرف من انا .. تماما كما يعرفني الكرسي .. لا .. لا مهلا ايها الطفل .. انا لست كـ

الافكار تتجمع في رأسي كتكتل كبيرة من الحديد الساخن ... كلها تتصارع من اجل ان تخرج الى حيز الوجود ، ولكنني لاجب الافكار حية مكتوبة على ورق .. احبها ميتة .. كم يلذ لي ان انسج من هذه الافكار اسطورة جميلة ، ولكن اللذة تشتعل في جسمي حيثما ادوس هذه الافكار بكعب حذائي ... واشم رائحة اللحم الميت .. الماضي التافه الذي يحبه الناس .. الماضي الذي يسوقني الى صحراء جافة ينعب فيها يوم عجوز .. جدي يتحدث بهدوء عن الماضي .. الف مرة سمعته يقص لي نفس الحادثة التي كان هو بطلها .. كم يلذ لي ان اصرخ في وجهه .. انت كذاب مدع .. ولكنني اخاف .. اخاف لظمة من كف أبي العريض يدوي بها خدي .. لماذا يحب الناس الماضي ... الا يشعرون بثقل ظلمهم وهم ينفضون الغبار عن ايام سلفت .. انا لا احب الماضي فهو يترك اثرا مقينا اصفر فاقعا ، كلما نظرت اليه شعرت بالقرف والاشمئزاز ..

انني اكره معلم التاريخ لانه واحد منهم ... من الناس الذين يحبون الماضي .. انا اناني .. مغرور .. آفتي انني احب امتلاك كل ما في العالم من القهقهات من افواه النساء .. انا اريد ان احصدها .. اريد ان ارى العالم صامتا كأنه في بداية سنة جديدة وحزينا كأنه يشيع جثمان المسيح .. ومثلما كأنه نهر الموت ابتلع عاشقا جديدا ... انا وحدي اريد ان افهقه .. ان امزق الصمت الموحش ثم لا يهمني ان شتمني العالم كله بعد ذلك وقذف بي بعيدا في جوف دوامة من الغبار عائدا الى موطنها .. الى صحراء الجنوب .. فاكون قد حققت اميتي .. جبت عالما جديدا لم اره بعد .

لقد سألتني حبيبتي في ساعة غضب :

- لم تسأل عن كل هؤلاء الفتيات ... ؟

- انحسبيني اريد امتلاكهن .. لا .. انني اسأل عنهن فقط لانهن صديقاتك ..

- لا بل قل انك تحبهن جميعاً ..

- وهل في هذا عيب .. احيانا احس انني احب العالم كله ..

- لا بل قل انك تحب كل يوم فتاة .. أنت افاق ..

- انا افاق ...! وهل جئت بشيء جديد .. كلنا افاقون ... معلمي افاق .. ابي افاق .. كل الناس افاقون ... فقط بعضهم يستطيع ان يكبت الافاق الذي يعيش في اعماقه باغلال قوية من الإرادة والبعض الآخر لا يستطيع .

- انت معجون ... تهذي .. انا لاجبك .. وبصقت في وجهي بصقة سوداء كاني بقايا بيضة فاسدة ، فاحسست ان شربانا من دم الظلام قد انفجر في وجهي ..

انا اعيش في فراغ كبير .. فراغ اسود بلون الحقد .. ضحككت الباحة حين سألني طفل جارتني السمينة :

نظن ... انا فقط حاولت ان ارى جسد هذه المرأة دون ثياب .. ثم
سانسحب ببطء بعد ان ادفع الثمن .. لازلت تنظر الي كائني عود كبريت
مشتعل استهواك منظره .. تمهل .. تمهل ايها الطفل ... لا تقتلنسي
بنظرائك فاحسبك راعي الكنيسة حين كان يسمع اعترافاتي ..

- قل لي من هذه المرأة

- انها امي

اخرجها من فمه الصغير كانها جبل متين فيديني به .. حاولت ان
استعطفه بعيني الصامتين لكنه كان يحدجني بنظرات مؤلمة تدفعني الى
الفرق في اعماق بركة البشرية الاسنة .. هل يفعل ذلك مع كل
الرجال الذين يجلسون على هذا الكرسي .. لابد انه طفل عملاق يحدد
مايريد بصمت تتخلله انفاس مومس .. هل يستطيع ان يقف مانما دون
رغبتي .. سأصرخ في وجه امه ابعديه من امامي .. انا لا اود ان ارى
لحما ممزقا بانياي .. ابعديه فيه رائحة يستشقه ضميري بنهم ولذة ..
ابعديه .. قد يميت الرغبة في ان اراك عارية .. ان في نظراته الف
مسيح مصلوب .. لا اود ان ينظر الى يدي وهي تدق مسامير صليبيه
وتقترب امه بعد ان اعدت الغرفة .

- اهلا

تنطقها بمهارة فتاة احلامي .. حبيبي القديمة اف .. انني اشبه
الفننفذ بالارنب الاليف .. لا اريد ان اذكر شيئا سوى انني امام كومة
من اللحم الذابل .. ولكن شبيها واضحا بين سيقانها وسقان حبيبي ..
لقد رأيتهما في خلوة لنا عند حافة النهر .. يالي من غبي لا اريد ان
اطيل التامل في ماضي التافه .. ساقاوم كل شيء في سبيل ان ارى هذه
المومس عارية ..

- كم تأخذين مقابل ان اراك عارية ؟

- مسكين انت ! حسبت انك ستفعل كل شيء ولذلك رتبت الغرفة
وكنت اود ان استميتك العذر بالا تفطع على نهدي ففيهما حليب لطفلي .
طفلك ايتهما النتنه .. ابعدي من امامي .. كنت اود لو لم تذكرني
طفلك ولبنه لحاولت ان ابيع نفسي للشيطان .. اتخلي عن انسانيتي ..
ولكنني احس بفراغ الكلمات وهي تتأرجح بين شفتي .. ساخرج سلا
كلمات ميتة انطقها كائني امضغ مطاطا جافا ..

وطرق الباب خلفي بشدة ، ودوت صفعة قوية على خد صغير امتسلا
بحمرة دموية .. كحمره الغروب فيها اثنالاق وفيها موت ، وسمعت بكاء
طفل ينبج كانه ضمير انسان حي ، واستقبلني الشارع مرة ثانية كانه
بالوعة قدرة تعيش فيها الف دودة .. بالوعة قديمة مملوءة بالاوساخ
قد تنفجر في اية لحظة .

بصفت اخر مانجمع في حلقي من لعاب الشهوة على جدار الزقاق
الاسود ، وشتمت كل ماحولي ، وطاقات رأسي نادما كائني دجاجة تنبش
الارض برجليها ... لاقتش عن كلمة خرساء اطلقها على نفسي .. انني
افاق .. لست قدرا كما كنت اظن .. لي عائلة .. لي اسم .. لا تعيش
في دمي انياب ذئب .. انا اكره الناس .. لا ابغضهم .. ابغض فيهم
ماضيهم فقط .. انني احبهم وهم يتكلمون .. يثرون في المفاهسي
ولكنني افضلهم فوق بنايات حديثة الكبيرة ينون جدرانها بدماء تنزف
من عضلاتهم القوية .. احب امي وهي تنشر الخبر لجارتنا العجوز خاليا
من اية كلمة صحيحة ، ولكنني اشعر انها اقرب الي قلبي حين اراها
تفمس يديها المتعبتين في طشت الغسيل المملوء بكومات الثياب القذرة ..
احب الناس جميعا ... احبهم وهم يتسامرون وراء الجنازة بلغة البكاء

ولكنني اود لو يصمتون او يتبعدون عن الجنازة بعد ان يرسموا اشسارة
الصليب على صدورهم ويلقوا نظرة حزينة الى السماء ثم يندفعوا ببطء
نحو اعمالهم ..

انني احب العالم .. احب ابتسامته الكبيرة .. الابتسامة التي
تقودني الى حديقة ورد ينشد فيها بلبل احدى اغنيات الربيع ، واحب
شعاع الامل المزروع في مخيلة كل انسان .. الامل الذي يحفزنا على
التقدم وبين شفاهنا نفمة شاعر مكافح لا يؤمن بالفشل .. جميعنا سنمر
بقرب الطاحونة المتداعية المهجورة التي يبني فيها العنكبوت نسيججه
الرمادي وتنامل القراب الاسود الذي يقص ماضييه بنغم بطيء ممل كظنين
ذبابه وقحة .. يحدث به شجرة متخشبة ممتدة فروعها في الصمت كانها
انسان قلق ، وسنلقي التحية للقراب بحرارة ثم نستم في طريقنا حتى
نختفي في عناق ابدي مع دودة تأكل لحم الانسان بشراسة . نهائنا
واحدة لكنني لا احب ابني وهو يتمم كل مساء لقد ذهب يوم .. اربع
وعشرون ساعة ذهبت .. ثم يصق كرة صفراء يودع بها الساعات
الراحلة .. كلنا راحلون وامهاتنا جميعا سيلبس السواد ففيه نفمة حزينة
كأجراس كنيسة دخلها ميت ..

حتى سماء بيروت اراها فوق رأسي سوداء كثوب ارملة .. لم يسبق
عشاق بيروت فيها نجمة واحدة الا وحصوها .. ظلامها معتم كصومعة
راهب مات دون ان يعرف احد امره ... يسعل بشدة كانه مصاب بداء
الرئة والفيوم الداكنة تبكي بحرقه كانها طفلة يتيمه ، وقطرات الماء
تنسكب عن فطرة انفي في تحد وعناد فامسح بباطن يدي حباب الماء
التي تشعري بظما قاتل لان اسكب في فمي بوميلا كاملا من الخمر
المعتق .. اشربه في صحة البشرية

انني لا اكره الناس .. لا ابغضهم .. فقط احاول اصلاحهم .. انني
اقرا كل يوم كتابا عن الفلسفة والاجتماع والنهم عشرات القصص بساعات
فراغي ... انا لا احب الجلوس مع اصدقائي حول طاولة النرد ، ولا
استمتع بلعبة « الهند » حتى لو كانت مع اعز الاصدقاء .. اشعر دائما
انني مسؤولا عن البشرية كلها .. ابني يجب ان يكون احسن حالا ..
فأسه المهترئة القديمة يجب ان ابدل بها فاسا جديدة .. امي ساذرع
لها حديقة صغيرة امام كوخنا المتداعي .. جارنا الذي يعيش في الغرفة
المجاورة ساسعى لاحالته على المعاش .. ولكن من انا حتى افعل ذلك ..
انا لا زلت طالبا .. على وجهي دعة كفاح وبين شفتي ابتسامة خضراء ..
شعري قصير مسدل على وجهي باهمال .. يقولون انني اشبه انتونسي
بركنز .. لكنني احس ان لي كياني الخاص .. لا احب ان يسميني
الاصدقاء انتوني .. حتى ولا غير انتوني .. انا اسمي عزام لكن جميع
اصدقائي يلقبونني « افاق » .. كانت هذه التسمية قد بدأت حين
قالت مدرسة الادب الانكليزي مازحة .. « في عينيك يا عزام ترسو الف
الف سفينة » .. كانت تحب عيني لانهما مصنوعتان في بلادها وقد
استخلص احد اصدقائي من قسم الفلسفة ان العيون الزرق لم تخلق
لطلاب الجامعة بل وجدها قدماء الناس ملصقة في الحفرات المتهدمة
تحت جباه عمالقة البحار .. أولئك الذين يجوبون العالم على سفينة
شراعية ... وصرخ في وجهي بفمه الاعوج الذي يجيد به تقليد النطق
الانكليزي

- انت افاق

- انني لا استحق ان اكون افاقا

لا ... لا .. ان كل شيء فيك يدل على انك افاق .. لعينك التي

لا تحلقها الا بعد ان تخاف الطالبات من منظرها .. قميصك البسيط وبطنالك الملصق على جسدك وشرائك المتدلية على جبينك كأنها مجداف تسوقك نحو العميق .. العميق من المحيط .

للمرة الثانية اسمع هذه الكلمة .. انا افاق !

انني احس ان هذه الكلمة تدغدغ كبريائي وتشبع غروري . تماما كما تمس الابتسامة في داخلي اعماق احساس بالانسانية ... الابتسامة حتى لو كانت بين شفتي اخرس انني اجد فيها نورا سماويا وترتيلا دينيا صافيا ممزوجا بانغام موسيقية عذبة .. آه لو انال ابتسامة من بين شفتيك يا امي .. ولكنك بعيدة عني .. في القرية الخضراء تجمعين روث البقر .. القرية التي هجرتها من عشر سنوات يوم حطمت لعبتي الصغيرة المحشوة بقصاصات الورق ، ولم اعد اليها .. انني احبها قريتي الصغيرة ... احب سماءها البيضاء كأنها ثياب عروس لم يحن زفافها بعد .. احبها كقرنفل ملونة ترسل عطرا شديدا يابى ان يموت .. كنفة من لحن شيق عذب .. انني احب قريتي .. احب شوارعها المروضة برمل يشبه لونسه شفتي عذراء لم تعرف الزينة بعد .. كفتيات قريتنا . احب مقهاها المهمل تحت شجرة توت عجوز .. المقهى الذي يحتاج الانسان لدخوله شهادة ميلاد تثبت انه اصبح رجلا ... لا تزال الرغبة في دخوله مشوقه في صدري .

انني احب قريتي .. احبها كلمحة جذابة من صباح مشرق تتفتح فيه الف وردة .. لا بد ان اعود اليها .. اعود لاحمل عن ابي العباء الثقيل الذي هدم كتفيه ... ففدا عجوزا تلمع صورة القبر في محياه .. انا لا احب ابي ميتا .. كفاسه القديمة ... احبه رجلا يقهقه بصوت مرتفع كما يفعل الراهقون .. ساعود لامسح الدمعة المنسكبة بين الاخاديد التي حفرتها الاقدار في وجه امي .. ساصنع منها سيادة كأولئك اللاتي يعشن في المدن .. سأحقق لها كل ما تتمنى . فقط اريدها ان تطلب من الله ان اكون من بين المتخرجين هذا العام .. لاود ان تسأله كي يجد لي عملا فالحكومة هي التي ستؤمن لي العمل لانها ارسلتني على حسابها الخاص الى بيروت .. آه لو تستطيع امي ان تقنعه بسان يضم اسمي تحت قائمة الناجحين .. انا احب صوتها وهي تهمس في اذن السماء كلمات الصلاة .. احسها دائما بجانبني .. واشعر اني بحاجة الى الثروة معها .. فانا احب الثروة .. احبها لانها تتبع من بركة القاق الكبيرة .. البركة التي تصدر الفقر لامثالنا البسطاء .. لماذا اشعر ان افكاري تافهة حين تصطم عيناى بوجهها الذي تنعم فيه حقول مزروعة بالبرسيم الاخضر ... لماذا احس عندما اسمع همساتها الرقيقة انسي مقيد في هذا الزقاق فاندفع بخطواتي السريعة اريد ان اصل الساحرة الكبيرة التي ينتهي عندها الزقاق المعتم لابدأ حياة جديدة .

انني احب الناس ... ولكنني اجد بعض اعمالهم دينية كنفوسهم المتأكلة ... فانا لاادري لم يمزق هذا الطالب الصغير الاعلان السينمائي الملصق بالحائط الاسود .. ايكون مدفوعا من شيخ او قسيس بخافز الفضيلة ؟ .. حتما لايفكر رجال الدين في ارسال اناس يتولون اعمالهم .. سيمزقونه بانفسهم لو ارادوا .. اليسوا هم رسل البشرية والديانات وخادمي الرب ، الذين يقودون الناس الى السماء ؟ .. ولكن مهلا فقد اظلم الطالب المسكين .. سأسأله .. سأسأله بنفسي .. سأقرب منه بهدوء لئلا يفر هارباً .

— لايتبعدها الطالب

— ماذا تريد مني ...! ماذا تريد ...! انا لم افعل شيئا !..

— لم مزقت الاعلان ؟

— لاجلد به كتابا مدرسيا

تذكرني نظراته بطفل المومس الجريء ... لكن هذا الطالب لايزال يحسبني ساعاقبه .. انه يركض بسرعة حتى يختفي عند اول منعطف . يالي من مغفل .. انني اتهم الناس زورا بالزديلة .. سآخرجها بصقة اشتم فيها كل افكاري السوداء .. املؤها كازا اسود اصبه على الحقد الدفين المتحجر في اعماقي .. الحقد المتولد من نظرات الجشعين والمرايين النهمة ، وارفق بالبصقة عود كبريت مشتمل .. لن احرق نفسي .. بل سأحرق الاسلوب القديم الذي يابى الا ان ييني في جوفي قلعة حجارنها مغلقة بالحقد . سأحب الناس على طريقتي الخاصة ولن اكف عن فكرة الاصلاح التي بزغ شعاعها في ذهني .. تماما كما انني لن اكف عن النهام المجلدات والكتب القيمة حتى املا هذا البطن الاجوف ... سأعيش افاقا كل ليلة مع كتاب جديد . سادع نافذتي مفتوحة لتدخل منها رياح الثقافات فتنبص في جوفي كأنها نهر من حليب الاطفال اللذيذ ..

وسامسح كل فطرة تخرج عن دائرة فمي يظهر يدي كما يفعل السكارى في حفلة يعوزها النظام .. سأكون افاقا مهذبا .. سأحاول ان اعتذر لفتاتي .. انني احبها .. لن اتركها مرة ثانية .. سأحفظ ارق اشعار الفزل .. واصبها في اذنها بصوت رخييم تعيش فيه بحة قديمة لها طعم لذيق .. سأقترب منها وارنو اليها في دهشة واعلق على شفتي صفرة متيم تماما كما يفعل عاشق مراهق .. سأشبع كبرياءها المسروقة من كبرياء الملائكة وسادفن الماضي الذي يزعجنا في قبر احفره بمخالب وارتل في رشاقة انشودة الكنيسة التقليدية .. ثم اضع على بلادة القبر زهرة اعتذار يفوح منها بريق الاعجاب بعيني حبيبتي ... سوف تلتقي عيوننا في موجة من الموسيقى الصامتة ...

وساندفع بعدها هاربا من الزقاق دون قيد .. سأسكب قارورة الكونياك على الارض واقذف بالزجاجة الفارغة نافذة المومس المضيئة بلونها الاحمر القاني كأنها اشارة مرور .. حتما سيشتعل اثاث المومس .. لو لدقائق وستضيء نافذتها الزقاق فتمكن من حمل رجلي الثفيلتين بوحل الماضي اللعين .. واقذف بنفسي لاعانق صدر الحياة بانسامة كبيرة .. وشهادة موقع عليها اسم العميد ... تستقبلها امي بزغردة مجلجلة .. فيهمس الاصدقاء في اذني

— مبروك ... مبروك ياغزام ... لقد اجتزت الزقاق .. وصلت نهايته ..

ولكن من يدري فقد اكون واقفا في بداية زقاق جديد !?

فريد حبيب

المفرق (الاردن)

مدرسة المفرق الاعدادية

طبعت على مطابع :

دار الفند للطباعة والنشر

تلفون ٢٢٩٢١

على هامش الوحدة بين مصر وسوريا خي أرب قومي جديد يقدم على يد

عقب .. وبدأت الحركة الفكرية بين القيم الجديدة التي حملتها الوحدة في طياتها ، وبين القيم القديمة للفكر والادب والفن التي نمت وترعرعت في ظل الاستعمار وحكم التجزئة .

الوحدة .. والادب القومي

ماذا تعني الوحدة في حقيقتها ؟
انها تعني الانتصار على الاستعمار ، بازالة التجزئة السياسية . ذلك ان التجزئة السياسية بين دول العالم العربي ، ليست من صنع الشعب العربي . انها من صنع الاستعمار واعوان الاستعمار . فاذا ازيلت التجزئة بين مصر وسوريا - ولو على بعد - فان ارادة الشعب قد تحققت من جديد . وان كل ما عمل له الاستعمار سوف يقف وينهار .. ان لم يكن قد توقف وانهار بمجرد اعلان الوحدة بين الاقليمين . ولم يدمعقولا في ظل الوحدة القومية ان يكون هناك اتجاهات خاصة توطد للتجزئة السياسية ، والتجزئة القومية . لان ارادة العربية التي تحررت في ظل الوحدة ، ينبغي ان تمارس نشاطها الفعال ، لخلق الظروف الملائمة كي يعاود الفكر القومي نشاطه ، فيبدع ادبا قوميا جديدا ، قد تخلص من عقدة النقص التي تبعثها الحدود السياسية المزالة ، والسعي لخلق قوميات منقرضة ، غير القومية العربية ، عقيدة واسلوبا للحياة . وليس معقولا في ظل الوحدة ان نستخرج قيما جديدة في الفكر والادب والفن ، مستمدة من تواريخ منقرضة بشعوبها ، وندعي مساهمة هذه القيم في تدعيم الوحدة وتقويتها . لان عناصر الوحدة بين دول العالم العربي .. بل والامة العربية الممزقة ، انما هي القيم التي تطرحها اللغة العربية ، والتاريخ العربي ، والثقافة العربية ، والشاعر التي تمد هذه القيم باسباب الحياة المتطورة .

ان الوحدة في حقيقتها هي انتصار ، على سياسة الاستعمار وحكمه البقيس . وهي التي ستفتح الباب على مصراعيه لكل المحاولات النبيلة التي ستكشف عن مظاهر القوة والبطولة والفن والادب في تاريخنا العربي ، بعد ان عملت يد الاستعمار ، على طمسه خلال عشرات السنين . كما سوف تزدحم الهوة التي فصلت بين ماضينا العربي ، وحاضرنا المتوئب ، وستترك تواريخ الامم والشعوب المنقرضة في المنطقة ، للتثقيف العام . ولن تفلح ارادة الاستعمار واعوانه . في فرض الابطال القوميين لهذه الشعوب والامم المنقرضة ، على الشعب العربي ، لان المروية بلقيتها وعاداتها وتقاليدها ، قد وضعت على رف التاريخ القديم ، كل هذه الامم والشعوب المنقرضة . وعيشا يحاول الاستعمار واعوانه ، اعادة الروح الى الهياكل والتمائيل والاجساد المحنطة !

خصائص الادب القومي

ان الادب القومي ، هو ما سوف تتممخض عنه الوحدة ونتائجها في

لم تكن الوحدة بين افليمي الجمهورية ، شعارا سياسيا تحقق في عام ١٩٥٨ . بل هي نظرية متكاملة في المجتمع والنولة والفكر والادب . وهذا ما يدعونا لان نفكر من جديد ، في المظاهر الفكرية والادبية التي ولدت في ظل التجزئة التي اقامها الاستعمار ، وكل ما عمل له الاستعمار واعوانه لجعل هذه التجزئة خالدة في دنيا الحياة والناس . ولكن قيادة الرئيس عبد الناصر الناجحة ، المؤمنة بالشعب ، قد فتحت الطريق امام كل مواطن ليعبر عن رايه ويقدم براهينه ، لخير الامة والوطن .

القيم الجديدة والقيم القديمة

كانت الدول العربية تتطور على اساس العزلة السياسية التي اقامها الاستعمار . وكان هذا التطور يتصل بكل نواحي المجتمع ، ويمتد الى جنور بعيدة في الفكر القومي . وكانت القيم الفكرية التي يتممخض عنها المجتمع خلال تفاعله وتطوره ، تنعكس في الانتاج الادبي والفني ، في صور ، قد لا تكون سليمة في مجملها فحسب ، ولكنها ليست سليمة في تفصيلاتها ايضا ، فالتاريخ الذي كان مادة حية لخلق روح فاعلة في الامة العربية ، اهل واستعفى عنه بتواريخ قديمة لاهم وشعوب انقرضت سياسيا ، ثم قوميا ، ثم فكريا .. ولم يبق لها لغة او عادات وتقاليد او مشاعر حية تنسكب في عقول الاجيال المتابعة وارواحها . وكان التزييف قد بلغ حده في اواخر حكم الاستعمار الفرنسي في سوريا ، والاستعمار الانجليزي في مصر - بله بقية الاجزاء العربية الاخرى - فقد كان المجتمع في هذين البلدين يساق لان يؤمن بابطال القوميين ، ارادت ان تفرضهم ارادة الاستعمار عليه ، في الوقت الذي لا تربطه بهم ، اية رابطة يمكن ان تقوم مقام الاحترام للتراث والتسلسل غير المنقطع للاجيال . وفي الموجة الاستعمارية التي كانت تهب للبحث عن اجدادنا القدماء جدا .. كنا نرغم على ان ننسى اجدادنا العرب . والى جانب تشويه التاريخ الاصيل للامة العربية .. كان هناك تشويه مماثل للفلسفة العربية ، والثقافة العربية بصورة خاصة . لقد وجد الاستعمار ان اهمال شان اللغة العربية سيؤدي الى خلق جيل غير متعلم لفته العربية كما ينبغي الى جانب اتقائه اللغات الاجنبية وثقافتها .. مما يسهل عليه تقبل الاراء الجديدة في التاريخ القديم .. والثقافة العربية معا ! بعد ان عمد الاستعمار الى العناية بلغاته واهمال اللغة العربية والثقافة العربية . كما مد جسرا تاريخيا عائما ، ليصل ما انقطع من دنيا المنطقة القديمة بحاضرها . مختصرا بذلك فترة الحياة العربية والحضارة العربية وظلال الفكر العربي ، متعمدا الاساءة الى اللغة العربية والتاريخ العربي ، ليسهل عليه تنفيذ خطة تجزئة المجتمع العربي قوميا ، بعد ان جزاه سياسيا ، وليسهل عليه بالتالي حكم الشعب العربي ، بعد ان يكون الشعب قد فقد وحدته القومية واندثرت معالمها في اللغة والتاريخ . ولكن الوحدة بين الاقليمين ، قلبت خطط الاستعمار واعوانه راسا على

اعزاز اللغة العربية والثقافة العربية والعناية بالتاريخ القديم للامة العربية ، وكذلك تاريخها الحديث ، وهي مجزأة الارادة ، ممزقة الوطن ، مشاولة الحركة عن اساهمة في الحضارة الانسانية . واذا كان للادب القومي من خصائص تتجلى في الارادة الفاعلة والشعور المنطلق والفكر المتحرر ، فانها سوف تكون من ثمار هذه الوحدة وما يعقبها من وحدات جديدة . والادب القومي الذي نشعر بحاجة الىه ، هو ما كان هادفا لتأكيد بطلان التجزئة السياسية التي اقامها الاستعمار . لان بطلان التجزئة السياسية ، سيتبعه حتما الحكم على كل ما انتج وصدر لدى هذه التجزئة في الادب والفكر والتاريخ والفنون عموما . لكونه لا يتفق مع الوحدة ولا يصح ان يعطي اية قيمة ادبية او جمالية ما دام لا يراعي التطور القومي الذي حصل في المنطقة . كل ما في الامر انه سيبقى برهانا على القيم التي ولدتها التجزئة . . كما بقي الادب والفكر في عصور الانحطاط . . دليلا على تطور العقل والروح في هاتيك العصور . .

فاذا استطاع الادب في الجمهورية ، ان ينتصر على مخلفات التجزئة، فانه سيخوض معركة جديدة ، هي معركة وحدة المجتمع ، ووحدة اهدافه وقيمه . ذلك ان وحدة المجتمع في ظل التاريخ العربي الواحد والثقافة العربية القديمة ، حقيقة لا تنكر . . . وسوف يعود المجتمع العربي الى وحدته بمجرد ان تزول مظاهر التجزئة وقيمها التي وجدها الاستعمار في التاريخ والفكر لدعمها ، ولا خلاف في ان وحدة المجتمع لا تعني وحدة جزئياته بل وحدة كلياته ان صح التعبير او صحت التسمية . فعمر مكرم وعرابي ومصطفى كامل هم ابطال قوميون للعرب جميعا وليس

لمصر وحدهما انهم كالخطابي بطل المغرب وعمر المختار شهيد ليبيا، والكواكبي المفكر وهنانو الثائر في سوريا . لان التجزئة خلقت ابطالا لا يستطيعون الحركة الا داخل الحدود . وهم بعد الوحدة كما كانوا قبلها سيكونون من الابطال الذين يفخر بهم العربي في وطنه الصغير ، وفي وطنه الشامل الكبير . فاذا رجعنا الى الوراء ، الى ما قبل التجزئة ، وجدنا الوطن العربي الكبير ، بالنسبة لطبيعة العصر آنذاك ونوعية التطور ، ينظر الى الامور ، على انها تخص العرب اجمعين ليس احدا منهم على التخصيص . ولا نريد ان نؤكد ان وحدة المجتمع لا تتنافى في ظل تنوع الالبسة والاطعمة واللهجات العامية المتداولة ، وما ينجم عن ذلك كله من ادب شعبي وموسيقى شعبية . لان ذلك مادة غنية ، تنوع مظاهر الخصب في حياتنا العربية وتنميتها على الدوام .

شكل الادب القومي

ان الادب القومي الجديد ، لا يعني مزج خصائص الادب والفكر التي كانت سائدة في اقليمي الجمهورية بقدر ما يعني اصطفاء الافضل منها، في قالب ادبي من اللغة الفصحى لاغير . ذلك ان اللهجات العامية في الاصل لا تصل الى مستوى الفصحى في دقة التعبير واحكام القصد . وهي لتنوعها ليس في اقليمي الجمهورية فحسب ، بل في سائر ارجاء الوطن العربي ، سوف تقصر عن جعل الفكر والادب مستساغا في ربوع هذا الوطن الكبير . ولا نريد ان ندخل في محاكاة كلامية مع بعض المباحين حول استعمال اللهجة العامية في الحوار القصصي ، وحيانا في السياق نفسه ، بقدر ما نريد ان نؤكد ان اللغة العربية الفصحى هي

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص.ب ٦٥٦ - تلفون ٢٧٦٨٢

الفاصلة عند العرب	انعام الجندي
حضارتنا على المشرق	رينه حبشي
هنيئيل (ج ٢)	جورج مصروعه
رياح في شراعي	سعيد تقي الدين
سبعون (المرحلة الثانية)	ميخائيل نعيمة
جسر التهذبات - عشاق فينيشيا	
مذكرات انطوني ايدن	
القومية العربية	عبد اللطيف شرايه
جمال عبد الناصر في طريق الثورة	
وراء القضبان	كاريل تشيسمان
بقطة العالم العربي	جان رودلف

مجموعة تراث العرب

٠٠٠	تاريخ الدول الاسلامية لابن بطاطبا
١٥٠٠	رحلة ابن بطوطة
٦٠٠	رحلة ابن جبير
٢٠٠٠	تاريخ اليعقوبي جزءان
٧٥٠	تاريخ ولاه مصر لكندي
	مجموعة ديوان العرب
٠٠٠	ديوان ابن زيدون
٣٥٠	ديوان عامر بن الطفيل
٣٥٠	ديوان الخنساء
٣٥٠	ديوان النابغة الذبياني
٣٠٠	ديوان زهير بن ابي سلمى

الناشر : دار صادر - دار بيروت

الوحيدة ، وسيلتنا للتفكير والتعبير .. وهي الوحيدة الصالحة لان تنقل
الخواطر والافكار بين ابناء العروبة ، بعضهم الى بعض ، ما دامت
لسان وحدتهم الكبير ، ووسيلة الوحدة الفكرية بنوع خاص . كل قصور
عن استعمالها في سائر ضروب الفكر ، انما يعد رغبة مباشرة او غير
مباشرة في تخليد ادب التجزئة وفكر التجزئة ، ومحاربة الوحدة العربية
التي كانت تقوم ، من حيث التعبير عن الافكار ، على الكتابة بالفصحى .
وباطل كل تبرير للكتابة بالعامية ، باسم الفن . لان الفن في الاساس
لا يوجب تشويه اللغة من اجل صدق التعبير . وليس هناك من فن
صحيح اذا لم تنطلق اسسه عن لغة صحيحة ، فيكون تنوع ما يكتب
بها ، هو مادة غناها بالاصيل من الافكار ، والسامي من المشاعر ،
في اطار جم الصور ، جم الاخيلة والاحاسيس ، وسيبقى ابدا ، فيكون
الادب القومي الذي ندعو اليه في ظل الوحدة المباركة ، شكلا فصيحاً
لا عامياً ، يتوفر بناته على دراسة مظاهر التاريخ العربي والثقافة العربية
لاستخلاص مضمون هذا الادب القومي الجديد .

مضمون الادب القومي

وللادب القومي عدا عناصره ، مضمونه الثوري الذي لا يمكن ان
ينهض الابه ، انه مادة خلاقة ومبدعة ومطورة لانساننا العربي الجديد،
ذلك الذي ولد في الاحداث والثورة وعاش نضال الامة العربية من المحيط
الى الخليج . وهو الاحساس والشعور بمشكلات الوطن الكبير والامة
الواحدة ، والانفعال الصادق لما تلاقيه في كل وطن وارض من رجس
الفاصلين والاعيب المستعمرين . هو الذي يوحد القضايا الفكرية

المجموعة السيكلوجية

تعالج مشاكل الحياة النفسية على ضوء العلم

ق.ل

١٠٠	تغلب على الخجل ترجمة : عبد اللطيف شراره
١٠٠	سيطر على نفسك « « « «
١٠٠	تغلب على التشاؤم « « « «
١٠٠	سلطان الارادة « « « «
١٠٠	مفتاح الحظ « « « «
١٠٠	سحر الشخصية « « « «
١٠٠	كيف تكسب المال « لويس الحاج
١٠٠	تغلب على القلق « « « «
١٠٠	الايحاء الذاتي « بهيج شعبان
١٠٠	تغلب على الخوف « لويس الحاج
٢٥٠	التنويم المغناطيسي « بهيج شعبان
١٥٠	سعادتك بيدك « « « «
١٥٠	طريق النجاح « « « «

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر

والنضالية والفنية ، ولا يفرقها ، ويرتفع بالمواطن عن وطنه الصغير ليطل
من افقه على وطن اكبر ... ويدهه يحيا في مشكلات هذا الوطن الكبير
جملة وتفصيلا .. يتأثر بحوادثها واحداثها ويعيش افراحها ومآسيها
وينفعل بما يصيب المواطن العربي ، في اطار من الثقافة القومية والتوجيه
السليم ، بحيث تصيب الفكرة حظها من الاهتمام ولا يقف المواطن عند
التطوع بما ملكت يده او قلمه او لسانه ، بل بكل هذه الملكات والامكانيات
جميعا . ولذلك فنحن مدعوون لتعميق مفهوم التاريخ القومي العربي
في ضمير الشعب العربي والاجيال العربية الصاعدة بوجه خاص ، واطلاع
هذه الاجيال على ما في هذا التاريخ ، من جوانب للخير والبطولة
بلفت حد الاسطورة وهي ليست اسطورة ، وبث روح الاعتزاز بهذا
التاريخ القومي وبلفته العربية ، اللغة القومية ، وعكس واقع الامة
العربية وهي ممزقة ، على ذلك الماضي القريب او البعيد ، الذي كانت
فيه امة قوية ذات صولةوسلطان ، وانتظار الحفدة كي يؤدوا ما اذاه
الاباء والاجداد ، من رفع راية الحرية والاستقلال والوحدة ، وجعل
السعي نحو هذه الامال المعبرة عن ارادة الشعب العربي مثالا اعلى
لكل مواطن عربي .

ان الانسان العربي الجديد الذي يعيش الوحدة بحاجة الى ادب
جديد بكل اشكاله ومضامينه ليجعل منه مواطنا لا ينظر الى الحدود
السياسية نظرة تقديس للكيان الموهوم ، بل ينظر الى الحدود السياسية
لوطنه العربي الكبير من المحيط الى الخليج ، والى قضية وطنه الكبير
مع الاستعمار ، كجزء لا ينفصل من قضية وطنه الصغير مع الاستعمار
مهما تنوعت اشكاله . اما مفهوم الحرية المقنطرة على الاوطان الصغيرة ،
فهو مفهوم خاطيء وقاصر عن استيعاب لفظ الحرية ومعناها الاصيلين .
اذ ان الحرية اذا لم تكن مبنية على اساس من وحدة العالم العربي الكبير
فسوف تعتبر حرية ناقصة مريضة ، ويمكن في كل وقت الاعتداء
عليها .. ومن مهام الادب الجديد ان يحرر الاجيال العربية التي ولدت
في ظل التجزئة ويطلق قواها من عقالها لتعمل للقضية العربية ككل ..
ذلك ان تجزئة القضية الواحدة ، انما هو قفل لها وليس احياء في
كافة الازمنة والعصور .

وتعميق مفهوم التاريخ القومي في ضمير الاجيال العربية ، سوف
يؤدي الى تعميق مفهوم الثقافة القومية التي يتشكف بها الناشئة على
ضوء هذا التاريخ القومي الاصيل ، فلا يتركون الثقافة التي تصلح لكل
وطن ما عدا وطنه ولكل امة ما عدا امتهم . فاذا تعمق مفهوم
الثقافة القومية ، امكن للادب القومي ان يبدأ نموه بشكله ومضمونه
الثوريين المبدعين . ولا يعقل بحال من الاحوال ان يكون لنا ادب قومي
جديد ، يعبر عن قضية الامة العربية ويحقق مبررات وجود الانسان
العربي في هذا العصر الحديث ، دون العناية بالتاريخ القومي اولا ،
وبالثقافة القومية ثانيا ، ليكون لنا قيم ادبية وفنية وجمالية صحيحة .
وقد تكون الطريق صعبة والمهمة شاقة ، ولكن طريق نهضة الامة العربية
وحريتها ووحدتها ، هو الطريق الذي آلى على نفسه الجيل العربي
المكافح ان يسير فيه ، ورغم كل العقبات والصعوبات ، لايمان ان طريق
الحرية في الداخل والخارج ، والوحدة المعبرة عن تلاقي ارادة الامة
العربية ، على صعيد التحرر القومي ، هو طريق القومية العربية ، من
اجل مجتمع عربي واحد ، ودولة عربية واحدة ، وفكر عربي واحد ، وادب
قومي يعكس اصالة العروبة ويعبر عن سمو الذات العربية المبدعة .

علي بدور

حمص

قصة
يقام
جان ألكسان

خريطة مقاربية

فريزة

- ١ -

السينما ، الم تكن معها الجارة مكية وابنتها قمر ، والف واحدة من الصبايا اللواتي كشفن عن النحور والصدور .. كلهن جلسن على مقاعد السينما يشهدن العرض آمنا سعيديا ، الا هي ، كان شبح والدها بقماته الطويلة ورقبته المزوقة ونظراته الصارمة ، ترسم امامها على الشاشة فتبدو خلفها مشاهد الفيلم مهزوزة باهتة .. انها لم تفعل شيئا يستحق الصفع ، هي مقتنعة بهذا .. لم تتصرف مثل اكثر السيدات اللواتي راتهن في السينما ، لم تتأبط ذراع رجل ، ولم تفقه بصوت عال ، ولم توزع الابتسامات والتحيات هنا وهناك لقد ذهبت الى السينما بشرف وعادت منها بشرف ، لم ير احد زنودها ولا وجهها ، الملاية الزم تقطي كل شيء ، وفوق كل هذا لم تذهب وحدها .

- « لماذا يضربني اذن ؟ . لماذا ؟ » ..

وخبطت فريزة المخدة بقبضة يدها ، وزفرت زفرة طويلة ، وفتحت عينها اكثر كانها تريد ان تستشف شيئا خلال ظلام الغرفة ، الحرية مستبدة بها وهي معها منداحة في دوامة عنيفة تتصارب فيها الخواطر يائسة متعبة .. لا تدري ماذا تفعل ولا كيف تتصرف .. فتاة في حدود العشرين من عمرها لا تستطيع ان تتمتع بشيء من الحرية ولا ان تقنع والدها برأي ؟ .

- « هذه قمر ، اصفر مني ، لماذا اعطاهم اهلها الحرية ، تروح وتجيء كما تريد .. لاملية .. لا مندبل .. وابوها مثل السكر ، يشيلها : يا عيني ، ويحطوا : يا عيني »

وعاد الحقد يفاي في صدر فريزة ، واحسنت به يتضخم ويتضخم ويصبح افعى كبيرة سوداء تلتف بقسوة على والدها ، لماذا لا يعاملها كما تعامل قمر ، حتى المدرسة حرما منها ، كم تتمنى لو سمح لها بارتداء تنورة سوداء ، وفوقها بلوزة حمراء زاهية ..

- « وشعري مفروود مثل القصب ، وحذائي بكعب عال ، وحقيبة سوداء .. والله كنت سافلغل كل شبان الحارة .. هل قمر احلى مني ؟ . ليست حلوة الا بشبابها . لتلبس مثلي ملاية ولتضع مندبلا .. تسوى بصلة » .

وعادت الحسرة تاكل قلبها ، وحقدتها على والدها لا يزال قاسيا ، عنيفا ... اليوم ادركت ان ايامها تقتل في هذا البيت بلا عدالة ، فحزت صفة والدها لها كل ما كانت تختزن في صدرها من احتجاج مكبوت ، ولكن .. هل تستطيع ان تعلن هذا الاحتجاج خارج غرفة نومها ، بل حتى خارج سريرها .. انها تهاب اباها ، تهاب نظراته القاسية التي يحدها بها لسبب ولغير ما سبب .. وهي ترتلي لحال امها وتعجب

سحبت فريزة للحاف عن جسدها الممدود في السرير بحركة نزقة ، فانحسر ثوب النوم عن ساقها ، ولم تكلف نفسها عناء رد الثوب عليهما ، فوجد هواء الليل عندهما فرصة سانحة . لم يكن غير صوت تساقط مياه نافورة البعيرة الصغيرة التي في صحن الدار يداعب الهدوء الذي كان يلف الغرف الاربع وقد توزع فيها افراد الاسرة بعد ان امسوا في ظل الملكة التي يمتد نفوذ سلطانها طيلة ساعات الليل على نصف الدنيا .. ومرت لحظات ، انتفضت فريزة بعدها في مكانها قليلا عندما دقت ساعة الدار التي في غرفة والديها دقة واحدة فادركت انها تعلن الواحدة بعد منتصف الليل ..

كانت تحاول عشا ان تنام .. هذه ساعة كاملة تمر عليها وهي تتقلب في فراشها دون جدوى ، فخيوط خواطر مضنية عن هذا المساء تتسلق جبهتها كالعقارب ، ثم تتلوى في رأسها متشابكة وتعود لترسم في ظلام الغرفة كالاشباح :

- « ليلمن والد هذا الوالد .. ملاية ، ومندبل ، لاروحة ، لا طلعة . كل يوم سجن بالبيت .. كنس ، جلي ، غسيل .. ليلمن هذا العمر » .

- ٢ -

كانت الساعة الثامنة والنصف مساء عندما خرجت مع الجارة مكية وابنتها قمر الى دار السينما لحضور حفلة الساعة التاسعة .. لسم يكن والدها قد عاد الى البيت ، فرحت امها كثيرا ، وساعدتها قمر في الرجاء حتى رضخت الام ، ولكن اباها كان قاسيا جدا عندما ظل ساهرا حتى رجوعها من السينما حيث استقبلها عند الباب بصفحة قوية وصياح كثير : قليلة الادب ، مقصوفة الرقبة ، ليس عندنا بنات تسهر في السينما حتى منتصف الليل .. فهمت ؟ .

- ٣ -

احسنت فريزة بلفحة من البرد تمسح جسدها الذي كسفته لهواء الليل ، فعادت الى سحب اللحاف فوقها ، ومرت لحظات احسنت بعدها بالداء يتمشى في انحاء جسدها ، وبجبل افكارها يصل ما قطعته هذه اللفحة المفاجئة من برد الليل .. هي مقتنعة تماما بان اباها اصل علتها ، فهو رجعي ، ظالم ، ووجهه لا يضحك للرغيف الساخن .. هكذا تقول عنه الجارة مكية وفريزة توافقها على هذا القول ..

لن تنسى ابدا الصفحة التي احسنت معها بالشرر يقدح في عينيها ، لماذا ؟ . لانها ذهبت الى السينما ! . اكانت وحدها التي ذهبت الى

كيف استطاعت ان تعايشه كل هذه السنين الطويلة ..

وغضت على شفتها السلفى عندما قفز الى ساح ذهنها سؤال جديد ، ترى هل تكرهه ، من اعماقها ؟ وهل يمكن ان تكره ابنة والدها بمثل هذا العنف ؟

غص الجواب في اعماقها ، وبلعت ريقها بصعوبة ، وارتفع رأسها بحركة نزقة الى اعلى قليلا ، ثم ما لبث ان ارتوى على الوسادة ، وعادت تصارح نفسها ..

هي - في الواقع - لا تكرهه ، لا تريد ان تتصور نفسها اقسى منه ، ولكنها لا تطيق هذه المعاملة التى يعاملها بها .. غير انها تخاف منه على كل شيء .. حتى على مستقبلها .. الم يوصد الباب منذ ايام بوجه (الخطابة) الذين جاءوا يريدونها عروسا لابنهم ؟ لقد قال لامها يومذاك مبررا تصرفه : لا تزال صغيرة ..

- (هل انا صغيرة .. العمى . عشرون عاما . لماذا لم يقل الحقيقة ؟)
لماذا لم يقل ان المهر لم يعجبه ؟

- ٤ -

قفزت الى ذهنها صورته عندما جلس في الصباح قرب البحرة يشرب القهوة مع الشيخ ابي درويش الذي قالت عنه الجارة مكية انه يتوسط بين العائلات المستورة في مواضيع الزواج .. لقد ظنت فريزة انه جاء (بنية خير) لذلك جلست في المشرقة المظلة على البحرة تسترق السمع الى حديثه .. تحدثت عن المدينة الحديثة ، قال ان الناس خرجوا عن الطريق السوي وراحوا يقلدون الاجانب في الطعام واللباس والكلام ، حتى ان الانسان اصبح يتعب كثيرا قبل ان يعثر على عائلة مستورة تحافظ على التقاليد وتسعى على العرط المستقيم ..

ثم حكى كلاما كثيرا ، لم يترك سيرة - عدا سيرة الزواج - الا وجذب احد اطرافها ، حتى انتهى الى اصول التربية البيتية فاستنتج ان رب الاسرة - يجب ان يعامل افرادها كما كان معاوية يعامل اهل الشام ، وروى لوالدها قصة خيط معاوية الذي كاد يشده عندما يرقيه اهل الشام ، ويرقيه اذا هم شدوه ..

وقد عقب والدها على حديث ابي درويش بقوله : والله ، انا لم اسمع بقصة خيط معاوية قبل اليوم ولكني استطيع ان اؤكد لك اني اتبع هذه السياسة نفسها في بيتي ، وهذا مما يجعلني مرتاحا ومطمئنا الى مستقبل اولادي ..

ورد ابو درويش بعد ذلك - وهو يهم بالانصراف - بكلمات مدسح تقليدية راح يكيلها بلا حساب ..

- (لماذا لم يرو الحقيقة لابي درويش ؟ متى كان يرخي لنا الخيط اذا شدناه .. العمى .. كل حياته وهو يشد) ..

- ٥ -

لم تقتنع فريزة من محاكمتها الداخلية بان تصرفات والدها تستحق منها شيئا من الرضى او الاحترام ، كان فيها كلها براياها شيء كثير من الاحجاف بحقها .. ماذا تذكر لتذكر ؟ الحافها بالسؤال اكثر من اسبوعين من اجل شراء (حلق موضة) بليرتين ؟ ام تهديد والدها

لها بالقتل ان هي كلمت ابن خالتها محمود الذي تودد اليها زمنا فشمرت بانعطاف عميق نحوه سرعان ما خنقه ذلك التهديد ؟ ام محاولته ضرب امها لانها سالته رايه في قص شيء من شعرها الذي اصبح طويلا جدا ؟ ام منعها من مفادرة البيت ؟ ام اجبارها على ارتداء الالبسة ووضع المنديل السميك ؟ ام حرمانها من المدرسة ؟ ام وقوفه في وجه طالبي يدها ، ام صفعه خدعا هذا المساء صفعة قدحت نارا في عينيها ؟

- (العمى .. الف واحدة واحدة .. ومع هذا يتفلسف ابي درويش ويحاول ان يظهر بمظهر معاوية .. يا الله .. ماذا افعل ؟) ..

هي تعلم انها لا تستطيع ان تفعل شيئا سوى الاحتجاج بينها وبين نفسها .. قد تستطيع ان تنقل احتجاجها لامها اثناء غياب والدها في عمله ، ولكن الاثنين لا يستطيعان عرضه ولا باليق الطرق امام رب الاسرة .. ان امها مسكينة ، لاجل لها ولا رأي ، تنفذ ما يأمرها به دون تدمير ظاهر ، انها الان في نظرها اكثر من بظلة ، والا كيف استطاعت ان تقاسي من جوهر اكثر من عشرين عاما ؟ لقد حاولت مرارا ان تقتنع امها بان الملبسة (دقة قديمة) .. وان عليها ان تقتنع زوجها ليسمح لها - لفريزة - بارتداء التايور والتنورة والبلوزة ، مع المنديل طبعاً ، ولكن محاولتها ظلت معلقة في الهواء ، ولم تلم امها لانها لا تريد ان تعقد الامور اكثر مما هي عليها ، ولذلك رضخت لواقعها صاغرة لاعة .

- ٦ -

من جديد حاولت فريزة ان تنام ، لقد اتعبها الارق ، وهذه الافكار السود التي تدور في راسها باردة ، صريحة ، وهي تنداح معها منذ ساعة في حلقة لا تنتهي منها الا لتبدأ من جديد ..

- (تلعب السينما وغيرها .. كل هذه المزعجات من اجل راحة الى السينما ، وبلا ليتني فهمت الفيلم كما فهمه كل الناس) .. وانقلبت على خاضعتها اليسرى ، وسحبت للحاف فوق رأسها ، وشيئا فشيئا بدأت اجفانها تثقل ، وامتدت يدها اليمين الى ساقها تشد طرف السروال الطويل الى اعلى قبل ان تسوي ثوب النوم ، وكأنها - عندما امسكت بطرف السروال - قد لامست اقمى .. الان فقط ادركت ان استبداد والدها قد خرج عن كل حد ، حتى السراويل ، سراويلها وسراويل امها ، يصرا على ان تكون من النوع الطويل المشغولة اطرافه بالتنشئة ، والذي يكاد ان يصل الى الركبة .. لقد اقام الدنيا مرة على رأس امها لانها اشترت سروالين - لها ولا بنتها - من الجورسيه القصر . - (يخرب بيته .. حتى لباس النساء يتدخل في امرها ؟) ..

- ٧ -

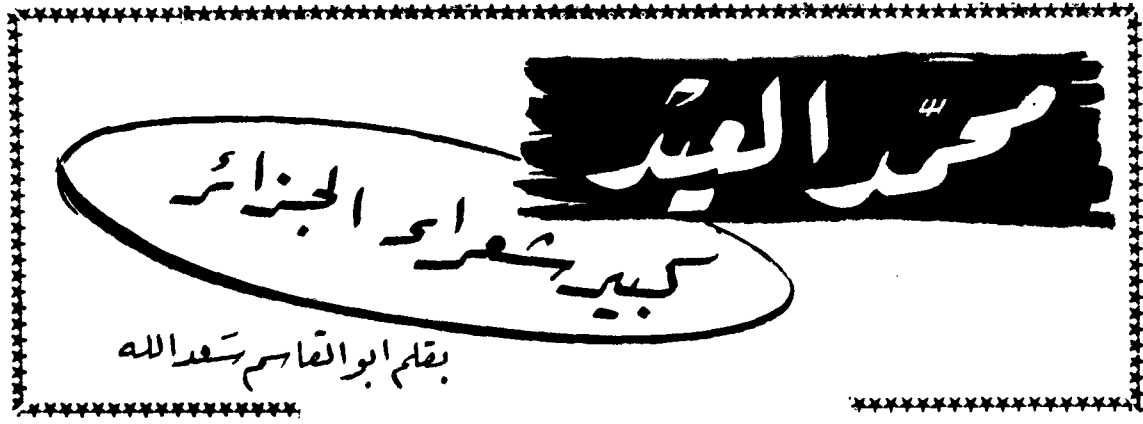
وطار النعاس من عيني فريزة من جديد .. فارقت ساعة اخرى .. كانت لا تريد ان تنام قبل ان تنفس كربها ، تريد ان تنتقم لظلامتها ، ان تتحدى اباه ..

وقد استطاعت ان تنام اخيرا عندما مدت يديها الاثنين وسحبت سروالها الطويل عن جسدها ، وقذفت به خارج السرير ..

جان الكسان

دمشق

من (جمعية الادباء العرب)



تمهيد :

محمد العيد شاعر معاصر خدم الادب العربي في الجزائر ونهض به بعد ان كادت موجة التفرنس تبطله اثر الزحف الذي قامت به الثقافة الفرنسية على معالم تراثنا القومي ابان الاحتلال .

وهناك عوامل كثيرة جعلت محمد العيد كبيرا لشعراء الجزائر او اميرا لشعرائها كما كانوا يطلقون عليه : منها انه جاء بعد ان نضج الشعر العربي في المشرق وكثرت مدارسه ومذاهبه ودخله كثير من التجديد والتلون على يد شعراء المهجر والتأثرين بالشعر الغربي من المشاركة انفسهم . ومنها ان اكثر تجاربه كانت مستوحاة من صميم الحياة الشعبية بما فيها من صراع وهندسة وشقاء وامل . ومنها انه جاء بعد فترة ركود ثقيلة في الحركة الادبية والشعرية على وجه الخصوص .. حتى لقد غلب على ظن المتشائمين انها لن تستطيع النهوض ثانية واستعادة نشاطها وصلتها بتيار الادب في المشرق لا سيما بعد ذلك الكابوس الرهيب الذي شل حركة الفكر عموما في الجزائر وحركة الادب بوجه خاص اثر العهد الطويل الذي مكثه الاحتلال والوسائل التي لجأ اليها للقضاء على كل ما هو عربي .

فقد بقيت الحركة الادبية متجمدة متخذة من وسائل التعبير القديمة غذاء لها في تاريخها مدى العهدين التركي والفرنسي لم تحاول ان تصيف جديدا او تلقح قديما او تسرع الخطى الى ما هو افضل واجمل . وكان ادباء هذا العهد من نائرين وشعراء لا يحسون بما حولهم من ضجيج الحياة وصخب الزمن بل صموا اذانهم وغالطوا حواسهم حتى لا تشعر بما حولها . من هؤلاء مثلا المولود بن الموهوب الذي كان ينظم في الصبر والصلاة وفي المودات واهل القراية وفي الفقه والمتون ومنهم ابراهيم ابو اليقظان الذي كان ينظم في الاقليمية الضيقة ويتحدث عن الشريف ابن العفيف فلان وعن سيرة الشهيد بن سلسلة الذهب صاحب المقامات وغير هذين من الشعراء الذين كانوا بعداء عن الواقع المر الذي يحياه الشعب الجزائري وعن العصر الذي يتقلبون فيه .

ونأتي بعد ذلك مرحلة اخرى كان لا بد لحركة التطور ان تمر بها وهي المرحلة التي ظهر فيها شعراء حاولوا الاتصال بالحياة العامة فوقفوا الى حد في اختيار الموضوعات على الاقل ولكنهم ظلوا متأثرين بالماضي السحيق يجرجرون خلفهم التعابير الجاهزة ويلوكون صيغ الاقدمين ومن هؤلاء احمد الغزالي ومحمد اللقاني وسعيد الزاهدي فقد وجدنا في شعرهم وشعر من سار في دربهم حديثا عن الصراع بين الثقافتين : العربية والفرنسية ووصفا للحياة الاجتماعية بما فيها من

فقر وجهل وحزبية وتخلف ولكننا لم نجد في شعرهم اصالة التعبير ولم نحس بمראה العاطفة او روعة الموسيقى خلال تجاربهم المختلفة .

مع الحياة :

وقد يكون من الصدف ان يولد محمد العيد في الجزائر في نفس السنة التي توفي فيها البارودي في مصر فقد ولد عام ١٩٠٤ في مدينة (العين البيضاء) من اسرة دينية سلفية وتعلم العربية وفروعها على والده والمتقنين من اسرته . ثم انتقل منها الى (بسكرة) على ابواب الصحراء حيث تابع دراسته المعروفة في ذلك الوقت . وفي عام ١٩٢٢ تافت نفسه للذهاب الى تونس للحصول على شهادة (التطوع) من جامع الزيتونة الذي كانت له شهرة دينية وثقافية في المغرب العربي كمعقل اسلامي عربي قديم . وقد زاد من شوق محمد العيد لتحقيق هذه الامة ان بشائر النهضة القومية كانت قد اخذت تروج وتبعث الامل في النفوس التي ظل يساورها الياس حوالى قرن من الزمان .. فقد نشط السياسيون من جهة يدافعون عن الحقوق السياسية والاجتماعية ونهض من جهة اخرى من دعاة الاصلاح القومي بزعامة الشيخ عبد الحميد بين باديس ينادون بتحرير الدين من فرنسا وانقاذ اللغة العربية وثقافتها ووسائلها التي كادت تتلاشى بفعل الاحتلال البغيض .

وفي جامع الزيتونة حاول العيد ان يكون شخصية مثقفة راسخة المعلومات تجمع بين القديم والحديث ، بين الحياة الدينية التي ورثها ابا عن جد وبين الحياة المادية التي يعيش تحت شمسها ويتنفس هواها صباح مساء ولكن هذه المحاولة لم يقدر لها ان تتم حتى تحقق النجاح فقد عاد الشاعر بعد نحو عامين الى الجزائر لاسباب عائلية فاستقبلته الحياة الجديدة التي فرضها الوعي السياسي الذي اخذ يعم ارجاء البلاد على الخصوص في المدن الكبيرة حيث تنتشر الثقافة وتقرأ الصحف وتملن المذاهب السياسية المتنافرة . ولم يجد الشاعر بدا من الاندماج في هذا الجو والمشاركة في الحياة التي كانا اعدت له او اعد لها ، حياة المدرسة والتعليم وتربية النشء الجديد .

وقد كان للشيخ ابن باديس اثر كبير في هذا الاختيار الذي يبدو في الواقع اضطرارا فقد رشحه الشيخ لادارة (مدرسة الشبيبة) التي كانت مدرسة شعبية انشأها الاخرون من ابناء الجزائر لكي تؤدي رسالة تربوية وثقافية ولهذا اطلقوا عليها (مدرسة الشبيبة الاسلامية) وقد رجا اولئك المصلحون من الشيخ ان يختار لهم اكفا رجاله العاملين في الحقل الثقافي فكان محمد العيد . ونحن لا نجد في شعره اية اشارة الى هذا الاختيار او هذه الظروف فهل كان للشاعر يد في هذا

ومن بانه انتقل بأسرته وكبريائه وافكاره الى (عين ميلة) حيث بها يناضل بايمان الواثق بالنصر :

كما شئت فامطّل يا زمان ببلقيني او ابخل بها عني فما انا يانس
اتحسب اني للحوادث راضخ واني منها جازع القلب يانس
سياتي زمان للجزائر زاهر يطيب الجنى وتمو الفارس

وفي احضان هذه القرية الصغيرة الجميلة عاد محمد العيد الى الشعر
بعد ان شاقه الفجر الجديد وجدد اماله بالناس وبالمستقبل وبعد ان
تساءل عنه اصحابه وتلاميذه والمعجبون بفنه فقال يجيبهم جميعا معتبرا
بانه كان قد فقد جنوة الشباب مشيرا الى تلك الرحلة الميرة التي
قطعها يصارع الاخطار وحيدا من غير ان يجد مسعفا واحدا يواسيه
او رفيقا مخلصا يضمه جراحه ويشد من ازره فاستسلم للقدر وفوض
امره للقضاء :

ولي عن الصبوات عزمي مدبرا ونبا عن الندوات والاشعار
وعدت متهد الخطى عن رحلة في طيها استهدفت للاخطار
وفقدت فيها المسعفين فلم اجد سلوى سوى التسليم للاقدار
وجنحت للحرم الذي فارقت زمننا جنوح الطير للاوكر

ويتأسف على هذا الطائر الحزين الذي كان يملا الاذان شعرا والقلوب
طربا كيف يدعو الناس والاصدقاء الى الفناء فلا يحس برغبة ولا بهزه
النداء ويتساءل هل كان يخشى الصائدين المترصدين له او انه قد
تعرض الى عاصفة هوجاء صيرته لا يلتذ بالفناء ولا بالهديل الموقع

فيا اسفا يدعى الحمام عشية ليسجع لكن لا يميل ليسجما
تري خاف بعض الصائدين بصيبه فيسقط مكسور الجناح مضطضا
ام الثالث من بعض الحوادث لوثة بها لم يعد يدري الهديل المرجعا
واستقبل قومه في احدى المناسبات الكبيرة بقصيدة منها هذه الابيات
المتحمة :

نحن الجبال بنو الجبال صدى الجبال بنا حسدا
من سامنا باذاينة فعلى الجبال قد اعتدى
ومن استهان بنا استهان بها فحل به الردى

وهكذا خرج الشاعر من عزلته الراكدة ومضى محلقا في الافاق الواسعة
يصف احاسيسه بشعر عاطف رفيق او يتحدث عن اماله وامال الشعب
ومظالم الفاصبين بشعر رصين هادئ حينما وثائر حينما اخر وعندما
قامت الثورة الوطنية الكبرى (نوفمبر ١٩٥٤) كان محمد العيد ما يزال
في عين بليلة وقد كتبت الصحافة عام ١٩٥٥ انه قد تعرض الى اضطهادات
ومحاكمات قاسية وانه لجا مرة اخرى الى بكرة لعله يجد مكانا بلا
لهيب ولكنه سرعان ما طارده النيران وكادت تحرقه لولا ان غادرها الى
العاصمة . وقد حالت الكثافات التي اصطنعها الاحتلال دون تتبع
اخبار هذا الشاعر بل دون معرفة مصيره في ارض يترصده الموت فيها
كل شريف .

ثقافته وتأثيره :

من انواع الدراسة التي باشرها محمد العيد نستطيع ان نحكم على لون
ثقافته تلك الثقافة في اتجاها واتجاهه . وقبل ان ندخل في تفاصيل هذه
الدراسة نحب ان نقول ان الطابع العام لثقافته كان الطابع العربي
القديم الذي كان سائدا في الجزائر بصفة خاصة وفي الوطن العربي
بصفة عامة فمراكز التعليم العربي لم تكن تتعدى الكتابات المنشورة في القرى

وقد يتساءل الباحث عن الاسباب التي جعلت محمد العيد يرضى
بالبقاء في هذه المدرسة اكثر من اثني عشر عاما فهل كان هذا الرضى
تحت ضغط الحياة المادية وحدها او كانت هناك عوامل اخرى ؟ الواقع
ان الشاعر اجاب عن هذا السؤال بكل صراحة بذلك حين سمع بعض
اصدقائه يتهايمون بازدراء وظيفته وينتقدونها بانها مجلبة للهموم
والاوجاع ويزعمون انه انما يضيع وقته مع هؤلاء انصار الذين لا يفقهون
ما يلقي عليهم فقد اجاب الشاعر اولئك الاصدقاء بانه راض كل الرضى
عن مهنته وانه يعلق على تلاميذه الصغار آمالا فاسحا ! فهم سيروون
عنه الشعر وسيجعل منهم طلائع تنود عن الوطن والاسلام والعروبة
وسيكون منهم الخطيب المصقع والاديب والشاعر المبدع والزعيم المناضل
وذلك اذ يقول :

ارى جل اصحابي ازدروا بوظيفتي وقانوا هموم كلها ووجائع
وقد زعموا عمري مع النشء ضائعا ونالوا ما عمري مع النشء ضائع
سيروون عني الشعر والعلم برهة وتطلع للاسلام منهم طلائع
فمنهم خطيب حاضر الفكر مصقع ومنهم اديب طائر الصيت شائع
ومنهم ولوع بالقوافي لفكره بدائه في ترصيفها وبدائع
ومنهم زعيم للجزائر قائد له في مجالات الجهاد وقائع

لقد مكث الشاعر طويلا في هذه المهنة دون ان يعتبره سام او يطمح
الى ترقية حتى قيام الحرب العالمية الثانية تقريبا . وفي هذه الاثناء تكدر
الجو بينه وبين من لم يقدروا جهاده وفنه فخاب امه واعتزته ازمة
اثر على تأثيرا حادا جعله يصمت حينما ثم يتجه بشعره اتجاها صوفيا
ويختار الهروب من الناس ومن الاصدقاء فيقول في الاولين :

ظننت في الناس خيرا فخاب ظني وخبت
كم قلت شيئا كثيرا في مدحهم وكتببت
لقد كذبت فحسبي في شأنهم ما كذبت
وليت نحوك وجهي وتبت يا رب تبت

وفي الاخرين يقول :

وبين حشاي برسي رفيق صددت على الرفاق به اكتفاء
ان صادقوا فادعوا او صاحبوا فانتهاء

لانهم لا يخلصون في صدافهم ولا يصاحبون الا لمصلحة ذاتية .

ونفسو عليه هذه الازمة حتى تكرهه على ترك العاصمة والعودة الى
بكرة حيث الطبيعة مجردة صافية وحيث الناس البسطاء والهدوء
الشامل فيقضي بها مدة لا ندري بالضبط امدها او العمل الذي
اداه اثناءها وكل ما يمكن استخلاصه من المعلومات التي لدينا عنه انه
بقي هناك مدة الحرب العالمية الثانية وانه قد يكون مارس التجارة مع
اخوته الذين يحترفونها منذ زمان وانه قد امسك عن قول الشعر او على
الاقل لم ينشر ما نظم في هذه الظروف .

وعلى كل فقد عاد الى مهنته (التدريس) حين ذهب الى بانة المدينة
الساحرة التي تجمع بين روعة الشمال وبساطة الجنوب وبقي بها مدة
مدبرا لمدرستها العربية وقد حدثنا بعض رفاقه والمتصلين به بانه قد
عانى من قسوة الحياة وجفاء الاصدقاء ما جعله يزداد شكا في الانسان
وفي قدرته على تحقيق رسالة الخير والحق والفضيلة في هذا العالم ومع
ذلك فلم يطاقى رأسه للعاصفة بل استمر في كبريائه وشموخه يكافح
في جبهتين : الاولى جبهة الياس والجحود لكي يعيش والثانية جبهة

والمدن لتعليم القرآن ووسائل فهمه وتذوقه من نحو وصرف يضاف إليها قليل من المنطق والتاريخ وربما شيء من الرياضيات الأولية ويمكن ان نسمي هذا النوع من الدراسات القرآنية اذ تشمل الى جانب تلك الفنون دراسات اخرى في الفقه والاصول والكلام الحديث والقراءات.

وينتقل الطلبة عادة من تلك الكتابات الى الدراسات المسجدية التي تكون في الغالب اوسع وأرقى اسلوبا ومادة من الدراسات الاولى ثم ينهون مراحل تعليمهم بالحصول على شهادة تشهد لحائزها بالحنق والاتقان ففي مصر كان الطلبة ينتقلون من الكتاب الى الازهر مثلما في تونس ينهبون الى جامع الزيتونة وفي مراكش يقصودون القرويين اما في الجزائر فقد قضى الاحتلال على الدراسات المسجدية باستيلائه على المساجد نفسها ولم يبق الا على دراسات الكتاب في بدايتها الاولى ولذلك اضطر الجزائريون الذين اتاحت لهم الفرص الى الاغتراب في سبيل التعليم العربي الذي صادره الاحتلال في بلادهم فكان بعضهم ينهب الى الازهر ويتوجه اخرون الى القرويين ولكن اغلبهم ولا سيما منذ الحرب الاولى - كانوا يؤمنون الزيتونة بتونس لعدة اسباب : منها قرب هذا الجامع الكبير منهم ومنها المساعدات المادية التي لا يجدونها في غير تونس اذ ذاك ومنها وهو عامل هام ان انتشار التعليم العربي الاول كان اكثر في مقاطعة قسنطينة اي في الجهة الشرقية المجاورة لتونس بخلاف الجزائر الوسطى والغربية فقد كانت متخلفة نسبيا اذا استثنينا تلمسان من مقاطعة وهران . وقد سار محمد العيد في هذا الطريق الذي وصفناه فدرس اولا على ابيه الذي كان من المتفهمين في الدين على النمط القديم وكانت له شهرة باعتباره احد الرجال الذين ينتمون الى فرق دينية ذات رواسب تاريخية ومذهبية عتيقة . وفي بسكرة توسع في التعليم على رجال اصلاء في الفقه والعربية اذ كانت هذه المدينة عريقة في عروبتها منذ فجر التاريخ العربي وحين قصد الزيتونة لم يبق بها اكثر من سنتين كما مر غير انه خلال هذه المدة يمكن لشاب متوقد الذكاء شغوقا بالثقافة ان يكتسب خبرة واسعة ، والا يقضي اوقاته في غير الدرس والتحصيل خصوصا وهو يعلم انه لم يفارق اهله واراضه الا لاداء هذه المهمة ثم يعود ويعلم ايضا ان من وراءه اباؤه يراقبه ويصرف عليه وينتظر عودته ربما ليحمل نفس الرسالة ويدخل في الزمرة التي يشرف عليها والده باسم آل خليفة (لقب العائلة) ولم يتفرغ للدراسة وحدها حين رجع الى الجزائر ولم يجد متنفسا في الارض الطيبة التي ولد على ثراها ليستوحي شعره من طبيعتها الساحرة واهلها الكادحين بل وجد الواجب الوطني ينتظره . ومنئذ دخل الحقل الوطني من اوسع ابوابه وهو باب الثقافة .

ولسنا ندري هل كان من الخير لمحمد العيد الشاعر ان يبقى طليقا ينتقل من زهرة جميلة الى اخرى اجمل ويقتطف من ثمار الحياة ما يلذه دون ان يفرض عليه احد الوان الثمار التي يطعمها وان دخوله الى المعركة الحامية بسلاحه الرقيق الوحيد كان اجدى عليه ؟ لسنا ندري ايهما كان الافضل بالنسبة له وان كان من المؤمنين بان دخوله الى خضم الحياة على النحو الذي وصفناه قد طبع شعره بطابع خاص سنذكره حين الحديث عن شعره وصلته بالواقع العربي في الجزائر . واحس انه لم يشبع نهمه من الدراسة وان السلاح الذي منحه له كتاب ابيه اولا وجامع الزيتونة ثانيا لا يمكنه من خوض معركة الثقافة والادب بالذات في عصر يدين بالفكر وبين جيل يعتز بالمعرفة وفي بلد يتطلع الى عهد افضل .

ولذلك عكف على دراسة امهات كتب الادب العربي القديم ممثلة في الاغاني والكمال وبيان الجاحظ ودواوين كبار الشعراء العرب في عصورهم المختلفة فقرأ من الجاهلي امرا القيس والناطقة وزهرا ومن الاسلامي حسانا ، ومن الاموي جريرا والغزدقي وابن ابي ربيعة ، ومن العباسي المعري والنتبي والبحري وابانعام وابا العتاهية ولم ينس موشحات الاندلسيين وروائع ابن زيدون ثم الاطلاع على مدارس النثر الادبي في عصورها المتعاقبة ومن هنا لن نعجب حين نقرأ لمحمد العيد شعرا يستمد جذوره من اعماق التاريخ قالبا وموضوعا وعلى وجه التحديد من العصر العباسي . اما في الادب المعاصر فقد قرأ شوقي وحافظا والرصافي وكان تأثره بحافظ بالذات كبيرا لاتفاق اوجه الشبه بينهما في اسلوب الحياة اذ كان كل منهما يستمد من الشعب وسائل قوته وموضوعات شعره ولعلنا نعود الى هذه النقطة حين نعرض لشعره الاجتماعي ومصادره .

وانما ذهب الى الزيتونة وتولى مرسدة الشبيبة او فلنقل فسي الوقت الذي بدأ يدرس الادب ويتذوقه كانت الى جانب مدرسة شوقي ورفيقه التقليدية مدرسة اخرى جديدة في ادبنا العربي المعاصر وهي مدرسة جبران ورفاقه وكانت مبادئ هذه المدرسة وفلسفتها وانتاجها تصل الى الجزائر كما تصل الى بقية الوطن العربي ويتأثر بها الادباء المعجبون من الجزائر كما يتأثر بها المعجبون من ابناء الوطن الاخرين . وكان محمد العيد في طليعة من تأثر بجبران ومدرسته وفلسفته وان كان هو ينكر انه تأثر به في فنه ونورته على اللغة واسلوب التعبير شعرا ونثرا ويزعم انه لم يتأثر به الا في فلسفة عامة ونظراته في الحياة والاحياء وقد كان من الممكن ان يتمرد محمد العيد نتيجة تأثره بمدرسة المهجر كما تمرد الشابي زميله ومعاصره ولكن لاسباب ورائية واجتماعية اكفى محمد العيد بالتأثر الهاديء دون ان يرفع السلاح في وجه القديم والقديما كما فعل زعماء هذه المدرسة واتباعها .

ومع ان الصورة التي تكاملت امامنا عن ثقافة هذا الشاعر ومصادرها توحي بانه لا بد ان يكون متأثرا بهاتين المدرستين المعاصرتين او باحدهما وانه لا بد ان يهتدي بمعالم القديم الذي اطال في دراسته وتشبع من اجوائه ، فانه ينكر ويصر على انكاره انه قد تأثر باحد او اثنى اثنى كاتب معين او عانى الم الدرس وعذاب البحث ولا يعترف بسوى (كتب الله) مصدرا يستمد منها المعرفة ويستوحي منها اغراضه الشعرية وقوته الروحية ويزعم انه يقف وحده متعففا من ان يمد يده لكاس تنجاذبها الاف الابدي وذلك في قوله :

يقولون هل نقتب في الكتب باحثا فقلت لهم لم اقف آثار كاتب وعفت فلم اشرب من الكاس فضلة يزاحمني في رشفها الف شارب ومن كان للاسفار في العلم راغبا فاني للاسفار لست براغب فحولني كتب الله من كل شارب تزودني علما ومن كل غارب غنيت بها عن كل درس معذب وعن كل بحث في المراجع ناصب

والحق اننا لا ندري ماذا يفهم الشاعر من افتناء الاثر والاقتناء بالكتاب فان كان يعني التقليد المحض فقد نوافقه على انه لم يضع على عينيه عصاة سوداء ويسير في الطريق الوحد بغير دليل وان كان يعني مجرد التأثر والاقتباس الخفيف نتيجة الاشتراك الثقافي او الاتفاق الموضوعي فهذا مالا نستطيع ان نوافقه عليه مهما تفالي في الانكار .

ولعل الابيات السابقة كافية لان تنفي عنه الاصاله لو اننا اقتصرنا عليها كدليل .

ابو القاسم سعدالله

الصحراء والسحر

يا اصدقائي انها انتم ..
وكلكم يهوى العيون الحالات
والجفون الناعسات
وكلكم يهوى الوجوه المشرقات
ووجهي الغريب لم يشرق مذ كنت .. للحياه .

★

يا اصدقائي انها ريفية جميله
تحب كل الناس .. لكن لا تحبني
فانني مسكين
لا املك المال ولا الجمال
وعالمي الذي احياه .. وهم وخيال

★

وما اتعظت ..
بعد الذي جرى .. في كلمات .
اذ قلت في جمالها ..
«عيناك يا حبيبتي .. حبل غوى وعقد امنيات
لو انه لا يفرط الحيات ..
عيناك اغنيات .. »

★

بعد الذي جرى
ما ارتاحت الاعصاب من ايامها
ما هدأت دوامة الالم
ما انقشعت عني غباوتي
وهبتها .. كل ما ملكت
وفجأة تخرمت ارادتي .. ولا اتعظت بالندم

موسى صرداوي

يا اصدقائي تطلبون ان اقول شعر
من اقول الشعر
الذين في حياتهم لا يابهون
حياتهم من قشر
حياتهم وريقة من توت
تسقط في تشرين
ام للصخور .. للثرى في قاع قبر

★

صمت عاما
تحجرت في الحياه
تفهمت من يشيل حملها
عشقت من لا يعشقون
رميت نفسي في محاجر العيون .. فاحترقت .

★

وقلتمو :
« شاعرنا .. اعط عذابك الطويل
ابيات شعرك الجميل
اعط .. ولا تكن بخيل
اعوام صمت جمدت
اعوام صمت ما تراها خلفت
غير الاسى .
غير ضياع عمرك النبيل » .

★

او تدركون اصدقائي من انا
عذرتمو قلبي عن هواه
خلفتموه في ربيع العمر
يعيش ناسكا عن حبه وشعره
يشقى على سراب سر .

★

ميرانية أخلاق

بقلم عبد الرحمن ليبيك

ونهبنت من سريري فارتديت ملابسى وأنا اتحاشى الضوضاء ، ثم انتزعت البندقية وسقت الطلقات الى بيت النار ووقفت بجانب رأسها المغمور بشعرها الذهبي مصوبا فوهة البندقية الى جبينها الفسيح الناصع الذي كثيرا ما قبلته في احتراق .

قبل ان اضبط على الزناد .. ارتجفت يداي واختلجت ساقي واخذنا تضربان بالبئطال فتحدثان حفيقا يشبه حفيف الشجر ، ثم ارتعدت فرائصي وظورت غشاوة امام عيني ولم يعد بامكاني تمييز شيء فابتعدت خائر القوى وارتيمت على اريكة طولانية خضراء .

جاشت نوازع الشرف في صدري ، وبدأ شيء في داخلي يقول .. انك جبان .. انك جبان . واذكر انني سمعت صوت امها يقول انني سببت لابنتها امراضا خفية . ومرت بخاطري شتى انواع المشاحنات التي غامت في سماء حياتنا ، وقد كان مبعثها الوحيد على ما اذكر حنثي بوعودي وشرائي لنفسي بندقية صيد .

تذكرت هذه الخلاصة للمشاكل ثم جدت العزيمة ولكنني في هذه المرة تأثرت بجمالها ، وشعرت بان رقة شفيتها واستدارة وجهها وجمال عينيها قد ازاحت عن نفسي كابوس القصب . ولكن القصب في اصله لم ينقص فقد كانت ملك قاسية ، فكثيرا ما قالت انني رجل استحق ان اعيش بعيدا في الجبال والكهوف لانني متوحش . وكان البرود هو امضى سلاح اقابلها به . ولكن ماذا كانت نتيجة هذه المهارات ، لقد ضربت بنصائحي عرض الحائط بل وزادت بالامر انها اخذت بعادة التدخين - بعد ان اتخذت لنفسها خليلا يقاسمها همومها المزعومة ويسري عنها احزانها المصطنعة - اما من ناحيتي فلم تستطع انتقاداتها ان تشيني عن عزمي فسي اتقان فنون الصيد ، بل زدت في الامر انني ابتعت كلبا سلوقيا لمطاردة الثعالب والارانب وما اشبه ذلك .

احسست ان المشكلة ما زالت معقودة وانه ما تكاد تشرق الشمس حتى تعود ملك الى صنعتها في مغازلة رصين . فقلت في نفسي « فلاضبط على الزناد ان ذلك لن يكلف عضلاتي الا جزءا يسيرا من القدرة ... انني سأترع بهذا الجسد الى الموت » واحسبني وجدت رصييدا من الاجوبة المنعنة التي حاولت فيها موازنة الامر في نفسي ، فقلت في غضب « انني اتنازل عن جسد زوجتي الى الموت دفاعا عن الشرف ، واخلادا للسكينة وابعادا للقلق الوجداني وتمشيا مع العرف الاجتماعي .. » بواسطة تلك الاعتبارات قررت غسل العار . ولما اعترمت الاطلاق سقطت في غيبوبة ليست عميقة . وسمعت صوت فوضاء حسبتهما طلقة بندقية ، ولكنني لما صحت عرفت انها صدرت بسبب وقوعي على الارض .

قررت بعد لحظات ان اقتل رصين عوضا عن ملك ، لان ذلك - من الناحية الاقتصادية - اكثر ربحا ، فاذا ما ذهب رصين بقيت ملك قربي ترهب جانبي وتنظر الي بعين ماؤها التقدير والتعظيم والاعجاب بقوتي وعمق غيوتي عليها .

حينما تسلت خيوط الفجر الى الغرفة ، وارتسمت على جدرانها تنذر بانبلج الصباح ، شاهدت بامعان بندقية الصيد معلقة على الجدار . كنت ساهرا طيلة ليلتي افكر في وضع حد نهائي للحالة المؤسفة التي وصلت اليها سمعتي بين الناس . وكانت زوجتي ملك تقف في نوم عميق وهي ليست بعيدة عني .. كانت ترقد في سريرها قبالة النافذة . وتعالمت صيحات الديكة من جميع الانحاء ، كان كل شيء يؤكد لي قدوم النهار ، وقد جزمت بان القتل اذا ما تم تحت جنح الظلام كان ذلك ادعى للخفية والتستر .. هكذا كنت افكر ..

حدث ذلك في المصيف ، بعيدا عن تلك البلدة التي تزوجت فيها ملك ، فمنذ ما ينوف عن الشهر جئت بزوجتي هذا المكان لاروح عن نفسها ولاحملها على تناسي بعض ما عانت من جراء حنثي بكثير مما وعدتها به . فلقد جرى الحديث يوم ان خطبتها حول شراء سيارة صغيرة ومنزل جميل ، واثاث فاخر وما اشبه ذلك . واحسبني قد وعدت بكل ذلك مجاملة ، الا ان ذلك لم احقق منه الا المطالب العادية التي تيسر حياة متوسطة ، وقد كان ذلك لامور نفسية تتعلق بطباعي . وحدث ذات مرة انني اقتنيت لنفسي بندقية صيد طراز برونينك عيار ١٢ ، فقد كنت منذ صغري مفرما برياضة الصيد ، ولكن ملك لم تصدق ذلك بل اعتبرت انني امتع نفسي بالحياة دون ان اشعرها ، وحسبت انني سآحرمها من كل شيء بأسلوب ناعم . من اجل ذلك وجدت حجة ضدي . وقد كانت تجد دعما قويا من امها واخيها العانسين وعمتها ، وهي بالنسبة لهؤلاء كانت تجد الشجاعة الكافية لتقول امامي بان الحياة معي اصبحت جحيما لا يطاق . تذكرت تلك الاحداث في شيء من الاختصار ، فقد كانت مشاعري متحفزة للدخول في حالة من حالات ارتكاب الجرائم ولم يكن ذلك القرار من السهولة بمكان ، بل انني لم اقرره الا بعد ان ايقنت من ان زوجتي خائنني مع شاب ميسور الحال اسمه « رصين » . حدث ذلك اول ما حدث في المدينة .. شاهدها كثير من الناس الى جانبه في سيارته الخاصة ، ثم زعم اخرون انها حضرت معه فيلما سينمائيا ، وادعت بعض النساء انها سافرت معه في رحلة قصيرة بعد ان اوهمتني انها في زيارة جدتها .

وهناك كثير من الشائعات انطلقت بها اللسان وانصبت على ضميري وكونت عزميتي في اتخاذ قرار القتل .

وليت الامر كان بهذه الصورة ، فان رصين تبعنا الى المصيف بسيارته الصغيرة واتخذ لنفسه مكانا قبالتنا ، واخذ يقف كل يوم صابحا في نافذة مسكنه فيحدث ملك محادثة لا يفهم كنهها الا العشاق ، فهو تارة يصقل شعره بيده فتزد عليه ملك برفع خصلة شعرها وهو تارة اخرى يطرح المنشقة على وجهه مقلبا شخصها الاعتباري ، وهي من ذلك تفرق له ابتسامة عذبة . كنت ارى من سريري كل تلك الاحداث حتى اجمعت على التخلص من ملك . وذلك في زعمي خير حل لقضيتي.

عدة امتار فقط ثم قفل راجعا وكأنه نسي شيئا . وهكذا افلت رصين من الموت المحقق ، مع العلم انه دنا من فوهة البندقية دنوا شديدا بحيث ان الواجب كان يقتضي ان اصصره . ولا ادري وقتئذ ما الذي فجر في نفسي ينابيع ثرة من الفرح والفبطة والسعادة الدافئة واذكر انني خاطبت نفسي .. « يا ابداع القدر .. انظر يا معن ما احلى الحياة بدون ان يرتكب المرء جريمة انني الان هادىء ثابت الجنان .. » وانتشرت امام ناظري صور كتب المؤلفين الاجتماعيين الذين قرأتهم في الشتاء الماضي .. تخيلت اولئك العمالقة الذين نقضوا كثيرا من نظريات الاخلاق التقليدية ووجدت في اقوالهم ملجأ لنفسي المترددة ، واستطبت جميع ما كنت اراه خليعا هداما في افكارهم (يوم كانت ملك مخلصه لي فقط) .. انهم في الحق فلاسفة .. انهم يحبون السلام .

وحينما اردت ان اراجع عن خطة القتل ، رايت دجاجاتي تمضي اوقاتنا مع دجاجات رصين . ورصين هذا كان قد ابتاع عدة دجاجات من نوع « لي غورن » منذ قدم المصيف ليومهم الناس انه مقيم هنا طلبا لتناول البيض نيشا طازجا بناء على اوامر الاطباء .

ولشد ما غاظني هذا الاختلاط ، حيث كان بين دجاجات رصين ديك عال .. يبدو انه متمرد وذو شخصية حادة مهمة .. اما الديك الذي امتلكه فقد بدا لي جبانا ، رعدبدا ، الا انه اوحى لي في الوقت نفسه بانه ديك مهذب ووجيه .

واذكر انني شعرت وقتئذ ببقطة الضمير ، وايقنت ان سمعتي حقا اصيحت في الوحل ، واخذت افكر كما يفكر كل رجل رجعي متعصب يعيش عمره وهو يقتات من ذات نفسه محرقا كيانه في سبيل الدفاع عن مركزه في المجتمع . قررت ان اكون ذلك الشخص البقيض ، فقد عرفت ان العزة والكرامة اقدم وجودا في الانسان من ميل التواطؤ واللامبالاة ، وانهما احق بالصيانة من الابقاء على رغبات الجسد ومراعاة ما يتفرع عن تلك الرغبات . واذا كان هناك جناء يرضون بالذل والعار، ويقبلون بالخزي على انه حالة طبيعية صيغت صياغة فيها تجن وظلم وجور حتى غدت مكروهة منبوذة من المجتمع ، فاني لن ارضى ان اكون ذلك الجبان الذي سيعيش في مجتمع كله اناس وفضائل . قررت ان اكون ذلك الرجل الشهم الكريم الخصال الذي يؤمن بان سلام المجتمع انما هو من سلام النفس وخلود الخواطر .

عند هذا الحد من الانفصال ضغطت على الزناد فدوت الطلقة في الارعاء .. كانت طلقة عنيفة .. ظننت انها طلقة مدفع .. وسرعان ما داهمني شعور بالفزع ولكنني سرعان ما تبينت الامور .. شممت رائحة البارود ثم رايت الدجاجات وقد تبعثرت هنا وهناك .. الا ذلك الديك الائم من نوع (لي غورن) فقد ظل مكانه . ففرحت وقلت (انه ولا شك ينزف) .. واقحمت نفسي بين الاشواك واقتربت منه لاشهد بام عيني كيف سيقع على الارض ولكن الديك المذكور ما لبث حتى نفر مني ثم ابتعد وجعل يلتقط حبات القمح . وسرت في جسدي رعدة شديدة واحسست ان شعر راسي قد انتصب .. وما هي الا فترة حتى حانت مني التفاتة الى جميع الدجاجات فشاهدت الديك الذي املكه وقد سقط .. فعرفت ان الطلقة اخطأت هدفها .

شعرت انني بحاجة الى البكاء حينما اتحيت احمل الديك المسكين الذي لقي حتفه دون ذنب منه ، ولكنني امسكت زمام نفسي .. فقد شاهدت ملك من نافذتها تنظر الى رصين - ويبدو ان صوت الطلقة هو الذي ايقظها - كما شاهدت رصين يطرح على وجهه المنشفة ويقبل شخصها الاعتباري .

عبد الرحمن البيك

وخرجت من المنزل قاصدا مكانا اختفي خلفه ، ولم ار خيرا من خم الدجاج ، فانبطحت ومددت ماسورة البندقية خلال اغصان الشجر اليابسة ، واحسبني وجدت نفسي على استعداد لان انفذ ما يجيش في نفسي من نوازع اخلاقية مثالية . وبناء على ذلك قال هانف في نفسي يمتدح مجهودي : « انك تقوم بمهمتك خير قيام يا معن فليس هناك اي تقصير من جانبك ، وليشهد التاريخ انك مخلص للفكرة متحمس لها كاي رجل ما زال يملك رصيда وافرا من حب الاخلاق » وسرعان ما سكنت الهاتف عن اغرائه المجاني ، ولكنني استنتجت من كلامه ما جعلني اخاطب نفسي قائلا : « وعلى كل حال فان القضية مرهونة ايضا بمدى الية بندقيتي فان استعصت هذه او غصت ، فذاك حل وسط قد اقنع به برضا القلب والضمير لانني في الحقيقة عاجز عن معاندة القدر والسير في غير ركابه ، فانا لست نجيبا لدرجة انني انكر قوة القدر » واخيرا ظهر رصين .. يسير سير من يستنشق الهواء النقي بغية تنقية شعيرات رئتيه .. ان ذلك السكين يحسب انه سيعيش طويلا ، وهو يقطف وردة ويشم عبقها .

ومرة اخرى وقبل ان اضغط على الزناد برزت امام عيني صورة زوجتي ملك ، وبدا لي وجهها هذه المرة مقترنا بصورة لجدول نفقات ، وعندئذ اكدت في نفسي انني بواسطتها انفقت سمعتي وهدرت سعادتي وسكوني، ولولا هذا الايراد الذي انتظر قيده في ضميري بقتل رصين لاختلت ميزانية الاخلاق ، في نفسي اشد الاختلال ، ومهما يكن فان صورتها هذه اعادت الى مخيلتي ذكريات جميلة .. ذكريات ليالينا الاولى حيث لم تكن امها قد انشبت اظفارها في حياتنا بعد .. كانت حياتنا قابلة لان تثمر ثمارها وتسير كما تسير ساقية جميلة صغيرة في مجرى نهر كبير جاف ، ولكن امها واختيها العانسين وعمتها وحتى اخت جدتها ، سكن فيها احقادهن واعطينها جميع العقد النفسية التي سببها عصر الانتقال حيث شاهدن في اخر عمرهن حياة جديدة لم يكن لهن فيها النصيب الوافر . وقد كانت الام تعلم حق العلم انني لن اغيظ ابنتها ولن اضيق عليها الحياة لانني « كما قالت قبل الخطبة » مرن دمت الاخلاق لين .. مطيع .. مهذب . غير انه ما كادت تمضي بضعة اشهر على زواجنا حتى راحت تحشر انفها ، ان مسالة حشرة انفها معقدة وطويلة ولا يمكن تفصيلها الا انه يمكن القول بان مطالبة عائلة زوجتي تركزت حول شراء سيارة من طراز (اوبل) ولكنني ، رغم ميلي لشراء مثل تلك السيارة ، احسست بانفة وكبرياء وما اردت ان اذهب طيلة حياتي مذهب من تجرفه موجة عاتية من موجات رغائبهم التي لانهاية لها . كنت اريد ان احقق كل شيء .. ولكن بارادتي ودون ان يكون هناك من يامرني ، وحاولت في تلك الفترة ان اكتشف السر .. سر هذا الاختلاف الذي نشب فجأة ولكنني لم افلح ، فقد بقيت جاهلا ملك .. وامها واختيها العانسين وعمتها واخت جدتها .. كن جميعا بالنسبة لي لفزا لم استطع حله ، فكثيرا ما كن يظهرون لي وكانهن الملائكة ، وكثيرا ما كن ما يظهرون لي وكانهن اللذات .. وبقيت الحالة شبه متجمدة ردحا طويلا الى ان ارتفعت التعريفات الجمركية المفروضة عن السلع والكماليات ، وكان من حسن الحظ انني ابتعت بندقية الصيد قبل يومين . وهكذا وقفت خلف حصن رفع التعريفات الجمركية مطمئن البال ، وخلفت ورائي عائلة ملك تتلهى بموضوع جديد .. موضوع التماسه التي فرضها الله على ابنتها ... ان العائلة وجدت بعض سلواها .

كنت سأتذكر بلا شك بقية الحوادث النافهة التي اعقبت فترة ارتفاع التعريفات الجمركية ، ولكن رصين اقترب حتى اصبح على بعد

أحمد شوقي.. والشعب

بقلم محمد خير الحوافي



وكل ما نطالعه في «الشوقيات» من قصائد في المرأة والفقر والعمال واعياد الوطنية، لا يستطيع ان يدلنا على عقيدة الشاعر السياسية او الاجتماعية، لان الظروف والمناسبات هي التي وجهته اليها، وفرضتها عليه .

ثم ان طبيعة الشاعر ونفسيته لها قيمتها في هذا المجال، فهناك مقومات يجب توفرها في شخصه ونفسه ليستطيع ان يسخر ادبه لخدمة شعبه وامته، وما احسب ان شوقي قد توفرت له هذه الاسباب، وهو ربيب القصور السامقة، والنعمة الورافة، تشق سيارته شوارع القاهرة في وقت كان الحصول فيه على السيارة وقفا على الطبقة العالية من الناس، ومع ذلك كان يمكن ان ينحدر شوقي الى مستوى شعبه، وينضم الى صفوفه رغم هذا كله، لو انه رزق العنف والصخب لا الملاينة والهدوء، ولكن الشاعر جمع الخصيلتين في نفسه، فهو لين من ناحية، ومترف من ناحية اخرى .

وقد تجلّى لبنة هذا في كثير من دعواته، اذ احب ان تنحو نحواً هادئاً رقيقاً، بعيداً عن الثورة، نائياً عن العنف، فاذا اهاب بالعمال، وحثهم على الجد، قال :

اطلبوا الحق برفق واجعلوا الواجب دأباً
وهو الذي ارسل هذه الحكمة :

اطلب الحق برفق تحمد طالب الحق بعنف معتد
ولقد لمس منه ناقدوه هذه الطبيعة، وعرفوا انه « لم يواجه الناس بتجديد عنيف في الادب قط، ولم ينهض لخصومة ناقد من نقاده، بل لم يجرؤ على ان يلقي نقاده بالعتب، وانما كان يعاملهم معاملة الاراقم، لا يلقاها ولكنه

يجب ان نفرق قبل كل شيء بين الشاعرية العظيمة وبين اتجاهها في الحياة، لئلا نقع في الخطأ الذي وقع فيه كثير من ادباء المدرسة الواقعية منذ زمن قريب، يوم كانوا يرفعون الشاعر او يضعون منه لموقفه من مجتمعه وشعبه، ولتعبيره عن بيئته او ترفعه عنها .

بهذا ننصف الاديب، ونضعه في المكان الذي يليق به، وبهذا نبتعد عن التعسف في التقدير، والجور في القاء الاحكام، ولعل هؤلاء الذين ينظرون الى الاديب من زاوية خاصة لا يختلفون عن القدماء الذين هجنوا شعر عمر بن ابي ربيعة وابي نواس والحسين بن الضحاك لتهتكهم وفجورهم، ناسين ان وراء هذا عبقرية لا تجمد، وقريحة لا تنكر .

وشوقي شاعر العبقرية الفذة، دون اي ريب، وقد تناولوا الادباء منذ حين بالبحث والدراسة، فمنهم من انصفه وقدره، ومنهم من ظلمه وجحد فضله، ولعل ابرز الابحاث في حياته وشاعريته يدور حول موقفه من امته القريبة منه في مصر، والبعيدة عنه في سائر امصار العرب وسواء اكان موقف شوقي مشرفاً ام لم يكن، فان شاعريته الخصيبة لن تضار في ذاتها، ولن تجحد فسي سموها وقوتها .

والحق اننا اذا تجردنا من حينا للشاعر الكبير، ووضعنا بين ايدينا شوقياته الرائعة، والتمسنا فيها الجانب الذي يخدم الشعب او يوجهه، رأينا قصائد كثيرة تتناول موضوعات من هذا القبيل، ولكنها مع هذا لا يمكن ان تصل الى ذلك النوع من الادب الذي نادى به الاشتراكيون وسموه « واقعياً » او النوع الذي نادى به « جان بول سارتر » وسماه « ادب الالتزام »، واقامه على اساس فلسفته الوجودية التي عرف بها .

واذا اردنا الابتعاد عن الاصطدامات الادبية التي انسربت اليها عن طريق الغرب، استطعنا ان ننفي العمق عن قصائد شوقي، تلك التي يدور موضوعها في فلك سياسي او اجتماعي، ومعنى هذا ان الشاعر العظيم لم يكن يصدر فيها عن احساس عميق، ولا عن شعور نافذ الى صميم الواقع، وانما كان يجاري مناسبات طارئة، وظروفا عارضة، فيرسل شعره من وحيها والهامها دون ان يشعر بها الشعور الذي يطلب من شاعر الالتزام .

يأخذهم من خلف باطراف اليد (١) »

وهذه المداورة الى جانب لينة وترفه ، تذكرنا بموقفه يوم نفاه الإنكليز الى « برشلونه » ، وبصمته الطويل عنهم ، كأن الذي حرمه من وطنه ، وابعدته عن امه العجوز ، لا يستحق هجاء او ليس في عمله ما يدعو الى الانفعال والثورة .

ومن هنا يتضح ان كل ما كتب عن اثر المنفى في توجيهه نحو الشعب والعروبة انما يحمل في ثناياه كثيرا من التجوز ، وقليل من الحقيقة ، ولا يستطيع ان المس لنفاه اثرا في نفسه الا انه اطلق اساره ، واتاح له الحرية في تناول « المناسبات » بالنظم الرائع ، والشاعرية الخصيبة ، دون ان يلبسه شعورا فيه حدة وفيه نفوذ .

واذا اردنا ان نصف شوقي في هذا الموضوع ، استطعنا ان نعتبه بانه المرأة للعصر الذي عاش فيه ، والبيئة التي ترعرع فيها . . امرأة تعكس القلق الشائع في النفوس ، والحيرة المتفشية في الناس ، والتذبذب بين اتجاهات كثيرة تتسم بها عصور الانتقال والنهضة ، واطن ان الفرق واضح بين ان يكون الادب خادما للشعب وفي سبيله ، وبين ان يكون مرآة له ، وصورة عنه .

ويكفي ان نعرف ان شوقي يجمع خصال عصره فسي ديوانه الضخم ، فقد هاجم الحجاب ثم دعا اليه ، وهجا الإنكليز ثم مدحهم ، وسكت عن حادثة « دنشواي » المعروفة ثم نظم فيها بعد سنة في ذكرها ، وتردد شعره بين مديح الاتراك ومديح الخديوي ، وارتبط في القصر فنسي كل شيء الا سياسته ، ثم تركه ولكن صورته ما زالت تتراءى له ، وتلتامح امام عينه .

واذا نظرت في تاريخ العصر الذي عاش فيه شوقي رايت هذه السمات تتخذ اعشاشها في النفوس ، وتصبغ القلوب بصبغتها ، فقد كان الناس بين ان يميلوا الى الدعوات الجديدة وبين ان يحافظوا على قديمهم . . بين ان ينادوا برفع لواء الاتراك والخلافة الاسلامية ، وبين ان يستجيبوا لاغراء الإنكليز والحضارة الاوروبية ، بين ان يشجعوا سفور المرأة وبين ان يبقوا على حجابها ، فالعصر اذن عصر قلق ، وعصر مذاهب ومشارب شتى ، فلم يكن غريبا ان يلد شوقي الرجعي التقدمي ، والتركي العربي ، والمتعصب المتسامح .

ملاحظة اخرى نلمحها في قصائد شوقي حول الحوادث الوطنية والقومية ، هي انه يقف بعيدا عنها ، ويصفها دون ان ينفس في حماتها او يشارك ابطالها والقوام عليها ، وكأنه اراد ان يمثل حسان بن ثابت (٢) الذي اكتفى ان

(١) حافظ وشوقي . لطف حسين . ص ١٩٣ الطبعة الثانية .

(٢) مع الفارق بين الشعرين فقد كان حسان يصدر عن عقيدة عميقة ، ويصور نفسه احيانا احد الإبطل .

يناصر الاسلام بلسانه حين عجز عن مناصرته بحسامه ، وليس هذا ببعيد ، فشوقي كثير الذكر لحسان ، وكثير الاستشهاد في معرض الفخر بشاعريته ، ويبدو هذا الجانب عند الشاعر في قوله :

يوم البطولة لو شهدت نهاده لنظمت للاجيال ما لم ينظم

فكانه يحاول ان يكشف عن نفسه ، فلو حضر يوم البطولة لما خاض غماره بالدم والحديد ، ولكن بالشعر والبلاغة .

وقد يدخل في شعر شوقي الوطني والقومي تلك المراثي التي تشغل الجزء الثالث من الديوان ، وقد قيلت في رجالات عصره من وزراء وقواد وزعماء وادباء ، وبرزت فيها عناصر من القومية والوطنية ، ولكنها اعجز ان تحملنا على ان نعتبرها نوعا من الشعر الذي يخدم الشعب ، ويوجه الامة ، لانها تبدو في كثير من دوافعها اشعار مناسبات ليس غير ، فقد يرثي الشاعر اليوم من هجاء بالامس ، على غرار ما فعل مع الشريف حسين ، اذ هجاء في « حاليته »

دار النشر بيروت تقدم
رافعة مكسيم غوركي
الطبعة الأولى
نقلها الى العربية : الأديبة الكبرى
جورج جرداق
كما تقدم الكتاب المتع الطريفة :
قصص وآواخ
شاهد من الحياة الأميركية بأفلام هزلي ترواها
الفرنسي ، وراك نيتي الأمريكي ، وجورج جرداق الذي
ارافى هذا الكتاب :
بنات الفلاف
بنات الليك
البنات التاكسي
مهازل الصماعة
مهازل الدعابة
مهازل الامانة
اكواخ المرفوع
الخ ...
تطلب من مكتبة النهضة بيروت



افتجد في هذه الافتتاحية غير التعميم والشمول ؟
افتطالعك جزئية واحدة تصور لك مأساة القوم ، وتدلك
على ان الشاعر استطاع ان يشعر بالحوادث شعورا قويا ؟
والواقع ان قصيدة الشاعر تنحو هذا المنحى في كليتها،
وتشير الى سطحية العاطفة وهزالها ، فاذا وضعت بجانبها
قصائد الشعراء السوريين لاح لك الفرق بين من عانى
التجربة وبين من افتعلها افتعالا ، وخذ مثالا على ذلك
قطعة من قصيدة خير الدين الزركلي حيث يقول :

الاهل اهلي والديار ديارى وشعار وادي النربين شعاري
ان الدم المهرق في جنباتها لدمي ، وان شفاها لشفاري
امجالس السمار ضاحكة بهم ضحك الهوى ، ما حل بالسمار
ام القصور نواعما رباتها وما للقصور دوائر الاثار
ام الحياة ، وللحياة نعيمها ، هل في ديارك بعد من ديار
وماذا بعد ذلك ؟

ان شوقي يحب مصر ، ويمحضها حبه ، ولكنه حب من
يتعلق بالبيئة التي زكا فيها عوده ، لاحب الجندي الذي
يضحي في سبيل وطنه ويشقى ليقدم له السعادة ، ونحن
نلمس عنده هذا الحب في همزيته المطولة التي القاها في
مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في جنيف (١) ونلمسه
كذلك في شعره الذي قاله في منفاه ، يصور حرمانه
وحينه الى مصر ، حتى يجعلها اما ثانية له ، فقد خاطب
امه المتوفاة قبيل عودته :

فما برحت من خاطري مصر ساعة ولا انت في ذي الدار زابلت لي وهما
اذا جنني الليل اهترزت اليكما فجنحا الى سعدى وجنحا الى سلمى
وقد يكون اجمل صوره الشعرية لهذا الحنين ما ورد في
القصيدة التي عارض بها ابن زيدون ، وذلك في قوله :

لكن مصر وان اغضت على مقعة عين من الخلد بالكافور تسقينها
على جوانبها وقت تماننا وحول حافاتها قامت رواقينا
ملاعب مرحت فيها مآربنا واربع انست فيها امانينا

ولكن ليس في هذا الشعر الا ذاتية صرفة، تجعل الشاعر
يتمنى العودة الى وطنه الحبيب ، الى حيث اقام من بيته
« كرمة ابن هانيء » يجتمع اليه فيها المحبون والمحبون ،
وهو بهذا بعيد عن ان ياتي بشعر الالتزام الذي نادى به
« سارتر » في اعقاب الاشتراكيين .

واخيرا نعود الى ما كنا رايناه في مطلع هذا البحث ،
من ان شعر شوقي كان مرآة تعكس مجتمعه القلق ، وتصوره
تمام التصوير ، بحوادثه الدامية ، واعراسه المفرحة ، ولكنه
ليس بالشعر الذي ينفذ صاحبه الى صميم المشكلات
بشعوره العميق وفكره الواعي ، ثم يصدر عنها، وينهل منها .

محمد خير الحلواني

حلب

مجاز في الادب من جامعة دمشق

(١) عام ١٨٩٤ .

عادت اغاني العرس رجع نواح ونعيت بين معالم الافراح
فيقول فيه :

لا تبذلوا برد النبي لعاجز عزل يدافع دونه بالراح
بالامس اوهى المسلمين جراحة واليوم مد لهم يد الجراح
ولكن الحسين يموت ، وموته « مناسبة » تدفع شوقي
الى قول الشعر فيه ، فيريه بقصيدة مطولة يفتتحها بهذا
البيت :

لك في الارض والسماء ماتم قام فيها ابو الالء هاشم
ثم لا يلبث ان يصوره هذا التصوير الرائع :

انت كالحق الف الناس يقظا ن وزاد ائتلافهم وهو نائم
حبذا موقف غلبت عليه لم يقفه للعرب قبلك خدام
ذائدا عن ممالك وشعوب نقلت في الاكف نقل الدراهم
حتى القصائد التي وصف بها الثورات العربية ، لاتلمح
فيها العاطفة المتأججة ، او العميقة النفاذة ، فاذا اخذنا
قصيدته في دمشق ، لمحنا فيها ضربا من التعميم يصدق
على كل حادثة مشابهة ، فليس ثمة جزئيات تفك امام
وحشية فرنسا ، وتضعك امام المآثم التي تجريها هناك ،
والمجازر الرهيبة التي تحدثها في الربوع ، وهل ادل على
هذا من قول الشاعر :

سلام من صبا بردى ارق ودمع لا يكفكف يا دمشق
ومعذرة البراعة والقوافي جلال الرء عن وصف يدق
لحاما الله انباء توالى على سمع الولي بما يشق
تكاد لروعة الاحداث فيها تخال من الخرافة وهي صدق

كتابان خطيران

عارنا في الجزائر : لجان بول سارتر

الجلادون لهنري اليغ

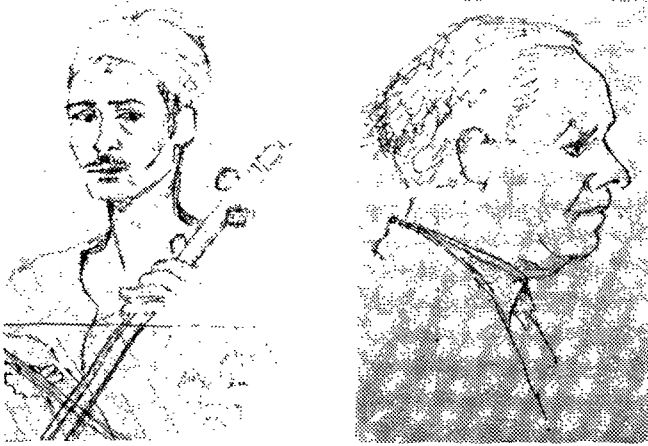
ترجمة عابدة وسهيل ادريس

دار الاداب

الزّاحون

مع الكنانة

بقام
شريف الرأس



الفنان متولي السيد حجاج الاستاذ زكريا الحجاي

★

وعمامات وجلايات وحزم من قصب السكر وازدحام هائل ورائحة سمك الفسيخ تتسلل من شقوق القفة فوق الرأس « انه مولد عظيم ، انظري ، كل مصر جاءت لتحترف بمولد سيدي ابراهيم الدسوقي » ... وترسو مراكب اخرى وتعود قطارات وتتزاحم عند ابواب القرية سيارات جديدة « سبعة ايام بلياليها » .. ويحشر الناس بعضهم في الازقة ويتراصون ويتدافعون ويتزاحمون وقد يفحكون ، وبعض الاطفال يركضون وامرأة تباع قصب السكر ، واخرى تسوي لطفلها مهدا من ملادة وقش حد خيمة غاصة بالناس . وشيخان يتباريان في لعبة العصا «التحطيب» وامرأة تشوي سمك السردين ، وحوانيت كثيرة تباع كل شيء ، ورجل يلعب الثلاث ورقات ، وصراخ وضجيج ودخان شواء اللحوم والاسماك يندمج بدخان المحمص ثم ينتشر على شكل ضباب روائحي شفاف ليلف المحشر كله ويخلق وحدة في احساسات الخياشيم ..

وتمتد في الشارع ذاته كهوف الخرافة وتنتصب خيام اهل الطرق الصوفية .. كل خيمة اضخم من الاخرى واطول واعلى وفي كل خيمة مذبح مكبر صوت هائل ، وعلى السارية علم اصحاب الطريقة ، وفوق المدخل لافتة طويلة مكتوب عليها موجز لخوارق هذه الطريقة وميزاتها . وزعيق مكبرات الصوت يتلاطم ، والتفوق للاقوى . وشاب ذو حنجرة متشاربة ينشد في صدر الخيمة ، ورجال كثيرون يتمايلون ذات اليمين وذات الشمال بحركات دوخانية هوجاء يطنونها ذكرا وطريقا للمشاعر الصوفية ، ورائحة بخور رخيص وزيت الفلفل والرجال الذاكرون يزاودون عددا ويزدادون في رقصهم النواصي عنفا وضراوة . والشاب

اريد في هذا المقال ، ان اتحدث عن ظاهرة جديدة في الفن الشعبي العربي اعتقد انها تجربة جريئة ورائعة في حركة بعث هذا الفن الفئائي وتطوره ، واعتقد انها علامة هامة في طريق المحاولات الفنية المدبسة المتعاقبة لاشك في انها تحمل من الخصوبة وطاقات النمو واصالسة الابداع مايجعلها تلعب دورا حاسما في تاريخ نهضتنا الفنية الحديثة .. هذه الظاهرة هي مايصح ان نسميه « فرقة المداحين » التي كونتها وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم الجنوبي وعهدت بشؤونها ورعايتها للفنان الاستاذ زكريا الحجاي .

واحب قبل الحديث عن هذه الفرقة ، ان اعرض وجهة نظر الدولة العربية بالفنون الشعبية من خلال عبارة قالها السيد ثروت عكاشة ذات يوم : « ان الاهتمام بفنوننا الشعبية جزء من العناية بمقومات شخصيتنا ، فهي صورة من طبيعة شعبنا توارثها على مر الزمن حتى رسبت فسي اعماقه وانطلقت على لسانه حكما وامثالا ، واغنيات والحانا ، كما ظهرت في مجموعة رقصاته . بل ان هذه الفنون اخذت طريقها الى انتاج الشعب فافضت عليه طابعا خاصا يميز شخصيته .. والذين يبنون للمستقبل ينبغي عليهم الا يتجاهلوا هذه المقومات والعناصر ، فعليها يستند البناء ، ويعتمد التطور » .

ولقد قامت في الاقليم الجنوبي عدة محاولات للاستفادة من كنوز اغانينا الشعبية وتطويرها واخراجها اجرا عسريا ، وكانت بعض هذه المحاولات تقوم بتشجيع من الدولة وتحت رعايتها ، على ان خطسر « الانحراف والاجتهاد وتقليد الغرب والاقتباس » انزلت تلك المحاولات الى حافة الفشل ، لانها لم تكن غير تشويه عصري للفنون الشعبية ، ولم يعجب الفئات المثقفة الذواق من جهة ، ولم يلاق صدى لدى الفئات الشعبية المعاكسة لاصول هذه الفنون من جهة اخرى . وهذا ماعرف الاستاذ الحجاي كيف يتعاشاه ويتجنبه .

ولنبدا من القرية ، حيث يجب ان نبدا ..

★

على صفحة النيل الخالد تنعكس الاف الاصواء ، وبمر قطار طويل فوق الجسر ، وترسو مراكب شرابية حد الشاطئ لينتذف منها مئات الفلاحين ، وتتزاحم السيارات الكبيرة والصغيرة في مداخل القرية ، ثم يتدافع من احشائها رجال ونساء واطفال « هاقد وصلنا دسوق » .. ويقف القطار لاهثا عند المحطة ، وتتسابق الوف المخلوقات الساذجة نحو القرية .. ثمة بنات ونساء وملايا ورائحة عرق ، وسلال فوق الرؤوس ، واطواق من الخرز ، وحلي زجاجية ومعننية ، وكهول وشبان



الفنان حجاج السيد حجاج الفنان عيشة المسلاح

★

والتهذيب . واخضعها لضروب من التمرين والتدريس والتعليم ، وزودها بمؤلفات جديدة من الاغاني والاناشيد ومقطوعات الاوبريت . ثم اخذ يطوف بفرقة في الارياف وبين المدن ، ويحط الرحال في الموالد ذات الظهر الديني ، التي اعتاد الناس الاقبال عليها اقبالا شديدا ، وهناك يختار ساحة فسيحة ينصب فيها مسرحه .. وما ان تقرب الشمس حتى تقص الساحة الفسيحة بالناس ، بالوجوه الجائعة ذاتها ، جالسة متراحة حول بعضها ، وتظل العيون معلقة بالستارة ساعة او ساعتين . ثم تراح الستارة عن مجموعة من المداحين والمداحات « روح الكنانة » بلباسهم الريفي المهود ، والانهم الموسيقى المألوفة ، حيث يفتتحون الحفلة بشيد الجمهورية :

يا جمهوريتنا العزيزة ... ردي
بالوحدة في عيدنا نشيدها الامجد
وبلدنا ما فيها شي دخيل ولا معتدي
يا دنيا في عيد العرب قومي اشهدي
رجع لنا مجد الزمان الفابر

عيد العرب عيد الكرامة والسلام
ورابتنا علقناها في طرف الحسام
ودخلنا دور العمل مش في الكلام
والنصر وانا ما دام فينا الامام
وعدو الاستعمار رئيسنا جمال

من الخليج العربي ... للمغرب
وحده جمعها ناصر حول المطلب
يا نموت كرام يا نعيش سادات الملعب
العربي في السلم شهم وطيب
وفي الفضب ما يحترق بمحال
يا رب بارك للعرب بالعر وحدتهم
صبحم كثير بجمال من بعد وحدتهم

انا منية البلد يا دنيا ظاهري
اعيش واموت فدا بلادي الظاهره
صحيح انا مولود في قلب القاهرة
لكن ولاد عمي بدمشق الظاهره
وعيلتي من بغداد وتونس ظاهره
وطني عربتي والتاريخ الفالي

ذو الصوت المشاري يصرخ - يغني - والميكروفون في يده : « صلوا على نور النبي ... الف الصلاة عليك يا نبي » وعازف الكمان وغارب الرق يلاحقانه بما يشبه الالحن ، والمطرب يتمايل مع المتمايلين ، ويلعب صوته ، ويقهره ويرفق ويهبط به ، والذاكرون يلهثون حفا ويقفون بعرقهم . وقد تتصادم رؤوسهم بعنف - وهنا تتضح فائدة طاقة اللباد . وشيخ غطى صدره بعشر مسابح او عشرين ، قبع وراء الجوفة يقشر باسنانه عقدة من قصب السكر ، والمطرب يختطف منه العقدة ويكمل نقشسيراها - نهشا - ويمتصها ويرميها دون ان يتأثر الموقف او يترجرج . فالذكر ما زال لاهبا ، والجميع دائخون او متداوخون . ولذلك فان احدا لا يهتم بانحراف الصوت المشاري صوب « اسمر يا اسمراني » ثم تعريجه على « نار يا حبيبي نار » او « عالدوار » وما اشبه ذلك فالضجيج يملحو كل خطيئة . ومكبرات الصوت تفتك ببعضها رغم الانوار الساطعة في كل مكان .. وفي الخيمة المجاورة لم تنصب حلقة ذكر ، وانما تراض الناس جالسين وواقفين يستمعون الى مطربة ذات انف رفيع وطويل وعيون دائرية واسعة وصوت فرائي ، ويصرخون اعجابا كلما حط بها ضيق النفس عند محط صوتي .. والمطربة تنشد مدائح نبوية لا يعلم الا الله مدى علاقتها بالوضع .. وشاب يقذف بنفسه نحو الميكروفون ليعلن بانه وضع رسول الله شفيعا بين يدي المطربة المحترمة كي تنقل تشد وتغني حتى مطلع الفجر ..

وراء الخيمة انتصب سيرك ، وسيرك اخر ، ولعبة الموت ، ولافتات عجبية عن الساحر الذي يقطع المرأة نصفين ويلصقها مرة اخرى ، والساحرة السورية ذات المعجزات الخارقة ، وقتيات شبه عاريات يرقصن على ابواب السيرك وتحت لافتات لعبة الموت والساحر . ومخزن كبير يدعو الناس لشراء عمامة من الورق الملون مزينة بصورة فاتن حمامة او طرزان « للتبريك » .. وصراخ ومحشر وتعب وروائح وضياح وحضيض وتوديع للانسان البسيط وحزام يشد مواطن القرن العشرين ، من رقبته الى افتك ما في عهود الانحلال المعتمة من مخترعات تبديدية لثيمة ، وبكاء وانهايار واوساخ ، وطفل يقف اني شاء ، فيرفع ذيل ثوبه ويبول .. ههنا يتجمع جمهور مسرح فرقة المداحين التي يرعاها زكريا الحجاوي.

★

ساحة الحوادث ذاتها بعد عام .. والمحشر ذاته . على ان الفنان الذي كان فيما مضى من الايام يقف ويتألم ويتفرج اصبح اليوم فعلا جزئيا .. انه يريد ان يحمي كل هذه الجماهير من سموم الماضي التي استشرت في الدم حتى بلغت حدود الادمان الاعمى ، ويريد ان ينقذ هذه الجماهير من شلل الموت في الخرافات ، ويريد ان يبعث ما في النفوس من حربة وغفوية وفعالية وانطلاق . انه يريد ان يمحو خمسمائة عام سوداء من حياة الريفيين وينقل بهم الى دنياهم الواقعية حيث القرن العشرون ، وحيث المواطن المنتج الواعي ، وحيث معركة تحرير العرب وتوحيدهم .. وهو ، بعد ، يريد ان يحقق كل ذلك من خلال الفنون الشعبية : اللغة الوحيدة التي تدخل القلوب هنا بحب وفرح . ولهذا انشأ زكريا الحجاوي ، بتكليف من وزارة الثقافة والارشاد القومي ، فرقة من الفنانين الشعبيين الذين احترقوا التجوال في الارياف لكسب العيش عن طريق الفناء في الافراح والموالد والمناسبات الشعبية الاخرى . وضم اليهم لفيفا من الخبراء في شؤون المسرح والموسيقى والاراجواز والرقص الشعبي ، وتناول هذه الكفاءات كلها بالصقل

الأدباء

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب. ٤١٢٣ - تلغراف ٣٢٨٣٢

★

الإدارة

شارع سوريا - رأس الخندق العميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان
أو ٦ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الأرجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

الإعلانات

يتفق بشأنها مع الإدارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الأدباء ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣

هذا التشيد الذي يفتتح به كل حفل ، يصح ان يؤخذ كنموذج لما تقدمه فرقة الحجاوي من مقطوعات غنائية اخرى ، ما ان نسمعها حتى نعيش في اجواء التراث الموسيقي الشعبي العريق . فالحجاوي لم يؤلف الحانا جديدة ، ولم يضع من عنده موسيقى جديدة ، وانما اكتفى بتناول مجموعات الاغان الشعبية العريقة ، ذات الجذور الراسخة في كل النفوس - مهما كابرن - وذات الصدى الحلو في القلب ، السهلة على السمع واللسان ، ثم ملا هذه التكوينات الموسيقية بمحتوى غنائي جديد ، ومنظومات كلامية جديدة. ثم ان هذا المحتوى الغنائي الجديد الذي ينشد المدايح والمدايح ليس جديدا بالمعنى المتعارف عليه لدى مؤلفي الاغاني اليوم ، فهو من حيث المضمون لا يعبر عن تجربة فردية او انفعال شخصي عابر ، بل هو يعبر عن تجربة جماعية ، وتدفع تيار الحياة لدى امة تعاني فرحة البعث وآلامه .. وهو من حيث النسيج الشعري وترايط العبارات ومنطق الكلمات يختلف عما عرفناه في اغنيات الاذاعة والسينما « المتطورة » اذ ان الحجاوي ، بعد سنوات من معايشة التراث الشعبي في الارياض ، استطاع ان يؤلف اناشيده حسب النسيج الشعري ذاته الذي كان الشعب منذ الاف السنين ينسج عليه الموالم والملاحم والصور الغنائية الاخرى .

وعلى سقاء انتاج الحجاوي ، فقد استطاع ان يبتكر فنا شعبيا بسيطا في شكله ، لكنه عميق وهام في موضوعه ، وتقدمي في محتواه واهدافه ، وباعت للهمم والفعاليات في توجيهه ، وايجابي متفائل في كل ما يقول .. على عكس المحتوى الحزين البائس في التراث القديم .

★

وبعد ، فان قيمة هذه الظاهرة الفنية قد لا تروق للمثقفين الطامحين لرؤية فن شعبي متطور حديث ، اصوله في جذور تراثنا الشعبي ومظاهره في مستوى فرق الفولكلور الاجنبية ، هؤلاء المثقفين الذين لا يزالون ينتظرون لحظة صدور حكم جريء في فن الاخوين رحباني الفولكلوري ، وفي محاولات فرقة رضا وفرقة ليل يا عين القاهريتين وامثالهما من المحاولات المماثلة الاخرى ... وانما قيمة ظاهرة فن الحجاوي ان هذا الرجل الذي جمع بين ضلوعه ثروة هائلة من فولكلورنا الغنائي حيا عفويا ، استطاع ان يعطي صورة منظمة عن هذا الفن ، صادقة وسوية بحيث تصالح لان تدرس وتصبح الحاضنة الخصبة الاولى التي ينطلق منها كل فنان عربي حديث يطمح الى تطوير فولكلورنا الغنائي عن وعي وفهم ، بعيدا عن خطر الانحراف والتزويق والافتباس الصيباني .

هذا اولا : تجميع ثروتنا الفولكلورية والحفاظ عليها وتسهيل عرضها للمختصين بصديق وموضوعية دقيقة .

ثانيا ، ان الحجاوي ، باستخدامه الصور الفولكلورية الدارجة في عمليات تطهير النفوس المنخورة وبعث المواطن ، ابن الريف ، والسمو الى مستوى مواطن الجمهورية العربية المتحدة ، انما يحقق للمرة الاولى عملا ضخما جليلا عجزت عنه المدارس والصحف والاذاعة ووسائل التبشير الاخرى ، وهو ، بعد ، عمل لم يفتك بالفولكلور وانما زاد في غناه وفتحه (١).

شريف الراس

(١) الصور المرفقة رسمها كاتب المقال .

مناقشات

حقائق تاريخية

بقلم علي محافظة

منها قومية ذات مقومات واضحة. ولكن هذا لا يمننا من ان ندرس تاريخها وحضارتها . علينا ان نوضح للطلاب ان العرب قد اقاموا علاقات اقتصادية وثقافية مع هذه الشعوب قبل الاسلام . كما نشأت دول عربية في مناطق متعددة من بلاد الشام والعراق كالتدميين والنباط والفساتنة والمناذرة . واما فتح العرب المسلمون هذه البلاد استقبلهم سكانها كمغذيين لانهم حرروهم من ظلم البيزنطيين والفرس والاجانب . وكان ذلك كله من العوامل التي لعبت دورا كبيرا في تعريب سكان هذه البلاد .

ولا اعتقد ان توضيح علاقة هذه الشعوب بالعرب على النحو السني ذكرته يتنافى مع التوجيه القومي العربي لتدريس التاريخ والجغرافية . وقد اشار السيد ونوس في مكان اخر من المناقشة نفسها ان المصريين العرب الذين كان يقودهم ابراهيم باشا جاءوا الى بلاد الشام ليحرروها من الاتراك وانهم ليسوا غزاة . والحقيقة ان هذا الخطأ قد تردى فيه كثير من كاتبي التاريخ العربي الحديث معتبرين محمد علي باشا منقذ بلاد الشام من الاتراك . مع اننا لو رجعنا الى الحقائق التاريخية لوجدنا ان محمد علي قد غزا بلاد الشام مدفوعا بدوافع عدة أهمها :

اولا : حقد على السلطان العثماني محمود الثاني لعدم وفاء السلطان بوعده لمحمد علي القاضي باعطائه جزيرة كريت كمكافأة على مساعدته له في حرب اليونان . وتمثل حقد محمد علي في عدم اشتراكه في الحرب ضد روسيا بعد موقعة نفارينو معتبرا بخسارة أسطوله. وزاد حقد محمد علي على السلطان بانتخابه خسرو باشا عدوه اللدود صدرا اعظم .

ثانيا : شعور محمد علي بضعف السلطان على اثر اندحاره في حرب اليونان وفي حربه ضد روسيا ، لذلك استغل محمد علي ثورة البوسنة على السلطان وهاجم بلاد الشام .

ثالثا : خلافه مع عبد الله باشا والي عكا الذي يعود الى الاسباب التالية :

م - عدم دفع عبد الله باشا مااستدانه من محمد علي عندما كان في مصر .

د - منع تصدير الاخشاب اللبنانية الى مصر لبناء الاسطول .

ح - حماية المصريين الفارين من الجندية الاجبارية وعدم اعادتهم الى بلادهم .

هذا وقد انضم الامير بشير الشهابي الى محمد علي لانه كان في عدا مع عبد الله باشا والي عكا . ولا بد هنا من التنويه بان اهالي دمشق وغيرها من المدن رحبوا بجيوش محمد علي اول الامر لانه انقذهم من المصادرات والضرائب الباهظة التي كان يفرضها عليهم الولاة الاتراك ، ولكن ابراهيم باشا قائد الجيوش مالبث ان زاد في كمية الضرائب المفروضة على السكان بعد فترة وجيزة فادى ذلك الى مقت السكان له كما مقتوا ولاه الترك من قبله . وهلل الشعب العربي في سوريا عند خروج جيوش محمد علي واقاموا حلقات الرقص والدبكة ولعلي اوضح هذه الفرحة الشعبية اذا ذكرت احدي الامازيج الزجلية التي شيعت بها جيوش محمد علي وهي :

قومي ارقصي يا بنيه يا فطيم الحورانيه

قومي ارقصي الدبكه سبع جيوش مشتبكه

محمد باشا عى يكي على فراقك سوريسه .

ويدعوننا هذا التعليل لفزو محمد علي باشا لبلاد الشام السى ضرورة التفريق بين مفاهيم القومية العربية والوعي القومي العربي

ذكر السيد ابراهيم ونوس في العدد الماضي من « الاداب » تحت عنوان مناقشات « فرعون ومحمد » انه ورد في كتاب الجغرافية للصف السادس الابتدائي المقرر في مدارس الجمهورية العربية المتحدة في بحث سكان الوطن العربي مايلي : « فكان منهم البابليون بين النهرين والفينيقيون على شواطئ بلاد الشام والمغرب والفراعنة والاقباط في حوض النيل وكل من سماهم الاجانب الساميين وليسوا في الحقيقة الا عربا . » واعتبر الاستاذ ونوس ماجاء في هذا الكتاب هو القول الفصل في ان الفراعنة عرب كما استشهد بقصيدة نشرت في « الاداب » كدليل تاريخي صادق على ماجاء في كتاب الجغرافية المذكور .

الا ان هذا القول فيه شيء كبير من الخطأ التاريخي ويحتاج الى تمحيص وتدقيق . فان كان الغرض مما جاء في الكتاب هو التوجيه القومي في تدريس التاريخ والجغرافية فيجب ان نلاحظ ان التوجيه القومي في تدريس التاريخ والجغرافية لا يعني ان نشوه الحقائق . فالامانة في عرض التاريخ اجدى على الامة وعلى القومية من التزييف والانتحال . والقول بان البابليين والفينيقيين والفراعنة والاقباط عرب قول يحتاج الى تعديل وتوضيح . فالعرب من المجموعة السامية والسامية ليست عرقا بل هي مجموعة لغوية . فلفات الشعوب المذكورة سابقا فيها الكثير من التشابه في قواعدها وكتابتها وافعالها واشتقاقاتها كما هي الحال في التشابه بين مجموعة اللغات اللاتينية . كما ان الكتاب اغفل ذكر الصرايين الذين هم من المجموعة السامية مع ان هنالك تشابها كبيرا بين اللغة العبرية وبقية اللغات السامية .

فهل يحق لنا بالاعتماد على ماسبق ان نقول ان هذه الشعوب تنتمي الى اصل واحد هو الاصل العربي ؟ وهل نقصد بالاصل العربي العرق العربي ام الثقافة العربية ام الامة العربية ؟ فان قصدنا بالاصل العربي معنى العرق فمن الثابت لدى علم الاقوام ان سكان شمال افريقيا ومصر وسوريا والجزيرة العربية ينتمون الى فصيلة من السلالة البيضاء تلك الفصيلة المتوسطة التي تتميز بصفات فيزيولوجية معينة . هذا ويجب ان نلاحظ ان نظرية العرق نظرية أثبت العلم بطلانها ، فليس هنالك أمة او شعب نقي الدم بل ان العروق البشرية اختلطت منذ عصور ما قبل التاريخ ولم يعد هنالك عرق بشري خالص . ولو اعتبرنا التشابه اللغوي رابطة قومية لامكنا ان نقول ان اليونان يرجعون الى اصل فينيقي نظرا للتشابه الموجود بين الحروف الابجدية الفينيقية والحروف الابجدية اليونانية .

ولكن علينا قبل ان نصدر حكما تاريخيا كالحكم الذي نجده في كتاب الجغرافية المذكور ان نذكر ان تلك الشعوب القديمة التي اقامت على ارض الوطن العربي الكبير كان لكل منها مميزات خاصة بل كان لكل

الشعبي» .. تحكي الملحمة الشعبية اذن الوجدان القومي العربي ، ولقد ازدهرت في اواخر الحروب الصليبية بعد ان هدأت سورة هذا الوجدان وتكاملت الوقائع في خلد ، ولذلك رأينا هذه الملاحم تصبح زادا للامة العربية كلها على اختلاف اقاليمها ولهجاتها . وليس من شك من انها تأثرت من هذه اللهجات وتلك الاقاليم بعض الشيء ، ولكنها احتفظت بجميع مقوماتها ، بل احتفظت بجميع احداثها . ورواج بضاعة المنشد المحترف يدل في ذاته على احساس المجتمع العربي بشخصيته امام المجتمعات الاخرى

وليست هذه فقرة عابرة في البحث او رأيا عفويا تسلس اليه في غفلة من الكاتب ، بحكم التناقض القائم في صميم النظرة الاقليمية الى الادب العربي ، وانما هو يشكل الدعامة الاساسية له ، بل ان كل سطر فيه يكاد ينبض بمثل هذه الروح ، وبالفهم الواعي لوحدة الفولكلور العربي ، حتى ان صديقا ادبيا علق بعد ان استمع للمحاضرة في مؤتمر الادباء قائلا : « هذه احدي معجزات عبد الناصر ! »

فالمعروف عن الدكتور انه ، كبعض ادباء الكنانة ، اقليمي في نظريته الى الادب . فالانتقال المفاجيء من رقة النظرة الضيقة الى رحاب النظرة القومية الشاملة ، والتأكيد على الجانب العربي الوحدوي في الفنون الشعبية ، كان في نظر صديقي الاديب انعكاسا للوعي بالقومية العربية التي اشعل جذوتها عبد الناصر في حنايا شعبنا العربي بمصر بعد ان ظلت خافية تحت رماد الزمن حقبة غير طويلة ..

ونحن نجد مثل هذا الاتجاه ، على نطاق اضيق ، في المقدمة التي صدر لها الدكتور كتابه « الظاهر ببيرس في القصص الشعبي » المنشور في سلسلة « المكتبة الثقافية » ، وهي سلسلة شعبية تصدرها وزارة الارشاد القومي بالاقليم المصري . فما السر في هذا التناقض ؟

لو كنا نعرف السابق من اللاحق في هذه الابحاث لامكن دون عناء ان نرسم خط التطور في اتجاه الدكتور ونحدد جازمين ، موقفه الاخير من هذه القضية .

ولو انقضت فترة كافية من الزمن بين البحثين السابقين وبين بحثه الجديد بحيث يتاح للذهن خلالها مراجعة مفاهيمه الى حد الانتقال من النقيض الى نقيضه لالتسنا له بعض العذر !

اما الامر الاول غير متيسر لنا ، والامر الثاني غير وارد ، فلا وسيلة اذن لنا الا الرجوع الى النصوص والاستعانة ببعض القرائن لازاحة الستار عن اسباب هذا التناقض .

ولنبداً ببحث « البطولة في الادب الشعبي » فهو بحث اعده الدكتور كما نعلم ليلقى في مؤتمر يحضره نخبة من ادباء العروبة . وفي رأينا ان عوامل ثلاثة قد اضطر الدكتور الى اخذها بين الاعتبار عند اعداد البحث .

واول هذه العوامل الموضوع العام للمؤتمر « البطولة في الادب العربي » ومن غير اللائق ان يتسم البحث بصيغة اقليمية تبعد به عن الروح العربية السائدة في ابحاث المؤتمر ، فان ذلك من شأنه ، وهذا هو العامل الثاني ، ان يشير عاصفة في المؤتمر قد لايقوى الدكتور على مواجهتها والصمود امام الحملات النقدية التي تواقبها ، كما حدث فعلا عندما وقف مندوب العراق الشيوعي الدكتور صلاح خالص ، باحثا عن البطولة بعد ظهور الاسلام وحتى سقوط الدولة العباسية ، فلم يجدها الا في حركة القرامطة الاعجمية التي عليها اكثر مما لها !!

والحركة القومية العربية . فالقومية العربية حقيقة حية مستمرة منذ وجد العرب حتى اليوم . اما الوعي القومي في الربع الثاني من القرن التاسع عشر - وهو الزمن الذي غزت فيه جيوش محمد علي سوريا - فقد كان ضعيفا لدرجة سيطرت عليه المصالح الذاتية والمطامع الشخصية . ولما كانت الحركة القومية هي تلك العملية التي تقوم بها الامة لتحقيق ذاتها وتعبير عن اصالتها فالحق ان الحركة القومية العربية لم تبدأ في العصور الحديثة الا في اواخر القرن التاسع عشر لما تأسست الجمعيات والاحزاب السياسية العربية التي كانت لها اهداف قومية واضحة والتي ادى نضالها الى ثورة عام ١٩١٦ م ضد الاتراك .

علي محافظة

جامعة دمشق - كلية التربية

مواقف متناقضة !

بقلم حسن جواد الجشي

لم اطلع على كتاب « الهلالية في التاريخ والادب الشعبي » للدكتور عبد الحميد يونس قبل ان اقرأ تعليق صديقي الاستاذ شريف الراس عليه في العدد الثاني من الاداب تحت عنوان « أبو زيد الهلالي والفول المدمس » ذلك التعليق الذي اثار في نفسي كثيرا من الدهشة .

ولم يكن التعليق نفسه مثار دهشتي ، فإني في هذا الموضوع متفق مع رأي الاستاذ شريف ، ولكن الذي ادهشني بل ألني ان ينحو الدكتور يونس هذا المنحى الاقليمي الضيق في كتابه الجديد ، وعهدي القريب به غير ذلك . ودعك من الاستاذ الخولي والفئة القليلة من أشياعه ممن يحاولون تفسير الادب العربي تفسيراً اقليمياً محضاً ، فهم رغم مهاجمهم المصطنعة انما ينفخون في رماد ! انهم يجذفون ضد التيار وسيطوهم حتماً في اعماقه !

ولقد شاءت الصدفة ان تصل الاداب الى يمني وقد فرغت لتسوي من قراءة كتاب جديد للدكتور بعنوان « الظاهر ببيرس في القصص الشعبي » . وكنت قبل ذلك بقليل اعيد النظر ، لهذه المناسبة ، في بحثه القيم « البطولة في الادب الشعبي » الذي ألقاه في مؤتمر الادباء العرب الرابع المنعقد بالكويت في اواخر عام ١٩٥٨ فعجبت اشد العجب للتباين الفاضح وللتناقض الغريب بين ما انطوى عليه كتابه الجديد « الهلالية ... » من آراء وبين ماورد في البحث وفي الكتاب الاخر من نظرات واتجاهات .

فهو يقول في كتاب « الهلالية في التاريخ وفي الادب الشعبي » : « .. للاسف الشديد رأينا فريقا من الباحثين عندنا لايزالون على منهجهم القديم في النظر الى رقة المتكلمين بالعربية على انها وطن واحد متجانس الخصائص والصفات ، وان الناس الذين يضطربون في هذه الرقة مقيمين ومتنقلين ، وان تبلبلت الستتهم وتباينت منازلهم وطبقاتهم واختلفت قسماثهم وملامحهم ، تضمهم ارومة واحدة ، ولم يصبهم في طرائق الفكر والشعور تبدل او تحوير خلال العصور والاجيال . فأثرنا ان نتابع طريقنا في التمكين لهذه الفكرة الاقليمية من ناحية ، والعمل على مسيطرة النهضة القومية الديمقراطية من ناحية اخرى .. »

ولنقرأ بعد ذلك هذه الفقرة المنقولة من بحثه « البطولة في الادب

مجانلة وتكلف ، وكثيرا ما يكون فيها حمل للنفس على غير ما تهوى
او تعتقد .

ثم ما الذي جعله يزج بالديمقراطية في هذا المجال الادبي ؟ الا تلاحظ
معي انه يرمي الى ان يجعل منها ستارا لارسال القول بفض النظر
عن آثاره الاجتماعية ، وذريعة لتحريف معاني التراث الشعبي العربي
ومبرا للتفسير الاقليمي للادب باسم حرية الفكر والتطور ؟

ان هذه الاقليمية الادبية وما تنطوي عليه من اخطار في هذه المرحلة
الحاسمة من كفاحنا المير المسؤول ، لاعادة بناء امتنا وايقاظ وعيها
وجمع شتاتها وتخطيط طريقها الصاعد ، لاتقل في عواقبها عن خطر اخر
يعكسه موقف الدكتور يونس من هذه القضية ، واعني به خطر « التفاق
الثقافي » .

ان الكلمة رسالة ومسؤولية ولا سيما اذا صدرت عن رجل يتبوأ مركزا
من مراكز الفكر والتوجيه . وهذا الوعي لقيمة الكلمة .. لرسالتها ، وما
ينشأ عنه من التزام داخلي ، يضعنا وجها لوجه امام مسؤولية ردود
الفعل التي تثيرها حولها . وفي هذا الضوء نحدد موقفنا ونفاج عنه
بشبات وصراحة . وبذلك نتيج للآخرين ان يحددوا موقفهم القاطع منا ،
تأييدا او معارضة . وهكذا يسير الجميع في وضوح وعلى دراية بالغايات
والاهداف .

اما الانفصال عن الموقف الاصيل للفرد ومحاولة الالتصاق بمواقف
مفتعلة تبعا للظروف الطارئة ، ففيه اهدار للقيم الفكرية وهروب من
المسؤولية وتنصل من تبعة الرأي .

حسن جواد الجشي

الكويت

دار الطليعة للطباعة والنشر

تقدم

كاليغورا

آخر ما كتب (قصص) (لوهدي)

البير كامو

قال عنها النقاد:

انها الوحيدة بين مسرحيات
كامو التي تصور كل
فلسفة العبث والوجودية

فريدي

ازاحته انه تفهم فلسفة كامو فافرا كاليغورا

اما ثالث العوامل فهو ان الدكتور عضو في وفد الجمهورية العربية
المتحدة التي تدب بوحدة الوطن العربي وتحارب كل الحواجز المصطنعة
التي تمزق شمل هذه الامة ، ملحة على وحدة التاريخ والمصير لهذا
الشعب المترامي من المحيط الى الخليج .. فهل يجوز للدكتور ان
يتحدى مبادئ الدولة التي جاء ضمن وفدها ، فيعلنها اقليمية شعواء ؟
ذلك ماسعى الى اجتنابه !

ويكاد مثل هذا القول ان ينطبق على كتابه « الظاهر ببيرس في
القصص الشعبي » ، فقد صدر عن وزارة الارشاد في الاقليم الجنوبي
للجمهورية العربية المتحدة كما ذكرنا ، وفي سلسلة شعبية تصل الى
ايدي عشرات الالوف من القراء العرب في مختلف اقاليمهم وعلى مختلف
مستوياتهم الثقافية ، فالتفسير الاقليمي للقصص الشعبي في مثل
هذه الملابس فيه شيء من العسر ان لم يكن متعذرا !

يقول الدكتور في مقدمة كتابه « الظاهر ببيرس في القصص الشعبي »
بعد ان اشار الى السير الثلاث على الترتيب التالي : سيرة « بني
هلال » وسيرة « عنترة بن شداد » وسيرة « الظاهر ببيرس »
« ... والملحمة الاولى اشهر الثلاث ولا تزال باقية مرددة في البلاد
العربية الى الان ... » ومعنى ذلك انها اقرب هذه السير الى الروح
العربية ، كما اكد ذلك صراحة في « الهلالية في التاريخ والادب
الشعبي » عندما قال « تعد سيرة بني هلال من ادوع القصص الشعبي
في هذه البيئة المتأثرة ببيئتها الاولى التي انشأتها » ويعني بها البيئة
العربية طبعا .

فاذا كان الدكتور قد بذل جهودا مفضية لتأكيد اقليمية سيرة بني
هلال ومسايرة خطوطها « للروح القومي المصري من ناحية وللفلسفة الحياة
التي درج عليها المصريون في جميع عصورهم من ناحية اخرى » على
حد تعبيره ، وهي العربية الطابع والنشأة باعترافه ، أفما كان الاحرى
به ان يحاول ذلك في سيرة الظاهر ببيرس ، ومصر تشكل الجزء الاهم
من مسرح الحوادث فيها ؟

لا شك ان الملابس التي احاطت بكتابة هذه السيرة ونشرها
هي التي حالت كما اوضحنا سابقا دون هذه المحاولة ، تماما كما حملت
هذه الملابس الدكتور على اصطناع منهج قومي في النظر الى ملاحظنا
الشعبية في مؤتمر الادباء العرب دون ان يصدر في ذلك عن عقيدة او
اقتناع !

اما كتاب « الهلالية في التاريخ والادب الشعبي » فلم يقتزن نشره
بأي عامل من العوامل السابقة ، فهو لم يظهر في سلسلة شعبية ، ولم
تشرف على نشره جهة عربية رسمية ، كما انه لا يمثل وجهة نظر جماعية ،
فهو اذن كتاب للخاصة . ولذلك ارسل الدكتور نفسه في صفحانه على
سجيته ، ووجد فيه مجال القول واسعا للتعبير عن آرائه التي يؤمن
بصحتها ، معتبرا ابعائه التي اضطر الى المجاملة فيها ، حسب تفسيرنا
للموقف كله ، وقوفا عن السير في طريق دعوته الاقليمية ، بدليل ماورد
في الفقرة السابقة التي نقلنا جزءا منها في اول هذا التعليق والتي
يقول فيها « ... فآثرنا ان نتابع طريقنا في التمكن لهذه الفكرة
الاقليمية من ناحية والعمل على مسايرة النهضة القومية الديمقراطية
من ناحية اخرى » .

فهو يؤثر متابعة طريقه الاقليمي ، والابشار لا يتم الا عن قصد وروية
وهو يمكن للفكرة الاقليمية ، والتمكن ينطوي على الايمان والاصرار . اما
النهضة القومية فهو يكتفي بمسايرتها ، والمسايرة قد يكون فيها

بين شكري وبدور

بقلم سعد صموئيل

يقول الأستاذ غالي شكري في مقاله « محاولات سيكلوجية بين فرويد وبافلوف » (١) ان الوضع التاريخي لسلامه موسى كان يحتم عليه ان يكون ابا للنظرة العلمية في ميادين الفكر العديدة . ولا شك ان النقد الادبي هو احد هذه الميادين التي خاضها سلامة في حدود امكانياته التاريخية . ولكن مرحلته ما كانت تتحمل الافاضة العميقة في كل موضوع طرقة بنظراته الموضوعية الجديدة للحياة . لذلك كانت جهوده الادبية ، تتسم بطابع شعبي سريع بعيد تماما عن المعالجة الاكاديمية المتخصصة . اما المرحلة التي تلت سلامه ، فان ابرز من يمثلها في رأيي ، هو الأستاذ محمد مفيد الشوباشي ، وان تميزت مرحلته بالتخصص والتعميق والافاضة والتركيز (٢) . ثم اقبلت حركة محمود العالم وعبد العظيم انيس في خط مواز لجهود الشوباشي ، لترتبط اكثر واكثر بالنهج العلمي العظيم في بحوثها التقديمية ودراساتها .

وفي تلك الفترة كان هناك جيل جديد من الابهاء الشباب ، لا تصاحبه حركة تقديمية مثبقة من اعماقه هو ، ومسلحة في نفس الوقت بنظرة علمية واضحة الملامح . الى ان بدأنا نقرأ للأستاذ غالي شكري ، واحسنا بمنهجيته في عمق ، جعلنا نؤمن بانه خير من يمثل النهضة الادبية الجديدة في مجال النقد الادبي . بل لعلنا نلتزم الدقة في التعبير اذا قلنا انه الناقد الوحيد - من بين نقادنا المحدثين - الذي ينهج فسي دراساته وبحوثه نهجا علميا خالصا ، بالمعنى الايديولوجي الصادق لهذا المنهج .

كان لابد من هذه المقدمة السريعة ، لتحديد نقطة انطلاق غالي شكري ، اذا ما طرحنا للبحث احد مقالاته . فان ورطة السيد علي بدور الحقيقية في رده على مقال « دفاع عن محمد » هو جهله بهذه النقطة . ومن هنا لم اكتشف انا كقارئ ، معنى واحدا من المعاني العجيبة التي نجح هو في اكتشافها من ثنايا المقال . ولنستعرض معا ما يقوله غالي شكري في هذه القضية (٣) :

١ - يقول انه بسبب النظرة الرومانسية التي لازمت المصريين فسي رؤيتهم لمأساة كفاحهم مع الدولة العثمانية « تبلورت الوطنية المصرية عند مفكرينا في بحث التاريخ الفرعوني .. لا بقصد الدراسة التاريخية العلمية ، وانما بهدف استعادة المجد التليد الى مخيلة الجيل الحديث . ولسنا - على التو - انشغال الابداء واهتمامهم بهذا الماضي .. حتى جرفتنا هذه العناية المفرطة بالاكفان ، الى ان نهمل الاسباب الجذرية ، وهي ان مصر تئن تحت سيطرة الدولة العثمانية . وكان « الماضي » اذن بمثابة المحذر الذي ائمل عيوننا عن جوهر المأساة »

اعتقد ان هذا الكلام - الذي نشرته الاداب - قد كتبه غالي شكري باللغة العربية ، بالتالي اعجب ممن يتعامون ولا يقرأون انه وصف « بحث التاريخ الفرعوني » - في ذلك الحين - بانه مخدر وعناية بالاكفان !!

(١) راجع مجلة « العلوم » اللبنانية ، عدد يناير ١٩٦٠

(٢) راجع اعداد مجلة « الثقافة » المصرية .

(٣) راجع « فرعون من جديد » - غالي شكري - الاداب - عدد

مارس ١٩٦٠

في ذلك الحين ، كان طه حسين يفتح عقيرته على اخرها قائلا انه ليس هناك خيط واحد يربطنا بالبلاد العربية . وكان سليم حسن يكتب عن الحضارة الفرعونية كأم لحضارات العالم . فاذا اتى غالي شكري ليقول ان تلك المحاولات كانت رومانسية مخدرة تبث الاكفان ، قلنا انه فرعوني ، اما الباقون ، فهم الابهاء الشرعيون للحركة العربية .

٢ - يقول الأستاذ غالي شكري ايضا عن مرحلة الاستعمار الانجليزي لمصر ، ان الدعوة القومية حينذاك كانت اكثر وعيا ، « فقرانا القصص الانساني الذي يتخذ من اجدادنا خامة فنية يصور بها الام حاضرا ومشكلات عصرنا » وهو يقصد بلا شك اعمال نجيب محفوظ (١) وعادل كامل (٢) وغيرهما من استلهموا التاريخ الفرعوني في معالجة قضايا عصرية . فاذا رأينا اداب العالم كله تقترب من اساطير الاقدمين ، لاستطعنا ان نرى في محاولات ادبائنا امرا طبعيا ، يدلنا على طبيعة المرحلة التاريخية التي كنا نعيشها .

٣ - ثم يقول غالي شكري بوضوح « ما اخناون الا رمز لفكرة التوحيد . وليس هناك مذهب او فلسفة في العالم الفرعوني حتى يمكن اعتناقها » . وهكذا لا يبقى امام كل ذي عينين وعقل ، الا ان يقرأ ويفهم !

اما الأستاذ بدور فاني اخذ عليه شيئا هاما في البداية ، وهو انه رغم ايمانه بان القضية المطروحة اكبر من هذا الكاتب او ذاك ، فانه في واقع الامر ينزل المناقشة الى مستوى الخصومة الشخصية ، فتجيء كلماته خالية من الموضوعية مليئة بالنكات والدم الخفيف . وليس هذا بأكثر اهمية من العناصر التي تؤلف فيما بينها منهجه في الكتابة . وهذه العناصر ، كما اراها ، هي الاستعداد ، والارهاب ، وما يسميه فولتير بالجهل النشيط .

انه ، مثلا ، يقول « لا أومن بأي سلاح يشهر في وجه من حمل قلما يدافع به عن فكرته » فتحس انه رجل حر يؤمن بالحرية . ولكنه ما يلبث ان يقول مخاطبا غالي شكري (٢) « .. وانت لست الوحيد الذي يدعو للفرعونية بأكثر من اسلوب .. رغم وضوح رأي اكبر راس في الدولة .. في مسألة الفرعونية » ولا افهم ماذا يكون ذلك ان لم يكن استدعاء صريحا مقصودا ، سرعان ما يقتضح حين يستطرد « وانا لم استشهد به ، لاعتقادي انه لم يحن الوقت لذلك (كذا !!) اما الان ، والسلطات في رأيك تنصب المشاقق (!!!) ، فاني اريد ان ادلك على الطريق .. الخ » . ومرة اخرى لست افهم ماذا يكون ذلك ، ان لم يكن ارهابا رهيبا !

لقد اثر الأستاذ ان يدخل السلطات طرفا في الخصومة الى جانبه (واذا كان سلاحه القلم ، فللسلطات اسلحة اخرى !!) وبني مقاله كاملا على مرجع واحد هو الخطب السياسية ، وطالب وزارة التعليم بمراجعة كتاب الدكتور لوقا ، وهدد هذا بأن ينفي عن كتابة هذه « الشبهات » والا .. ! ثم وضع مقاله عنوانا هو (فصل الخطاب) !!

.. وبعد ذلك يتوهم - وله العذر - انه حر ، ويؤمن بالحرية .

اذا انتقلنا بعد ذلك الى ما يسميه فولتير بالجهل النشيط ، رأينا صاحبنا يتمتع بقدر كبير منه . فاننا بعد ان وجدناه يستند على

(١) راجع « كفاح طيبة ، عبث الاقدار ، رادوبيس »

(٢) راجع « ملك من شعاع » وهي بحكي بورة اخناون الروحية .

(٣) راجع « فصل الخطاب في الفرعونية » - الاداب - عدد ابريل

سنة ١٩٦٠

الخطب السياسية كمرجع يتم لكلماته ، نجده يقول بصراحة يحسد عليها : « ولا يمكن لنا ان نصدق كلاما اخر يقوله اي انسان » والحق ان هذه الجملة اكبر من التعليق عليها !

ثم يقول « ان العروبة عندما صبغت المنطقة بالصبغة العربية ، وضعت على رف التاريخ القديم كل امجاد الفراعين ، ودفنت الى الابد عربية رمسيس الثاني .. ان مصر العربية لا تعترف بامجاد اي فرعون ممن امنتحى الى رمسيس الثاني » .

وانا لست دهشا من هذا « الجهل الشيط » ، بعدما اتضح المستوى الرهيب الذي يتحدث به هذا السيد .

ففي الوقت الذي تنادي فيه حكومة القاهرة ، العالم ، بان يساهم في انقاذ اثار النوبة ، وفي الوقت الذي توجه فيه هذه الحكومة صرخاتها الى متاحف الدنيا لاعادة عصا توت غنج امون ان وجدت . في هذا الوقت يقول الاستاذ الاديب هذا الكلام . ولعله سيفاجأ باسف شديد حين يعرف ان عربية رمسيس الثاني بعثت من جديد ، فقد اختارت حكومة القاهرة اسم « رمسيس » لاول عربية من انتاج المصانع المصرية ! . ورغم ذلك ، فاني اجد ا لاستاذ منطقيا جدا مع نفسه ، مادام كفره بالحضارة الانسانية في بقعة من الارض ، وفي زمن ما من التاريخ ، بلغ هذا الحد المزعج ، حتى انه يردد في تعجب مزر « ان كان ثمة حضارة واثار » ، و « ان كان ثمة قيم » .. فيصبح هذا التشكيك في معالم التاريخ الحضاري للانسان هو هدفه الوحيد . ولذلك تراه يقول « امنوا بتاريخ مصر العربي اولا ، وتحدثوا عنه ، واستلهموا ابطاله وعباقرته ، ثم تحدثوا عن اخناتون وابي الهول كما تشاءون ، اما ان تبدأوا من المؤخرة لتطمسوا المقدمة فهذا الذي نحارب ما حيننا » .. وليفسر لي سيادته ما يمكن تسميته بغثائي . فاني لا افهم تاريخا اناسيا منفصلا عن بعضه على هذا النحو . وربما اتضح ذلك اكثر حين يقول « الحقيقة ان مصر مصران : مصر القديمة التي اذاب شخصيتها الفرس واليونان والرومان ، ومصر الجديدة التي كونت العروبة شخصيتها . وليس بينهما اتصال سوى الارض ... فتاريخ المنطقة كله اذن تاريخان ، تاريخ قديم متنافر مختلف ليس للعروبة علاقة به على الاطلاق ، وتاريخ حديث حي ، هو تاريخ الامة العربية » . وهذا لعمرى ، تقسيم جديد للتاريخ ، احسد صاحبه على الجرأة في اعلاؤه . ولنذهب مع سيادة المؤرخ المبقرى الى بعيد حيث يقول « ليس في التاريخ العام نص واحد ، يدل على انه كان لمصر وقت ذهاب المسلمين اليها شخصية دولة او كيان حضاري واضح » !!

واذا كانت الشعوب تنعثر في طريقها الحضاري الى حد ما ، اذا ابتليت بغزو او استعمار ، فان هذا لا يمحو كيانها الحضاري وشخصيتها المتميزة .. والا فيمكن القول بان العالم بأسره لا يملك ناحية حضارة انسانية واضحة ، لان شعوب الارض جميعا ، اصابها الرزء يوما على ايدي الغزاة والمستعمرين .

ثم تأتي بعد ذلك ، بضع جزئيات تتصل بالموضوع ، اثارها الاستاذ يعود بغير ان يكون الاستاذ غالي شكري قد ابدى فيها الرأي .. فقالي شكري لم يناقش ابدا مشكلة انتشار الاسلام في مصر او المسيحية في الاندلس . لان هذه كلها آراء تعصب للاديان السماوية ، التي ينظر اليها غالي شكري من زاوية علمية تجرده من التعصب ، وتجعل هذه

(١) راجع « عندما تدافع الفرعونية عن لحن » - الاداب - عدد

فبراير ١٩٦٠ .

المرثيات امام عينيه كظواهر تاريخية .

ومع ذلك ، فهناك عدة نقاط يعنيني مناقشتها . كان السيد بدور فيما مضى (١) يؤكد ان المصريين عرفوا اللغة العربية قبل الاسلام . ولكنه عاد بتواضع ، ليقول بالحرف « فلما انتشر الدين الاسلامي ، انتشرت اللغة العربية » . ثم يفرق من جديد ، بين العرب والمسلمين من ناحية اتصالهما بمصر . والبدييات تقول ان الذين نشروا الاسلام في مصر هم العرب ، وكان يقودهم رجل عربي هو عمرو بن العاص ، الذي ارسل الى عمر بن الخطاب بالمفاجأة التي كانت تنتظره ، فقد دخل المعريون في الاسلام ، وماتت الجزية !!

والغريب جدا في الامر هو قوله « .. والفكرة الاساسية التي اريد ان اقولها هي ان المسلمين الذين دخلوا مصر لم يكونوا جيشا فاتحا ، بقدر ما كانوا جيشا من المعاة للدين الجديد ، استوطن افراده البلد ونشروا لغتهم وعاشوا في تآلف مع اخوانهم الاقباط ، وطبعوا البلد بطابعهم العربي دون اكراه او ضغط » .. بينما هو بعد اسطر يصف الذي حدث قائلا « فمن شاء ان يبقى على دينه دفع الجزية ، ومن دخل الاسلام اعفى منها ، (ونسي ان يضيف ان من رفض الاثنان قتل) ولا اعتقد ان هذا الحل مناف للعدل » . وسؤالي اذن هو : اذا لم يكن الجيش الاسلامي جيشا فاتحا غازيا ، فكيف تسنى له القبض على مقاليد السلطة ، حتى انه يخير اهل البلد ، بين ثلاثة اشياء ، ايسرها الدخول في الاسلام ؟؟ اهذه حقا وسائل جيوش التبشير ؟

انني ما كنت اود اثاره هذه النقطة لانها دينية ، والتعصب الديني والنعرات الطائفية جميعها ، حان لها ان تموت .

اما التعريف الجديد الذي أتى به للعروبة فهو « ان من يتكلم هذه اللغة العربية ، واعتبرها معبره عن احاسيسه ووجدانه « نسي ان يسأل نفسه : (هل تنشأ الاحاسيس والوجدان من العدم ؟) ، واندمج في الحياة الجديدة التي انطبعت بالطابع العربي بعاداتها وتقاليدها ومقومات حضارتها وتراث فكرها الاصيل ، اضحى عربيا بمقومات وجوده الانساني اولا ، وبمقومات وجوده القومي ثانيا ، وبمقومات وجوده الوطني ثالثا . فهو انسان عربي تجاه العالم ، وهو قومي عربي تجاه الامة ، وهو عربي وطني تجاه الدولة » ... وصدفني يا عزيزي ان تعريفك هذا في حاجة الى الترجمة الى اللغة العربية حتى يمكن فهمه . فما انت اعطيتني تحديدا واضحا حاسما لمعنى القومية ، او الامة ، او الشعب ، حتى نستطيع محاجتك . وما فهمته حقا هو قولك ان الجمهورية العربية لم تنص في دستورها المؤقت على دين للدولة (رغم وجود دول تقدمية جدا في اوربا وامريكا لا تزال تنص على دين معين للدولة) . وهنا تبلغ يا صديقي الذروة فيما دعاه فولتير بالجهل الشيط . والا فاني اسالك : من هي الدول التقدمية التي تنص في دساتيرها على دين للدولة ؟ ان الدول التي تعنيها هي اعظم الدول تخلفا من هذه الناحية ، واشدها رجعية . اما الدول التقدمية فعلا ، فهل تلك التي ترى الدين من وجهة نظر علمية ، لا تملك الدولة اذاعها من تركه الاديان في علاقتها بالبشر .

واخيرا اعتذر ، اذا كنت قد استعطرت ، او جاء حديثي مبعثرا ، فنقاط البحث نفسها مبشرة .

ولعل الخطأ الذي اخذه بعنف على الاستاذ غالي شكري هو غلطة باب المناقشة من جانبه ، بينما الكاتب اذا اثار قضية ما ، فعليه حينئذ ان يقف في الميدان الى النهاية .

سعد صموئيل

كلية الاداب - جامعة عين شمس

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

لرسل الاداب محيي الدين محمد

مشاكل الجنس الآخر ...

★

اختتمت في القاهرة اجتماعات اللجنة التحضيرية التي تعد لمؤتمر المرأة الذي يبدأ في ١٥ سبتمبر القادم . والدول المشتركة بالمضوات العاملات هي : فلسطين . لبنان . كوريا . الاتحاد السوفيتي . زنجبار . اندونيسيا . الجزائر ، الصين ، السعودية ، ايران ، الهند ، اليابان ، افغانستان ، الكامرون ، الحبشة ، الجمهورية العربية المتحدة ، السودان ، عدن .

وبدأت المناقشات لوضع الخط الفكري للمؤتمر القادم ، وانقسمت وجهات النظر بين الشرق المتحرر الناهض ، والشرق الجامد الخامل . والغريب ان من ممثلي الشرق الجامد ، دولتان تتزعمان القوى الانبعاثية الرامية الى التحرر ، والى السلام ، والى عبادة الحياة . فهل من تفسير لهذا التناقض ؟ ان الدولتين هما الجمهورية العربية المتحدة ، والهند .. ودولة ثالثة ما زالت مدفونة تحت السجاجيد المعجمة الفاخرة ، وهي ايران .

ارادت الدولتان ان يكون المؤتمر تعبيرا عن وجهة نظر المرأة في المسائل الاجتماعية والاقتصادية ، وجميعيات الهلال والصليب الاحمر ، والحفلات النسائية التي تقيمها الجمعيات الارستقراطية ، كالمرأة الجديدة ، وتحسين الصحة ، والجمعيات الاخرى التي لا تفعل شيئا سوى اقامة بعض حفلات الكوكيتل تدعو اليها بعض رجال المال ، ثم يدور الحديث الهامس بمصاحبة بيانو خافت .. كل ذلك من اجل الفقراء والمسلولين .. وما اسعد حظ هؤلاء المساكين ! اذ يكفيهم ان يكونوا في لحظة ما ، موضوع تفكير في اذهان السادة ، وطبقة الفراء .. ما اسعد حظهم !

وكان في الجانب الاخر مندوبة الاتحاد السوفيتي ، والصين واليابان ، وقد عبرت مندوبة الصين عن خيبة املها عندما صدمت بالاتجاه لمدم بحث مسائل حقوق المرأة السياسية ودورها في الكفاح الوطني ، ومسالة اللاجئين الفلسطينيين ، ومسالة النسوة اليابانيات اللاتي يكلفن ضد معاهدة الامن المشترك بين اليابان وامريكا ..

فهل لم يحن الوقت بعد ، لمعرفة ان المرأة تملك نصف العالم مشتركة معنا ؟ . وهل ما زلنا حقا نعتبر المرأة جزءا لا يتجزأ من الحريم ؟ . هل صحيح اننا نعيش الان في عقلية الجاهلية ، حين كانوا يعاملون المرأة على انها مصيبة علوية ، وعلى انها مخلوقة لا فائدة منها ، ولا تنفع الا في الانسال ؟ هل صحيح هذا ؟

واذا كان ذلك صحيحا ، فلماذا نتناقض ونسمح لها ببعض الحريات ؟ لماذا لا نعيدها قسرا الى الحريم ، ونكفنها بالحجاب ، ولا نسمح لها بالخروج الى الطرقات ؟ لماذا لا نعيد النظام العباسي والعثماني للنساء مرة اخرى الى شرقنا ، ما دمنا حتى نهاية القرن العشرين ، نفكر في ان المرأة ما زالت نصفنا منزليا ، كالبوتاجاز ، ومفرمة اللحم ؟ ان التطور يستحيل ان يكون كاملا ، اذا لم تكن كل العناصر فسي

المجتمع مؤمنة به ، ومستجيبة باقتناع الى خطه القصدي ، ولنلاحظ ان حرية المرأة ليست هي الكشف عن الوجه والاذرع والظهور القبيحة ، وليست هي الثروة عن جيمس ميسون ، واخر اغنيات بات بون ان التطور هو انمطاف كلي من حياة الحريم الى المشاركة في حياة الرجال نفسها . الانتقاد في التيار الذي يجعل من الرجل هذا المخلوق الحاكم الجبار ، الذي يدخل البيت كأنه يدخل مكانا يملك فيه كل شيء يتكلم من انفه ، ويريد حذائه في الصباح نظيفا ، ويمنع زوجه ان تنظر من النافذة ، ويرفض لها ان تظهر « على احد غيره .. » ويحرم عليها كل ما يبيحه لنفسه .. (X)

هل يصيب الفبار الذي المتخلف عن قنبلة فرنسا ، الرجال فقط ؟ هل لا تنطبق نصوص معاهدة الامن المشترك المذلة بين اليابان والولايات الامريكية ، الا على الرجال وحسب ؟ ! فلماذا اذن يمنع المؤتمر عمن الخوض في هذه المشاكل الحيوية التي تعيشها النساء ايضا ؟ .

ان (يوسف السباعي) الكاتب الذي يدعو نفسه تقديما ومثقفنا وواعيا ، واشرف على مجلة ادبية (!!) هو الذي يود للمؤتمر ان تصبح عضوانه (دادات) ، وان يصفين بالثورة الكامنة في مطالبهن العادلة ، في سبيل ان يكون للمؤتمر القادم وجه حلو يخلو من الخلافات والتقييدات ..

يا يوسف يا سباعي .. بل . يا شرق . يا شرقنا العربي .. لا نخجلنا !!

فرقة رضا للفنون الشعبية :

ان الجهد المخلص المتواصل ، لا بد ان ينتهي الى نتائج في صالح الوطن والشعب والجيل القادم . تقدم فرقة رضا على مسرح نقابة المهن الهندسية عددا من اللوحات الشعبية تحمل عناوين : حدوة الناي السحري . حرامي القفة . خمس فدادين . العرقوس . رقصة الوحدة . الحب في كفر البلاص . نبين زين . ذكر . المجاذيب في ليلة الاحد . فانوس رمضان .

والفكرة في اللوحات التي تقدمها هذه الفرقة هي محاولة تطوير الرقصة البلدية ، والتعبير عن الروح الوطنية لابناء البلد ، في اغنياتهم ومشاكلهم ، وسعاداتهم وغرامياتهم . وكلنا يعرف طبعاً ان الرقص المسرحي يحتضن فنونا كثيرة تشترك مع الخط الرئيسي وهو الرقص ، وتندغم فيه لتؤلف ، كاطارله ، حشدا من الخصائص توصل الناظر الى منتهى الاندماج الفكري والنفسي والاخلاقي ، مع العصب المتكامل للرقصة . كلنا يعرف ذلك ، ويعرف ايضا ان اي اختلال وتباين في هذه الملونات

(X) ماذا افعل لشقيقتي الصغرى .! : عندما ارتدي ملابس ، تنظر الي في حسرة ، كل مرة ، ثم تقول : يا بخت الرجال .. ان كل فتاة في شرقنا العربي ، تقول كذلك : ما اسعد الرجال .. انهم يخرجون ويدخلون ويعيشون .! فهل بعد ذلك نجرؤ ان نصيح : ان البنت العربية فاسدة .. انها تخرج على الوضع والتقاليد .. انها . انها . وننسى - نحن الرجال حكماء - اننا بسجننا لا نفعل الا بزيادة ثورتها ضراما ! اننا نخشى ان تتحول ثورتها الشريفة الى نكسة عكسية ، ولذلك نطالب بمنحها حقوقها كاملة لا تنقص ذرة .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

يعطينا رد فعل عكسيا ، قد يؤخر فرصة اكتشافنا للابنية القوية فسي الملامح الاخرى للرقصة ..

وسوف اعرض تفصيلا للمآخذ الهامة على التكوين الفني في جملته :
١ - الموسيقى :

حاول المؤلف (١) على اسماعيل ، ان يوفق بين بعض الرقصات ، والالحان المقدمة ، فاخذ يقبس من هنا وهناك ، حتى ضاعت الانغام في محيط من التشتت والتقطع . صحيح ان التوافق والاداء كانا موفقين للغاية ، بيد ان ضياع ملامح اللحن في هذه السركات المتوالية من عبد الوهاب ، وسيد درويش ، والسنباطي ، والاغنيات الشعبية ، كان يطبع اللوحات بطابع اللامبالاة والتفريط ..

والمطلوب هو بالطبع ، تجنب السرعة في اقتباس الالحان ، ومحاولة تأليفها ، ولا يمنع ان يكلف بعض المؤلفين الموسيقيين بوضع الحسان توافق اللوحة المقدمة . ولما كان ذلك يتكلف معارف اكثر ، مع ملاحظتنا لفرقة الفرقة ، فسوف نفرد لذلك بندا خاصا .

الطابع العام للموسيقى المقدمة ممل للغاية ، ومتكرر . ولولا المحاولات القوية للراقصين ، وطواعيتهم الفائقة ، لاصيب النظرة بخيبة امل مرة .
ب - الديكور :

عرضت جميع اللوحات بدون ديكور ، وهذه مسألة محيرة للغاية . السبب الذي افقد اللوحات جو التاهيل النفسي ، وظهور المسرح ، مسرحيا للغاية ، وزاد من هذا الشعور ، اهتزازات الستار الأزرق ، وملامسته لايدي واجساد الراقصين . معظم الادوار تجري حوادنها في الريف ، فهل غاب عن القائمين بامر الفرقة مدى اهمية وجود منظر صغير لبعض النخيل والنازل الريفية ؟ في منظر من اللوحة الاولى يحاول المخرج ان يجعلنا (نتخيل) رجلا يشدون مركبا بالبحال ... لماذا لا يعين الديكور الخيال في ذلك ؟ ان اي رسام يمكنه ان يخلق ديكورا حسنا بمبلغ صغير .. فلماذا لا تستكمل الفرقة ادواتها بفعل ذلك ، او بشراء ديكورين قديمين من دار الاوبرا او مسرح الازيكية ؟

الديكور هو فن السيطرة على حس الناظر بالانخداع . فالناظر ينتاع تذكرة ، علما بأنه يدخل مسرحا يمثل فوقه ممثلون محترفون ، ولذلك فهو يقبع في لاهساسيته وادراكه للخدعة ، واتفه خطأ او تجاوز صغير ، يمكنه ان ينمي فيه هذا الادراك ، فتفقد الرابطة بينه وبين ما يدور على المسرح كلية .

ج - القصة :

لا وجود للقصة ، وهذاعيب اللوحات الاساسي ، فالاهتمام موجه الى الكوميديا والى الالتباس والغرابية اكثر منه الى التطوير والتثقيف .. ويبدو ان العيب الرئيسي للفرقة هو موضوع الاختصاصات ، والظاهر ان محمود رضا ، يقوم بنفسه بوضع اللوحة وتنظيم الرقصة والاضاءة ، ثم تنفيذ ذلك ، وعمل تصميمات الملابس .

اللوحة الاولى تبدأ بعرض غنائي ، دون ديكور : فتى ريفي يحب فتاة ، ابوها هو العمدة ، وهو غير راض عن هذه العلاقة . الفتى يحصل على

مزمارة سحري تستطيع انغامه ان تجعل اي مخلوق يرقص . العمدة يفاجمها يرقصان ، فيثور . يخرج الفتى مزمارة ويوقع عليه ، فيرقص العمدة ، ويرضى عن علاقة الفتى بابنته .. القصة كما نلاحظ ، تافهة للغاية ، ولكن الاداء في مجمله ساحر ، والروح الكوميديية تظهر كي تغلب الحس والواقع ، الذي يبدو ان الفرقة تتجاهله كلية .. ان المفروض ان تعهد الفرقة الى قاص محترف له دراية كبيرة بالفنون الشعبية ، يضع قصصا صغيرة يمكن لها ان تكون هادفة في حد ذاتها ، لا ان تصبح مجرد عرض تافه لاغنية او ترنيمة ..

د - الموارد والامكانيات :

الفرقة فقيرة ، ورغم ان جمهورها هو الطبقة الوسطى والاستقرائية ، ورغم ان اسعار الدخول توازي اسعار دار الاوبرا « ٦٣ قرشا - ٥١ قرشا » ولكن الظاهر ان تأجير مسرح فخم ، واستعارة بعض افراد الكورس من الاذاعة ، وتسخير كل هذا العدد من الموسيقيين ، والعناية بالملابس والاضواء ، عدا المرتبات والضرائب .. كل هذا يجعلنا نعتزف بان ارتفاع ائتمان الدخول متفاض عنده . ويجعلنا ايضا ، نطالب وزارة الثقافة ان ترفع هذا الجهد الفردي ، لا ان تشرف عليه ، وان تقدم اعانة للفرقة ، لتتمكن من مواجهة الابعاء الثقيلة للمقاة على كاهلها . فالاعانة سوف تحل مشكلة تأجير المسرح ، ومشكلة السماح للطبقة الفقيرة ان تجد وجهها وذاتها في الاعمال الفولكلورية المقدمة ، وسوف تسمح ببروز فن الديكور الذي يقتله هذا الفقر المعاني منه ..

مؤسسة فرنكلين بمصر وببيروت

تقدم

ق.ل

- ٥٠٠ النقد الادبي ومدارسه الحديثة جزء ثان
- ١٠٠٠ لبنان في التاريخ للدكتور حتي
- ٧٥٠ مناهج البحث في علم النفس - لاندروز
- ١٦٠٠ تاريخ العلم جزءان
- ١٥٠٠ تاريخ سوريا ولبنان
- ١٠٨٠ مجموعة الكتب العلمية المبسطة ١٠ اجزاء
- ٢٥٠ كيف تدور عجلة الحياة
- ٧٠٠ القافلة قصة الشرق الاوسط
- ١٦٠٠ ميادين علم النفس جزءان
- ٥٠٠ ادارة الناس فن

تطلب هذه الكتب وسواها من الوكلاء العاملين

دار الثقافة ص.ب ٥٤٣ بيروت

النشاط الثقافي في الوطن العربي

والهمة التي نود ان نلفت اليها النظر ، هي ضرورة التفكير جديا ، بمسح الريف جميعه فولكلوريا ، وان تتكفل بذلك لجان من الشباب الدارسين تجوب الارض المزروعة والصعيد والنوبة والواحات القريبة والشرقية ، حاملة اجهزة للتسجيل ، على ان يصحب كل مجموعة من اللجان ، مؤرخ يعتمد عليه ، يعمل مراجعا ومحققا لاصول الاغنيات ونصوصها ، ويمكن لطلبة كلية الاداب في قسم التاريخ ، والاقسام الاخرى ان يساهموا في ذلك ، بدل هذا الانكباب المذل على وظائف الكتبة ، حيث يموتون افندية وجهاء ذوي كروش متهدلة . ان النتائج يمكن ان تكون اكثر مما تحصى :

- ١ - تكوين ارضية ثقافية واسطورية وموسيقية قوية للمستقبل .
- ٢ - عدم السماح للزمن بطمس هذه المعالم العظيمة .
- ٣ - الاغتناء ، الان ، بالاحاسيس الشعبية في اصولها وتلفايتها .
- ٤ - امكانية تطوير الاغنية الشعبية ودراستها .
- ٥ - كتابة تاريخ الشعب المصري مكتملا من الناحيتين السياسية والاجتماعية .
- ٦ - اغناء الاذاعة والتلفزيون بالواقع الاصيل ، بدل هذه الفواجع المصممة التي نظرت الى الاستماع اليها
- ٧ - المقارنة بين الفنون الشعبية في الريف والصحراء والنوبة ، لبيان اثر العزلة والتجاهل والقتل الجماعي التي كانت تمارسه في ارض مصر القوي السابقة .

نحن لا نريد ابدا لامكانيات عبقرية ، تكتب مثل الابيات القادمة ، التي هي اروع واعظم ، واشد سحرا من كافة ما يكتبه ثلاثة ارباع « الجانين .. » الذين يظنون انفسهم خلفاء دانتي وفرجيل ، ويجوبون الطرقات بحثا عن مستمع يصيرون في اذنه قصائد عن افريقيا وعن لوسي وعن .. هذه القضايا التي يجهلون كليا ، لانهم في الاساس جهلة محترفون ! اقول ، نحن لا نريد لهذا الشعر ان يندثر ويموت ، لان جهلنا يمنعا عن تسجيله . لاحظوا الصفاء ودقة الوصف والتسجيل والخيال ، وتنبهوا الى عبقرية الناظم المجهول ، الذي مات دون ان يعطينا اسمه :

البحر فيه الموج علا ، والموج في قلبي
ويسر تربة نبي صلي ، وشهر الزين
والعشق لابن البلد ، لما الغريب مسكين
سلام يا سلام يا سلام توبة ..
خلاص راح اتوب من دي النوبة ..

✱

يا رايحين لحلب ، حبي معاكم راح
يا محملين العنب ، فوق العنب تفاح
يا مين يجيب لي حبيبي عالفراش يرتاح
ياكل من الخوخ ويتقلب على التفاح ..
سلام يا سلام ياسلام توبة
خلاص راح اتوب من دي النوبة

✱

يا طالعين الجبل يا راكبين الغيل

ولكن الفرقة - على هذه المآخذ - هي واحدة من اشد جماعات الشباب جهدا ، واكثرها توفيقا ، وليتنا نعترف - الان فقط - بان الخدمة المخلصة الجادة للشعب والوطن ، لا تنتظر طلبات التفرغ ، او اشراف وزارة الثقافة ، انما تعمل بوحى من مسؤولياتها ، وبرغم كافة الظروف الموقفة .. اننا نرحب في حرارة بمحمود رضا : شابا واعيا ، وفنانا ومخلصا ...

مسح الريف فولكلوريا :

كل قرية في ريف مصر لها اغنياتها ، ولها ارضها الموسيقية الخاصة بها وحدها . غنى الارض المصرية بالنغم اساسه الاحساس الدرامي بالفجعة التاريخية منذ اجيال عديدة ، بدأت بدكتاتورية الفراعنة ، وظلت مستمرة على طول الدهور ، وانتهت بالقذاعة المخزبة لحكم الاتراك والانكليز ، والخيانات الشائنة للاقطاع . كان الريف وحيدا ضد المدينة والحكام ، ضعيف القدرة ، ذليلا الى اقصى حد .. ولكنه كان يملك السماء والنجوم والقمر ، يملك الخريز والشقشقة والذبول والندى ، يملك الليل والفروب والحب والحياة .. واخترع الاغنية البطيئة الحزينة ، بكلمات معذبة تترنم بها شفاه ذبحست قلوبها ..

الريف كله يموج بهذه الالحان التي لا تكتب ولا تحفظ ، وفي جيلين اثنين تختفي كلية ، وتنشأ اغنيات اخرى متجاوبة مع جيل يعرف ظاهرة التطور ، ولا يعرف التطور نفسه ..

دراسات عن المؤرخين العرب

لاول مرة يصدر مثل هذا الكتاب باللغة العربية

كتبه المستشرق مارغوليوث - ونقله الى العربية

الدكتور حسين نصار

١٧٥ صفحة - ٢٥٠ ق.ل

يطلب من الناشر - دار الثقافة

ص.ب ٥٤٣ - بيروت

النشاط الثقافي في الوطن العربي

٤ - تكوين لجنة من اعضاء الندوة مهمتها الاتصال بالحكومة والجهات الادبية الاخرى في الداخل والخارج لنشر الانتاج الادبي وفتح الابواب في الاذاعة وغيرها امام الادباء السودانيين .
وفي نهاية الاجتماع اقترحت الندوة قيام مؤسسة داخل الحكومة هي جهة الاختصاص لرعاية الادب والفنون .

تأسست الندوة بصورة رسمية في ديسمبر ١٩٥٣ وذلك بعد ان ظلت مدى عامين في طور التكوين .. وقد ظهرت فكرة الندوة لدى مجموعة من الادباء الاصدقاء .. كانت تجتمع بمحض الصدفة بمنزل الاستاذ عبدالله حامد الامين بام درمان . وكانت هذه المجموعة تهتم بالنشاط الادبي العام، وتشارك فيه ، وكانت تدور بين اعضائها مناقشات كلما التقوا . ومن هنا نشأت فكرة التجمع المنظم لهؤلاء الادباء حتى يستطيعوا ان يكونوا قوة موجهة في ميدان الادب بالسودان . وقد تم لهم ذلك بعد مرور سنوات من العمل الجاد والانتاج المستمر .

وبدأت الندوة تعقد - بدار رئيسها عبدالله حامد الامين - جلسات اسبوعية منتظمة منذ تأسيسها ، وفي كل جلسة يقدم احد الادباء دراسة او لونا من ألوان الادب من انتاجه . فيناقشه الاعضاء وينقد ، ومن ثم يتقدم به صاحبه الى النشر . كما ان هذه الاجتماعات تدور فيها مناقشات عامة للكثير من شؤون الادب والثقافة في السودان وفي البلدان العربية الاخرى . وتنتشر نتائج هذه الاجتماعات في الصحف ويتأثر بها الاعضاء في كتاباتهم .

وهناك ايضا المحاضرات والندوات التي تقام من حين لآخر في الاندية والمكتبات العامة ، ويحضرها جمهور المواطنين ويشترك فيها ، رجال الفكر واساتذة الادب .

اما في مجال الطباعة والنشر فالندوة لم تصدر غير ثلاث كتب باسمها هي اولا : مجموعة قصصية قصيرة صدرت في عام ١٩٥٤ للقصصي عثمان علي نور .

ثانيا : مجموعة دراسات واشعار واقاصيص من تاليف اعضاء الندوة ، صدرت عام ١٩٥٦ بعنوان « قطوف من الندوة »
ثالثا : ديوان من الشعر الحديث للشاعر مبارك حسن الخليفة وقد صدر في يناير الماضي .

وهناك مجموعة من الكتب اصدرها اعضاء الندوة كل بمفرده وقد شجعتهم الندوة بما تستطيع . اما اخر انتاج للندوة ينتظر الطبع فهو كتاب كبير يحوي مجموعة من « الشعر الشعبي السوداني » ويمثل فترة طويلة في التاريخ .

والندوة الادبية لا تمثل مذهباً ادبياً معيناً او تياراً خاصاً وانما هي حلبة تلتقي فيها كل التيارات الادبية والاتجاهات ، والندوة تقوم بعبء تجميع الادباء في صعيد واحد لخدمة الادب دون ان تتدخل في حرية اي ادب .

وقد بدأت الندوة الاتصال بالحكومة السودانية لتدعيم كيان الادب ، ومساعدة الادباء في نشاطهم . كما ان الاتصالات قد بدأت بيننا وبين اخواننا الادباء في البلاد العربية ، ومؤسسات النشر والاذاعة هناك للتعريف بالادب السوداني ونشره .

حامد محمود وافي

الخرطوم

فتشي عليكم جدع اسمر كحيل العين
طرف شاله يغني في هوا ياليل
والطرف الثاني بيسال بيت الحباب فين
سلام يا سلام يا سلام توبة
خلاص راح اتوب من دي التوبة ..

✱

دخلت باب الجنينة ، عيط الياسمين
والسببان اختشى والورد قال يا عين
قال العنب افتحوا للعاشق المسكين ..

✱

أرايتم ابيانا اشد سحرا ؟ ايموت هذا الشعر ، وتبقى في مؤلفات
لاحصر لها ، قصائد وقصائد وقصائد ، لايشترىها مغفل بمليم واحد ..!؟
محبي الدين محمد
القاهرة

السودان

اراسل الاداب حامد محمود وافي

((مشاكل الادب السوداني))

✱

كتب الاديب السوداني جبلي عبد الرحمن في جريدة « المساء »
القاهرية مقالا عن الركود الذي اصاب الكتاب السودانيين وانعزالية
الادب السوداني عن الادب العربي .. وقد تبنت الندوة الادبية برئاسة
الاستاذ عبدالله حامد الامين هذا الموضوع ، فدعت الى اجتماع تناقش
فيه مشاكل الادب السوداني ، واجدى الوسائل لتوطيد الصلات بين
الادباء السودانيين والادباء في البلاد العربية ..

وقدم الموضوع الاستاذ عبدالله حامد الامين ، فتحدث عن الحالة الراهنة
للادب السوداني ، وما يلاقيه الادباء من عقبات كثيرة تحول دون نشر
انتاجهم وازدهار الادب .. ومن هذه العقبات ، صعوبة النشر ، وقلة
الامكانيات ، اذ ليس هناك دار نشر واحدة تعمل لاجراء العديد من
المؤلفات المفهورة . كما وانه لا توجد صحف محلية ادبية ينعكس على
صفحاتها النشاط الادبي - اللهم اذا استثنينا بعض الصحف السيارة وهذا
مجال ضيق لا يستوعب كل ما يكتب .. وقد نجم عن ذلك العزلة
والانفصالية التي يتحدث عنها الادباء في البلاد العربية الاخرى ..

وبعد نقاش طويل اشترك فيه عدد كبير من ادباء السودان ، وبعد ان
تدارس المجتمعون الامر من جميع جوانبه - توصل الاجتماع الى القرارات
التالية :

١ - الاتصال بالخارج بواسطة الندوة الادبية ، وربط الادب السوداني
بالادب العربي وتدعيم الصلات بين الادباء السودانيين والادباء العرب .

٢ - الاتصال في الداخل بالحكومة لتشجيع النشاط الادبي وتقديم
جميع المساعدات لانعاش الادب السوداني ونشره على اوسع نطاق .

٣ - انشاء مجلة سودانية لرعاية الادب في السودان عامة - تقوم
باصدارها الندوة الادبية ..

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

لرسل الاداب محيي الدين محمد
مشاكل الجنس الآخر ...

★

اختتمت في القاهرة اجتماعات اللجنة التحضيرية التي تعد لمؤتمر المرأة الذي يبدأ في ١٥ سبتمبر القادم . والدول المشتركة بالمضوات العاملات هي : فلسطين . لبنان . كوريا . الاتحاد السوفيتي . زنجبار . اندونيسيا . الجزائر ، الصين ، السعودية ، ايران ، الهند ، اليابان ، افغانستان ، الكامرون ، الحبشة ، الجمهورية العربية المتحدة ، السودان ، عدن .

وبدأت المناقشات لوضع الخط الفكري للمؤتمر القادم ، وانقسمت وجهات النظر بين الشرق المتحرر الناهض ، والشرق الجامد الخامل . والغريب ان من ممثلي الشرق الجامد ، دولتان تتزعمان القوى الانبعاثية الرامية الى التحرر ، والى السلام ، والى عبادة الحياة . فهل من تفسير لهذا التناقض ؟ ان الدولتين هما الجمهورية العربية المتحدة ، والهند .. ودولة ثالثة ما زالت مدفونة تحت السجاجيد المعجمة الفاخرة ، وهي ايران .

ارادت الدولتان ان يكون المؤتمر تعبيرا عن وجهة نظر المرأة في المسائل الاجتماعية والاقتصادية ، وجميعيات الهلال والصلب الاحمر ، والحفلات النسائية التي تقيمها الجمعيات الارستقراطية ، كالمرأة الجديدة ، وتحسين الصحة ، والجمعيات الاخرى التي لا تفعل شيئا سوى اقامة بعض حفلات الكوكيتل تدعو اليها بعض رجال المال ، ثم يدور الحديث الهامس بمصاحبة بيانو خافت .. كل ذلك من اجل الفقراء والمسلولين .. وما اسعد حظ هؤلاء المساكين ! اذ يكفيهم ان يكونوا في لحظة ما ، موضوع تفكير في اذهان السادة ، وطبقة الفراء .. ما اسعد حظهم !

وكان في الجانب الاخر مندوبة الاتحاد السوفيتي ، والصين واليابان ، وقد عبرت مندوبة الصين عن خيبة املها عندما صدمت بالاتجاه لمدم بحث مسائل حقوق المرأة السياسية ودورها في الكفاح الوطني ، ومسالة اللاجئين الفلسطينيين ، ومسالة النسوة اليابانيات اللاتي يكلفن ضد معاهدة الامن المشترك بين اليابان وامريكا ..

فهل لم يحن الوقت بعد ، لمعرفة ان المرأة تملك نصف العالم مشتركة معنا ؟ . وهل ما زلنا حقا نعتبر المرأة جزءا لا يتجزأ من الحريم ؟ . هل صحيح اننا نعيش الان في عقلية الجاهلية ، حين كانوا يعاملون المرأة على انها مصيبة علوية ، وعلى انها مخلوقة لا فائدة منها ، ولا تنفع الا في الانسال ؟ هل صحيح هذا ؟

واذا كان ذلك صحيحا ، فلماذا نتناقض ونسمح لها ببعض الحريات ؟ لماذا لا نعيدها قسرا الى الحريم ، ونكفنها بالحجاب ، ولا نسمح لها بالخروج الى الطرقات ؟ لماذا لا نعيد النظام العباسي والعثماني للنساء مرة اخرى الى شرقنا ، ما دمنا حتى نهاية القرن العشرين ، نفكر في ان المرأة ما زالت نصفنا منزليا ، كالبوتاجاز ، ومفرمة اللحم ؟ ان التطور يستحيل ان يكون كاملا ، اذا لم تكن كل العناصر فسي

المجتمع مؤمنة به ، ومستجيبة باقتناع الى خطه القصدي ، ولنلاحظ ان حرية المرأة ليست هي الكشف عن الوجه والاذرع والظهور القبيحة ، وليست هي الثروة عن جيمس ميسون ، واخر اغنيات بات بون ان التطور هو انمطاف كلي من حياة الحريم الى المشاركة في حياة الرجال نفسها . الانتقاد في التيار الذي يجعل من الرجل هذا المخلوق الحاكم الجبار ، الذي يدخل البيت كأنه يدخل مكانا يملك فيه كل شيء يتكلم من انفه ، ويريد حذائه في الصباح نظيفا ، ويمنع زوجه ان تنظر من النافذة ، ويرفض لها ان تظهر « على احد غيره .. » ويحرم عليها كل ما يبيحه لنفسه .. (٢)

هل يصيب الفبار الذي المتخلف عن قنبلة فرنسا ، الرجال فقط ؟ هل لا تنطبق نصوص معاهدة الامن المشترك المذلة بين اليابان والولايات الامريكية ، الا على الرجال وحسب ؟ ! فلماذا اذن يمنع المؤتمر عمن الخوض في هذه المشاكل الحيوية التي تعيشها النساء ايضا ؟ .

ان (يوسف السباعي) الكاتب الذي يدعو نفسه تقديما ومثقفنا وواعيا ، واشرف على مجلة ادبية (!!) هو الذي يود للمؤتمر ان تصبح عضوانه (دادات) ، وان يصفين بالثورة الكامنة في مطالبهن العادلة ، في سبيل ان يكون للمؤتمر القادم وجه حلو يخلو من الخلافات والتقييدات ..

يا يوسف يا سباعي .. بل . يا شرق . يا شرقنا العربي .. لا نخجلنا !!

فرقة رضا للفنون الشعبية :

ان الجهد المخلص المتواصل ، لا بد ان ينتهي الى نتائج في صالح الوطن والشعب والجيل القادم . تقدم فرقة رضا على مسرح نقابة المهن الهندسية عددا من اللوحات الشعبية تحمل عناوين : حدوة الناي السحري . حرامي القفة . خمس فدادين . العرقوس . رقصة الوحدة . الحب في كفر البلاص . نبين زين . ذكر . المجاذيب في ليلة الاحد . فانوس رمضان .

والفكرة في اللوحات التي تقدمها هذه الفرقة هي محاولة تطوير الرقصة البلدية ، والتعبير عن الروح الوطنية لابناء البلد ، في اغنياتهم ومشاكلهم ، وسعاداتهم وغرامياتهم . وكلنا يعرف طبعاً ان الرقص المسرحي يحتضن فنونا كثيرة تشترك مع الخط الرئيسي وهو الرقص ، وتندغم فيه لتؤلف ، كاطارله ، حشدا من الخصائص توصل الناظر الى منتهى الاندماج الفكري والنفسي والاخلاقي ، مع العصب المتكامل للرقصة . كلنا يعرف ذلك ، ويعرف ايضا ان اي اختلال وتباين في هذه الملونات

(٣) ماذا افعل لشقيقتي الصغرى .! : عندما ارتدي ملابس ، تنظر الي في حسرة ، كل مرة ، ثم تقول : يا بخت الرجال .. ان كل فتاة في شرقنا العربي ، تقول كذلك : ما اسعد الرجال .. انهم يخرجون ويدخلون ويعيشون .! فهل بعد ذلك نجرؤ ان نصيح : ان البنت العربية فاسدة .. انها تخرج على الوضع والتقاليد .. انها . انها . وننسى - نحن الرجال حكماء - اننا بسجننا لا نفعل الا بزيادة ثورتها ضراما ! اننا نخشى ان تتحول ثورتها الشريفة الى نكسة عكسية ، ولذلك نطالب بمنحها حقوقها كاملة لا تنقص ذرة .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

يعطينا رد فعل عكسيا ، قد يؤخر فرصة اكتشافنا للابنية القوية فسي الملامح الاخرى للرقصة ..

وسوف اعرض تفصيلا للمآخذ الهامة على التكوين الفني في جملته :
١ - الموسيقى :

حاول المؤلف (١) على اسماعيل ، ان يوفق بين بعض الرقصات ، والالحان المقدمة ، فاخذ يقبس من هنا وهناك ، حتى ضاعت الانغام في محيط من التشتت والتقطع . صحيح ان التوافق والاداء كانا موفقين للغاية ، بيد ان ضياع ملامح اللحن في هذه السركات المتوالية من عبد الوهاب ، وسيد درويش ، والسنباطي ، والاغنيات الشعبية ، كان يطبع اللوحات بطابع اللامبالاة والتفريط ..

والمطلوب هو بالطبع ، تجنب السرعة في اقتباس الالحان ، ومحاولة تأليفها ، ولا يمنع ان يكلف بعض المؤلفين الموسيقيين بوضع الحسان توافق اللوحة المقدمة . ولما كان ذلك يتكلف معارف اكثر ، مع ملاحظتنا لفرقة الفرق ، فسوف نفرد لذلك بندا خاصا .

الطابع العام للموسيقى المقدمة ممل للغاية ، ومتكرر . ولولا المحاولات القوية للراقصين ، وطواعيتهم الفائقة ، لاصيب النظرة بخيبة امل مرة .
ب - الديكور :

عرضت جميع اللوحات بدون ديكور ، وهذه مسألة محيرة للغاية . السبب الذي افقد اللوحات جو التاهيل النفسي ، وظهور المسرح ، مسرحيا للغاية ، وزاد من هذا الشعور ، اهتزازات الستار الأزرق ، وملامسته لايدي واجساد الراقصين . معظم الادوار تجري حوائدها في الريف ، فهل غاب عن القائمين بامر الفرقة مدى اهمية وجود منظر صغير لبعض النخيل والنازل الريفية ؟ في منظر من اللوحة الاولى يحاول المخرج ان يجعلنا (نتخيل) رجلا يشدون مركبا بالبحال ... لماذا لا يعين الديكور الخيال في ذلك ؟ ان اي رسام يمكنه ان يخلق ديكورا حسنا بمبلغ صغير .. فلماذا لا تستكمل الفرقة ادواتها بفعل ذلك ، او بشراء ديكورين قديمين من دار الاوبرا او مسرح الازيكية ؟

الديكور هو فن السيطرة على حس الناظر بالانخداع . فالناظر ينتاع تذكرة ، علما بأنه يدخل مسرحا يمثل فوقه ممثلون محترفون ، ولذلك فهو يقبع في لاهساسيته وادراكه للخدعة ، واتفه خطأ او تجاوز صغير ، يمكنه ان ينمي فيه هذا الادراك ، فتفقد الرابطة بينه وبين ما يدور على المسرح كلية .

ج - القصة :

لا وجود للقصة ، وهذاعيب اللوحات الاساسي ، فالاهتمام موجه الى الكوميديا والى الالتباس والغرابية اكثر منه الى التطوير والتثقيف .. ويبدو ان العيب الرئيسي للفرقة هو موضوع الاختصاصات ، والظاهر ان محمود رضا ، يقوم بنفسه بوضع اللوحة وتنظيم الرقصة والاضاءة ، ثم تنفيذ ذلك ، وعمل تصميمات الملابس .

اللوحة الاولى تبدأ بعرض غنائي ، دون ديكور : فتى ريفي يحب فتاة ، ابوها هو العمدة ، وهو غير راض عن هذه العلاقة . الفتى يحصل على

مزمارة سحري تستطيع انغامه ان تجعل اي مخلوق يرقص . العمدة يفاجمها يرقصان ، فيثور . يخرج الفتى مزمارة ويوقع عليه ، فيرقص العمدة ، ويرضى عن علاقة الفتى بابنته .. القصة كما نلاحظ ، تافهة للغاية ، ولكن الاداء في مجمله ساحر ، والروح الكوميديية تظهر كي تغلب الحس والواقع ، الذي يبدو ان الفرقة تتجاهله كلية .. ان المفروض ان تعهد الفرقة الى قاص محترف له دراية كبيرة بالفنون الشعبية ، يضع قصصا صغيرة يمكن لها ان تكون هادفة في حد ذاتها ، لا ان تصبح مجرد عرض تافه لاغنية او ترنيمة ..

د - الموارد والامكانيات :

الفرقة فقيرة ، برغم ان جمهورها هو الطبقة الوسطى والاستقرائية ، وبرغم ان اسعار الدخول توازي اسعار دار الاوبرا « ٦٣ قرشا - ٥١ قرشا » ولكن الظاهر ان تأجير مسرح فخم ، واستعارة بعض افراد الكورس من الاذاعة ، وتسخير كل هذا العدد من الموسيقيين ، والعناية بالملابس والاضواء ، عدا المرتبات والضرائب .. كل هذا يجعلنا نعتزف بان ارتفاع ائتمان الدخول متفاض عنده . ويجعلنا ايضا ، نطالب وزارة الثقافة ان ترفع هذا الجهد الفردي ، لا ان تشرف عليه ، وان تقدم اعانة للفرقة ، لتتمكن من مواجهة الاعباء الثقيلة للمقاة على كاهلها . فالاعانة سوف تحل مشكلة تأجير المسرح ، ومشكلة السماح للطبقة الفقيرة ان تجد وجهها وذاتها في الاعمال الفولكلورية المقدمة ، وسوف تسمح ببروز فن الديكور الذي يقتله هذا الفقر المعاني منه ..

مؤسسة فرنكلين بمصر وببيروت

تقدم

ق.ل

- ٥٠٠ النقد الادبي ومدارسه الحديثة جزء ثان
- ١٠٠٠ لبنان في التاريخ للدكتور حتي
- ٧٥٠ مناهج البحث في علم النفس - لاندروز
- ١٦٠٠ تاريخ العلم جزءان
- ١٥٠٠ تاريخ سوريا ولبنان
- ١٠٨٠ مجموعة الكتب العلمية المبسطة ١٠ اجزاء
- ٢٥٠ كيف تدور عجلة الحياة
- ٧٠٠ القافلة قصة الشرق الاوسط
- ١٦٠٠ ميادين علم النفس جزءان
- ٥٠٠ ادارة الناس فن

تطلب هذه الكتب وسواها من الوكلاء العاملين

دار الثقافة ص.ب ٥٤٣ بيروت

النشاط الثقافي في الوطن العربي

والهمة التي نود ان نلفت اليها النظر ، هي ضرورة التفكير جديا ، بمسح الريف جميعه فولكلوريا ، وان تتكفل بذلك لجان من الشباب الدارسين تجوب الارض المزروعة والصعيد والنوبة والواحات القريبة والشرقية ، حاملة اجهزة للتسجيل ، على ان يصحب كل مجموعة من اللجان ، مؤرخ يعتمد عليه ، يعمل مراجعا ومحققا لاصول الاغنيات ونصوصها ، ويمكن لطلبة كلية الاداب في قسم التاريخ ، والاقسام الاخرى ان يساهموا في ذلك ، بدل هذا الانكباب المذل على وظائف الكتبة ، حيث يموتون افندية وجهاء ذوي كروش متهدلة . ان النتائج يمكن ان تكون اكثر مما تحصى :

- ١ - تكوين ارضية ثقافية واسطورية وموسيقية قوية للمستقبل .
- ٢ - عدم السماح للزمن بطمس هذه المعالم العظيمة .
- ٣ - الاغتناء ، الان ، بالاحاسيس الشعبية في اصولها وتلفايتها .
- ٤ - امكانية تطوير الاغنية الشعبية ودراستها .
- ٥ - كتابة تاريخ الشعب المصري مكتملا من الناحيتين السياسية والاجتماعية .
- ٦ - اغناء الاذاعة والتلفزيون بالواقع الاصيل ، بدل هذه الفواجع المصممة التي نظرت الى الاستماع اليها
- ٧ - المقارنة بين الفنون الشعبية في الريف والصحراء والنوبة ، لبيان اثر العزلة والتجاهل والقتل الجماعي التي كانت تمارسه في ارض مصر القوى السابقة .

نحن لا نريد ابدا لامكانيات عبقرية ، تكتب مثل الابيات القادمة ، التي هي اروع واعظم ، واشد سحرا من كافة ما يكتبه ثلاثة ارباع « الجانين .. » الذين يظنون انفسهم خلفاء دانتي وفرجيل ، ويجوبون الطرقات بحثا عن مستمع يصوبون في اذنه قصائد عن افريقيا وعن لوسي وعن .. هذه القضايا التي يجهلون كليا ، لانهم في الاساس جهلة محترفون ! اقول ، نحن لا نريد لهذا الشعر ان يندثر ويموت ، لان جهلنا يمنعا عن تسجيله . لاحظوا الصفاء ودقة الوصف والتسجيل والخيال ، وتنبهوا الى عبقرية الناظم المجهول ، الذي مات دون ان يعطينا اسمه :

البحر فيه الموج علا ، والموج في قلبي
ويسر تربة نبي صلي ، وشهر الزين
والعشق لابن البلد ، لما الغريب مسكين
سلام يا سلام يا سلام توبة ..
خلاص راح اتوب من دي النوبة ..

✱

يا رايحين لحلب ، حبي معاكم راح
يا محملين العنب ، فوق العنب تفاح
يا مين يجيب لي حبيبي عالفراش يرتاح
ياكل من الخوخ ويتقلب على التفاح ..
سلام يا سلام ياسلام توبة
خلاص راح اتوب من دي النوبة

✱

يا طالعين الجبل يا راكبين الغيل

ولكن الفرقة - على هذه المآخذ - هي واحدة من اشد جماعات الشباب جهدا ، واكثرها توفيقا ، وليتنا نعترف - الان فقط - بان الخدمة المخلصة الجادة للشعب والوطن ، لا تنتظر طلبات التفرغ ، او اشراف وزارة الثقافة ، انما تعمل بوحى من مسؤولياتها ، وبرغم كافة الظروف الموقفة .. اننا نرحب في حرارة بمحمود رضا : شابا واعيا ، وفنانا ومخلصا ...

مسح الريف فولكلوريا :

كل قرية في ريف مصر لها اغنياتها ، ولها ارضها الموسيقية الخاصة بها وحدها . غنى الارض المصرية بالنغم اساسه الاحساس الدرامي بالفجعة التاريخية منذ اجيال عديدة ، بدأت بدكتاتورية الفراعنة ، وظلت مستمرة على طول الدهور ، وانتهت بالقذاعة المخزبة لحكم الاتراك والانكليز ، والخيانات الشائنة للاقطاع . كان الريف وحيدا ضد المدينة والحكام ، ضعيف القدرة ، ذليلا الى اقصى حد .. ولكنه كان يملك السماء والنجوم والقمر ، يملك الخريز والشقشقة والذبول والندى ، يملك الليل والغروب والحب والحياة .. واخترع الاغنية البطيئة الحزينة ، بكلمات معذبة تترنم بها شفاها ذبحست قلوبها ..

الريف كله يموج بهذه الالحان التي لا تكتب ولا تحفظ ، وفي جيلين اثنين تختفي كلية ، وتنشأ اغنيات اخرى متجاوبة مع جيل يعرف ظاهرة التطور ، ولا يعرف التطور نفسه ..

دراسات عن المؤرخين العرب

لاول مرة يصدر مثل هذا الكتاب باللغة العربية

كتبه المستشرق مارغوليوث - ونقله الى العربية

الدكتور حسين نصار

١٧٥ صفحة - ٢٥٠ ق.ل

يطلب من الناشر - دار الثقافة

ص.ب ٥٤٣ - بيروت

النشاط الثقافي في الوطن العربي

٤ - تكوين لجنة من اعضاء الندوة مهمتها الاتصال بالحكومة والجهات الادبية الاخرى في الداخل والخارج لنشر الانتاج الادبي وفتح الابواب في الاذاعة وغيرها امام الادباء السودانيين .
وفي نهاية الاجتماع اقترحت الندوة قيام مؤسسة داخل الحكومة هي جهة الاختصاص لرعاية الادب والفنون .

تأسست الندوة بصورة رسمية في ديسمبر ١٩٥٣ وذلك بعد ان ظلت مدى عامين في طور التكوين .. وقد ظهرت فكرة الندوة لدى مجموعة من الادباء الاصدقاء .. كانت تجتمع بمحض الصدفة بمنزل الاستاذ عبدالله حامد الامين بام درمان . وكانت هذه المجموعة تهتم بالنشاط الادبي العام، وتشارك فيه ، وكانت تدور بين اعضائها مناقشات كلما التقوا . ومن هنا نشأت فكرة التجمع المنظم لهؤلاء الادباء حتى يستطيعوا ان يكونوا قوة موجهة في ميدان الادب بالسودان . وقد تم لهم ذلك بعد مرور سنوات من العمل الجاد والانتاج المستمر .

وبدأت الندوة تعقد - بدار رئيسها عبدالله حامد الامين - جلسات اسبوعية منتظمة منذ تأسيسها ، وفي كل جلسة يقدم احد الادباء دراسة او لونا من ألوان الادب من انتاجه . فيناقشه الاعضاء وينقد ، ومن ثم يتقدم به صاحبه الى النشر . كما ان هذه الاجتماعات تدور فيها مناقشات عامة للكثير من شؤون الادب والثقافة في السودان وفي البلدان العربية الاخرى . وتنتشر نتائج هذه الاجتماعات في الصحف ويتأثر بها الاعضاء في كتاباتهم .

وهناك ايضا المحاضرات والندوات التي تقام من حين لآخر في الاندية والمكتبات العامة ، ويحضرها جمهور المواطنين ويشترك فيها ، رجال الفكر واساتذة الادب .

اما في مجال الطباعة والنشر فالندوة لم تصدر غير ثلاث كتب باسمها هي اولا : مجموعة قصصية قصيرة صدرت في عام ١٩٥٤ للقصصي عثمان علي نور .

ثانيا : مجموعة دراسات واشعار واقاصيص من تأليف اعضاء الندوة ، صدرت عام ١٩٥٦ بعنوان « قطوف من الندوة »
ثالثا : ديوان من الشعر الحديث للشاعر مبارك حسن الخليفة وقد صدر في يناير الماضي .

وهناك مجموعة من الكتب اصدرها اعضاء الندوة كل بمفرده وقد شجعتهم الندوة بما تستطيع . اما اخر انتاج للندوة ينتظر الطبع فهو كتاب كبير يحوي مجموعة من « الشعر الشعبي السوداني » ويمثل فترة طويلة في التاريخ .

والندوة الادبية لا تمثل مذهباً ادبياً معيناً او تياراً خاصاً وانما هي حلبة تلتقي فيها كل التيارات الادبية والاتجاهات ، والندوة تقوم بعبء تجميع الادباء في صعيد واحد لخدمة الادب دون ان تتدخل في حرية اي ادب .

وقد بدأت الندوة الاتصال بالحكومة السودانية لتدعيم كيان الادب ، ومساعدة الادباء في نشاطهم . كما ان الاتصالات قد بدأت بيننا وبين اخواننا الادباء في البلاد العربية ، ومؤسسات النشر والاذاعة هناك للتعريف بالادب السوداني ونشره .

حامد محمود وافي

الخرطوم

فتشي عليكم جدع اسمر كحيل العين
طرف شاله يغني في هوا ياليل
والطرف الثاني بيسال بيت الحباب فين
سلام يا سلام يا سلام توبة
خلاص راح اتوب من دي التوبة ..

✱

دخلت باب الجنينة ، عيط الياسمين
والسببان اختشى والورد قال يا عين
قال العنب افتحوا للعاشق المسكين ..

✱

أرايتم ابيانا اشد سحرا ؟ ايموت هذا الشعر ، وتبقى في مؤلفات
لاحصر لها ، قصائد وقصائد وقصائد ، لايشترىها مغفل بمليم واحد ..!؟
محبي الدين محمد
القاهرة

السودان

اراسل الاداب حامد محمود وافي
(مشاكل الادب السوداني)

✱

كتب الاديب السوداني جبلي عبد الرحمن في جريدة « المساء »
القاهرية مقالا عن الركود الذي اصاب الكتاب السودانيين وانعزالية
الادب السوداني عن الادب العربي .. وقد تبنت الندوة الادبية برئاسة
الاستاذ عبدالله حامد الامين هذا الموضوع ، فدعت الى اجتماع تناقش
فيه مشاكل الادب السوداني ، واجدى الوسائل لتوطيد الصلات بين
الادباء السودانيين والادباء في البلاد العربية ..

وقدم الموضوع الاستاذ عبدالله حامد الامين ، فتحدث عن الحالة الراهنة
للادب السوداني ، وما يلاقيه الادباء من عقبات كثيرة تحول دون نشر
انتاجهم وازدهار الادب .. ومن هذه العقبات ، صعوبة النشر ، وقلة
الامكانيات ، اذ ليس هناك دار نشر واحدة تعمل لاجراء العديد من
المؤلفات المفهورة . كما وانه لا توجد صحف محلية ادبية ينعكس على
صفحاتها النشاط الادبي - اللهم اذا استثنينا بعض الصحف السيارة وهذا
مجال ضيق لا يستوعب كل ما يكتب .. وقد نجم عن ذلك العزلة
والانفصالية التي يتحدث عنها الادباء في البلاد العربية الاخرى ..

وبعد نقاش طويل اشترك فيه عدد كبير من ادباء السودان ، وبعد ان
تدارس المجتمعون الامر من جميع جوانبه - توصل الاجتماع الى القرارات
التالية :

- ١ - الاتصال بالخارج بواسطة الندوة الادبية ، وربط الادب السوداني بالادب العربي وتدعيم الصلات بين الادباء السودانيين والادباء العرب .
- ٢ - الاتصال في الداخل بالحكومة لتشجيع النشاط الادبي وتقديم جميع المساعدات لانعاش الادب السوداني ونشره على اوسع نطاق .
- ٣ - انشاء مجلة سودانية لرعاية الادب في السودان عامة - تقوم باصدارها الندوة الادبية ..

حول قصيدة « صلاة »

جاء في نقد الدكتور سهيل ادريس لقصيدتي « صلاة » قوله :
« اننا لاحظنا غلطين نحوتين في هذه القصيدة : اولهما قوله عن
الزهر « اسقيناه ندى العمر » والصحيح سقيناه .. »
والحقيقة ان فعل « اسقى » قد ورد في القرآن الكريم في قوله
تعالى (سورة المرسلات الاية ٢٧) : « وجعلنا فيها رواسي شامخات
واسقيناهم ماء فراتا »

واضاف الدكتور ادريس ان الخطأ الثاني هو جعلي همزة «الاسمر»
همزة وصل في قلبي « والشارع الاسمر تخنقه القضبان » وهي همزة
قطع اذا قرئت كذلك انكسر البيت .

وهذا صحيح ، وانا اتفق مع الناقد لو كان البيت كذلك . الا ان
الحقيقة غير هذا ، فانا لم اكتب البيت على هذا الشكل ، وانما كتبه
كما يلي :

والشارع تملأه الغربان

والنسر الاسمر تخنقه القضبان

ويبدو ان المطبعة اكلت البيت الاول والكلمة الاولى من البيت الثاني
فتداخل البيتان وظهرا بيتا واحدا بالشكل المنشور . ومن الجائز الا
يكون هناك خطأ مطبعي ، فقد انسى كلمات وجملات حين اقوم بتبسيط
مقالة او قصيدة .

تعليق رئيس التحرير : وضع سبب الخطأ الثاني . اما الاول ،
فنعترف بانه ليس خطأ ، ونعجب لانفسنا كيف فاتتنا الاية ، مع اننا
لا نزال نحفظها عن ظهر قلب فنستغفر الله ، ونعتذر للشاعر !

ماذا تقرأ هذا الشهر؟

دار العلم للملايين توفّر عليك عناء الاضواء

فتقدم اليك أمهاتنا : إننا جملنا :

- ١ تطور معنى القومية - طبعة جديدة ثانية
الدكتور منيف الرزاز
- ٢ ٢٤ ساعة من حياة امرأة
ستيفان زفاغ
- ٣ الزنزانة رقم ٢٤٥٥
كاريل تشيسمان
- ٤ وراء القضبان
كاريل تشيسمان
- ٥ دفاع عن الاسلام تأليف المستشرق فاغليري
ترجمة منير البعلبكي
- ٦ عمال البحر
فيكتور هيجو
- ٧ ازمة اليسار العربي
الدكتور كلوفيس مقصود
- ٨ عشت مع ثوار الجزائر
سعد زغول فؤاد
- ٩ اللامتمي - طبعة جديدة ثانية - لكون ولسون
- ١٠ معالم الحياة العربية الجديدة - طبعة جديدة رابعة -
للدكتور منيف الرزاز

في أعدادنا القادمة

ابحاث

مع الادباء : نجيب محفوظ	فاروق شوشة
ميخائيل نعيمة والكون	محجوب بن ميلاد
يوسف ادريس والواقعية الشعبية	جورج طرابيشي
حصاد العمر	غالي شكري
صبحية مباركة	عبد العزيز ع. محمود
طوية مدخولة	الطيب الشريف
احمد حجازي في مدينة بلا قلب	ناجي علوش
عبد الصبور والشعر العاطفي	عبد المنعم عواد يوسف
العبقرية - لالدوس هكسلي	ترجمة نبيه غطاس
الابطال المهزومون في	محيي الدين صبحي
« العودة من النبع الحالم »	غسان كنفاني
النبع الحالم وحزن الهزيمة	مجاهد ع. مجاهد
الفلسفة وموقفها من البشرية	فاضل السباعي
« متى يعود المطر »	محمد حيدر
« الاكلون لحومهم »	عبد القدوس ابو صالح
« مسائل الانتقاد » للقيرواني	الطيب الشريف
ابن طباطبا ووحدة القصيدة	علي زيعور
الاخلاق في التعاليم البوذية	

قصائد

بابل	خليل خوري
عودة الى المبد	محمد ابراهيم ابو سنة
من اغاني الحواكير	محمد عفيفي مطر
شيء يولد	فاروق شوشة
الصقيع وكذبة السعال	فايز ملص
عجربة	تيسير سبول
اغنية الى ولدي هشام	حسن فتح الباب
المهزومون	الطيب الشريف
امطار سوداء	محمد عمران
اغنية الى الجنوب	حسن النجمي

قصص

بطلة جديدة	عايدة م. ادريس
عيون الاطفال	علي بدور
النمر (قصة مترجمة)	محمد عبد الله الشفقي
العرس وحفلة عيد الميلاد (مترجمة)	سمير كرم
لعنة الامنية (مترجمة)	عصام صفدي

فهرست

العدد الخامس - نوار (مايو) ١٩٦٠ - السنة الثامنة

- ٥٢ الصمت والشاعر (قصيدة) موسى صرداوي
٥٣ ميزانية اخلاق (قصة) عبد الرحمن البيك
٥٤ احمد شوقي والشعب محمد خير الحلواني
٥٩ المداخون روح الكنانة شريف الراس

مناقشات

- ٦٢ حقائق تاريخية علي محافظة
٦٣ مواقف متناقضة حسن جواد الجشي
٦٥ بين شكري وبدور سعد صموئيل

النشاط الثقافي في الوطن العربي

- ٦٩ الجمهورية العربية المتحدة مشاكل الجنس الاخر-
فرقة رضا للفنون
الشعبية- مسح الريف
(فولكلوريا .
٧٢ السودان مشاكل الادب السوداني

صندوق البريد

- ٧٣ حول قصيدة « صلاة » شفيق الكمالي

- ١٠ القومية العربية والحياة نازك الملائكة
٥/ سعيد تقي الدين والقصة القصيرة .. الدكتور سهيل ادريس

قرأت العدد الماضي من الآداب

- ١٠ نقد الابحاث عبد المحسن طه بدر
١١ نقد القصائد فاروق شوشه
١٢ نقد القصص غالب هلسا
١٣ بغداد والرعب (قصيدة) شفيق الكمالي
١٤ لك النصر يا بغداد (قصيدة) محمد سعيد بابصيل
١٥٩ تحرير جيل من الوهم مجي الدين محمد
١٩ السندباد في رحلته الثامنة (قصيدة) خليل حاوي
٢٢٥ نيكراسوف فيلسوف الازمة الفرنسية غالي شكري
٢٦ يا حزن رحمة بنا (قصيدة) مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٧ من روائع الشعر الاسباني المعاصر الدكتور احمد هيكل
مختارات من جوستافو بكر
٣٠ نهاية الزقاق (قصة) فريد حبيب
٣٤٠ نحو ادب قومي جديد علي بدور
٣٨ فريزة وخيط معاوية (قصة) جان الكسان
٤٩ محمد العيد كبير شعراء الجزائر ابو القاسم سعد الله

بنك انترنا

شركة مساهمة

مؤسس بموجب المرسوم رقم ٦٦٤٧ تاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٥١
رأس المال المصرح به ثلثون مليون ليرة لبنانية
بموجب المرسوم رقم ٢٧٣٥ تاريخ ٧ كانون الاول ١٩٥٩
سجل تجاري بيروت رقم: ٢٦٤١

الإدارة العامة : بيروت - لبنان

كشف الموجودات والمطلوبات

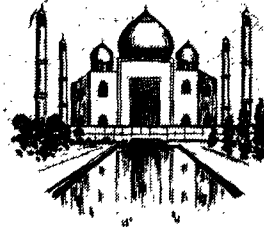
كما هي في ٣١ كانون الاول ١٩٥٩

الموجودات	الكتفي ٥/١٢/٣١	اليزانية في ٥/١٢/٣١	المطلوبات	الكتفي ٥/١٢/٣١	اليزانية في ٥/١٢/٣١
نفداً في الصندوق ولدى البنوك	٦٢ ٧٥٢ ٤٢٥	٢٥ ٧٧٩ ٥٧٦	رأس المال المصرح به	٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
اوراق مضمونة	٢٦ ٦١٨ ٥٢٢	١٥ ٥٦١ ٧٦١	رأس المال المكتتب به والمؤخر	١٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠
حسابات مدينة	٥٠ ٤٦٣ ٥٩٧	٢٣ ١٢٣ ٥٩٩	الاحتياطي	٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠
سندات حكومية وسندات أخرى وإسهم واستثمارات (سعر التكلفة)	٩ ٩٤٦ ٩١٠	٥ ٩٩٠ ٩١٥	الودائع	٢٤ ٣٩٠ ٦٨٠	٢٤ ٣٩٠ ٦٨٠
أسهم في شركات تابعة (سعر التكلفة)	٤ ٣٤٢ ٨٩٣	٢ ٩٩٩ ٢٥٩	ودائع لأجل	١٤ ٢٦١ ٦٩٤	١٤ ٢٦١ ٦٩٤
ساية البنك ومقارنات أخرى (سعر التكلفة)	٨ ١٥٨ ٥٨٢	٦ ٧٨٣ ١٤٩	ودائع تحت الطلب	٧٢ ٣٨٧ ٣٥٣	٧٢ ٣٨٧ ٣٥٣
دفعات بالحساب عن شراء عقار	٤ ٦٨٢ ٦٩٥	٤ ٢٥٥ ٠٤٩	حسابات أخرى	٣ ١٩٣ ٥٣٤	٣ ١٩٣ ٥٣٤
إشادات (معدلات مودعة)	١ ١٤٠ ٨١٠	٨٢٤ ٧٥٠	كفالات وامتيازات تجارية للعملاء (له مقابلات)	٤٥ ٦٣٦ ٢٦٣	٤٥ ٦٣٦ ٢٦٣
حسابات أخرى	٤٨٧ ٧٣٠	٥٥١ ٤٥٤			
تعهدات العملاء مقابل كفالات وامتيازات (له مقابلات)	٤٥ ٦٣٦ ٢٦٣	٢٣ ١٠٨ ٢٦٠			
مجموع الموجودات	٢١٤ ٢٣١ ٤٧٧	١٢٨ ٩٧٧ ٧٧٢	مجموع المطلوبات	٢١٤ ٢٣١ ٤٧٧	١٢٨ ٩٧٧ ٧٧٢

بطايرت سورى فشاىكاونت
بالبادار الجمنق



بومباى



راجعوا وكلاولسفرالمعتدلين لدى "ياتا" أو شركته طيران الشرق الأوسط

بابى ادرسى - بنايتى عبور - تلفون ٢١٢١٢/٣/٤/٥

راسى بىروت - بنايتى اكله سام - تلفون ٢٣٩٣٩

شارع عمر بنى عبدالعزىز - بنايتى مكينجى - تلفون ٣٦٥٥٢

مكتب استقبال وتفسيرالسافرن

شارع حمدشوقى - تجاه يالم بيتش - تلفون ٤١٠٢٠

طيران الشرق الاوسط

B. O. A. C. Associate